

الرحلة اليابانية



لصاحبها الضعيف

علي احمد الجرجاوي صاحب جريدة الارشاد

الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥

حقوق الطبع محفوظة لصاحبت الرحلة

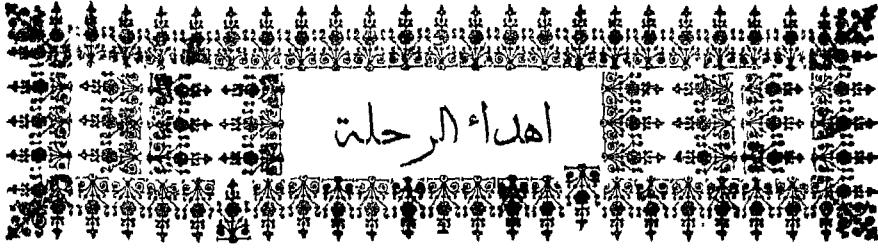
كل نسخة لم يكن عليها ختم صاحب الرحلة تعد مسروقة
ويعاقب حاملها قانونا

تباع الرحلة بجميع المكاتب الشهيرة في مصر وتطلب من
صاحبها أو من ادارة جريدة الارشاد بالقاهرة

ثمن النسخة ١٠ قروش صاغ

طبع بمطبعة الشوري بالقجالة بمصر





ان للمادة حكما لا يمكن الخروج عنه وقد سن الادباء قد يماسنة احتذى
مثالها ونسج على متوالها من جاء بعدهم من أهل حرفهم . ومن تلك العادات
وما تيك السنن ان يؤلف العالم والكتاب في فنون شتى مؤلفات برسم
بعض الاكابر والاعيان وليس لهم حظ ما . في الفوائد المادية اللهم الا اذا
سعت اليهم بنفسها وانما جل قصدهم من تأليف الكتب برسم الاعيان زيادة
الاعتناء بها لدى الكافة وان كانت في الدرجة القصوى من البلاغة وجلالة
الموضوع . والذي قوى عندهم العزيمة على التأليف اقبال الاكابر علي مطالعة
المؤلفات المفيدة في الاوضاع الجميلة .

هذا كتاب قلائد العميان للفتح بن خاقان الفه برسم الخليفة المتوكل
وكتاب العقد الفريد للملك السعيد

وكتاب الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية ألفه الامام محمد فضل الحق
الخير ابادي وأهداه الى ملك بلاده محمد سعيد خان بهادر . ولو أردت
احصاء المؤلفات المهداة الى الامراء وأهل الفضل والادب لغطت في العد
وضاع الحساب

هذا واتي وضعت هذا السفر في رحلتي الى بلاد اليابان واودعته من
اخبار تلك الامة الراقية ما تنفى مطالعته عن التذم والسمير ومن اشياء

شاهدتها في ذهاني وايرابي في البلاد الاخرى رأيت من اتمام الفائدة ذكرها
في هذه الرحلة .

وحسبي شرفاً أنها رحلة اول مصري وطئت قدمه تلك الارض من
قديم الزمان الى الان . وقد اتبعت سنة اولئك المؤلفين ولكن رأيت أن
أهدى رحاتي الى كل عالم واديب في مصر خصوصاً الناشئة الحديثة التي
هي موضع آمال الامة

وهنا مقصد آخر أرى من الضروري الامناع اليه . وهو اننا اصبحنا في
عصر تتسابق فيه الامم الى احراز قصب السبق في ميدان الحضارة
فأجدر بالشبيبة المصرية أن تطالع مثل هذه الرحلة ليروا أن في الشرق أمة
في الثلاثين ربيعاً من سني حياتها الجديدة تنظر اليها الامم الاخرى نظر
الاجلال والاعتبار حتى اذا قرؤوا ما لم يصل الي علمهم عنها دب في
نفوسهم الحمية فنزعوا رداء الكسل . وقالوا حي على خير العمل . فاذا عرف
هذا علم أنني لم اتحمل الاخطار ووعثاء الاسفار ولم اعتمد في الاتفاق
الاعلى الخلاق الا لاجل نفع بلادي وخدمة ديني وجامعتي وهذا هو اول
مبرر لوضع هذه الرحلة (علي أحمد الجرجاوى) .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد كتب الكتاب في باب المفاضلة بين الإقامة والسفر . وتفنن
المثثون والادباء الذين يتصرفون في أساليب التراكيب ما شاء الله لهم
ان يكتبوا ويتفننوا .

بيد أن الذين يرجعون الإقامة من بينهم قليل ما هم . بل يمكننا ان
نحكم بالاجماع على ان اغتراب المرء عن وطنه ومسقط رأسه وتنقله في البلاد
واستطلاع عوائد واحوال الامم والشعوب الاجتماعية مما يزيد في معرفته
بسر هذا الوجود و يظهر له ما خفي منه وراء ستار حب الدعة والاحجام
عن الاقدام على عظيما الامور .

على ان الاسباب والبواعث التي تسوق المرء الى استسهال كل صعب
والاستهانة بكل خطر يعترضه وهو ناء عن اوطانه قد تختلف في القيمة
والاعتبار وان كان مجموعها متحذا في افادته ما لم يستفده في الإقامة مهما علا
كعبه وارتقت درجته بين الطبقة المتنورة بنور العلم من امته

فن الناس من يخالف الاسفار في سبيل الاتجار وانماء الثروة ومنهم
من يضرب في الارض ويقطع الطول منها والعرض . منتقبا في مجاهلها
مفتشا في مناكبها عن غامر يستعمره . او معدن يكتشفه . ومنهم من
يعاشر الامم المبائية له في الجنس والدين والمادة فينقل الي ساسة الامم
ومدبري الممالك ما لا غنى لهم عنه حيال وظيفتهم في المجتمع الانساني .

ومنهم من يتحمل ألم الغربة ولوعة قراق الاهل في سبيل طلب العلم والاستنارة بنور العرفان . ومنهم من يجوب القفار . ويركب البحار لاكتشاف جيل من الناس لم يكن قبل معروف . ومنهم من ينتقل بين الشعوب العربية في المهجبة والتي لادين لها لنشر تعاليم دينه واصول مذهبه غير مبال بما يعترض طريقه من انواع الخطر . وصنوف وغناء السفر .

فهذه كلها غايات حميدة . وبواعث شريفة . تبرر العمل على الوصول اليها . والحصول عليها . وان تفاوتت اقدارها من حيث الفائدة العائدة منها على الانسان .

هذا وقد كتبت اقرأ في الصحف المحلية ما تنقله من الانباء المتواترة بانعقاد مؤتمر ديني في بلاد اليابان بامر الميكادو والحاكم على تلك البلاد وتوجه البعثات الدينية من المسلمين وغيرهم لحضور هذا المؤتمر الذي تنحصر اعماله في البحث في اصول كل دين فكنت اتابع الكتابات في كثير من اعداد جريدتي (الارشاد) حاضا على تأليف وفد من افاضل العلماء المصريين للاشتراك مع الوفود الاخرى لحضور جلسات هذا المؤتمر ونشر التعاليم الدينية الاسلامية بين امة الشمس المشرقة .

اذ مسلموا مصر اولى بأن يجوزوا هذه الفضيلة لوجود الازهر بين ظهرانيهم وهو المدرسة الدينية الوحيدة في العالم الاسلامي التي يقصدها الطلاب المسلمون من كل قطر ومن كل بلد

كما ان غيري من ارباب الصحف الاسلامية ضم صوته الى صوتي ولكن لما لم أجد في المهم انبعاثا ولا في العزائم نشاطا . طفقت أبحث عن من يرافقني من اخواني المسلمين في الرحلة الى اليابان للدعوة الى الاسلام

فكان ذلك اندر من الكبريت الاحمر .

ويذنا انا كذلك واذا برجلين فاضلين من علماء وحكماء بل وفلاسفة
هذا العصر الجاضر وفقهما الله لى ان يذهبا معى الى هاتيك البلاد .
احدهما صاحب الفضيلة العلامة الشيخ احمد موسى المصري المنوفي
امام المسجد الكبير بكلمته عاصمة الهند . وثانيهما من افاضل المملكة التونسية
في الاصل (لم يرد ذكر اسمه) هذان الفاضلان كانا خاطبائي في هذا
الخصوص ورغبا في مرافقتي الى اليابان لهذا الغرض الشريف والمقصد
المنيف وقد قالا فيما خاطبائي به انفا لا تقصد الا وجه الله الكريم وخدمة
الدين القويم .

ولم اكدم اسمع كلامهما هذا حتى اعلنت عزمي على صفحات الجرائد
العربية اليومية والاسبوعية التي نقلت عنها جرائد الاستانة والهند والافغان
وقازان وغير ذلك من الجرائد السيارة .

وفما جاء في اعلاني اني لا اقبل درهما واحدا من احد من الناس على
سبيل المساعدة المادية حتى ولا قيمة اشتراك جريدتي .

وهذه يدى رهينة بذمتي انى لم اكن اردت باعلاني هذا شهرة وحسن
سمعة وجميل ذكر . ولكن توقعت من بني وطنى اتهامي بانى اتخذت هذه
الرحلة حباله لصيد الدرهم والدينار . لا العمل لوجه الله الكريم . فاردت
نفي ما عساه يبلق باذهانهم من اتهامي بهذه التهمة .

اما الآن وقد انفذت عزمي وأمضيت في رحلتي هذه نحو الثمانية
شهور . فقد رأيت من الواجب على أن اسطر ما شاهدته في ذهابي واياي
في هذا السفر . افادة لا بناء وطني وعموما والذين يهمهم الاطلاع على احوال

الامم الاخرى خصوصا . واقتداء بكل رحالة من الغربيين ينادر أهله
وبلاده ثم يمود اليها محتقبا من غريب الاخبار ما تغني مطالعته عن لحن
الاورار ووثانة السمار .

واني لم اقصد برحاتي هذه في الحقيقة مجرد الاشتراك مع الذين ذهبوا الى
اليابان في نشر تعاليم الدين الاسلامي . بل كانت رغبتى متوجهة ايضا الى
استطلاع احوال هذه الاصقاع ومقدار ما وصلت اليه من المدنية وتقدمها
في العلوم شأن من سبقني من السائحين .

وقد ضربت صفحا عن تسطير أغلب مادار في المؤتمر وعلمته من
المدونات الرسمية من المحاورات وخلافه . وعن تسطير كل ما ألقيناه في
جمعيةنا من القواعد الدينية . فان ذلك يدعو الى التطويل . فضلا عن كون
الكتب الدينية الاسلامية مشحونة به مع قرب تناولها .

وليس من شروط كتب الرحلات ان يمقد فيها فصول وأبواب في
الحج وفرائضه والصلاة وأركانها والزكاة والحكمة الموجودة فيها . وان
المدنوب العثماني قال في جلسات المؤتمر كذا . فرد عليه المدنوب الايطالي
يكذا . فقنده الاول بكذا . لانه اسهاب ممل . بل تطويل مخل . في مثل
هذا الجزء

وانما ننشر بعض الاشارات الى نفس المواضيع التي أقيمت في جلسات
المؤتمر وفي جمعيةنا والتكلم عليها قليلا .

* * *

وكل ما ذكرته في رحاتي هذه ليس له مصدر الا المدونات الرسمية
التي نقلت عنها . او المشاهدة الحسية . او السماع من أوثق المصادر .

لان تدوين الرحلات هو وتدوين الحوادث التاريخية صنوان . فاذا لم توفق فيها بالخبر الصحيح كانت أساطير وأباطيل . بل جناية كبرى يجتنبها المرء على الانسانية والاداب .

✽ خواطر وأفكار بين مصر والاسكندرية ✽

في صبيحة يوم الجمعة ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٦ افر نكية أخذت الالهبة للسفر وما وصلت الى محطة القاهرة حتى رأيت لفيق الاصدقاء والمجيبين قد جاؤا لوداعي . وما أصعب موقف الوداع وأشدّه تأثيرا في النفس : فكنت أطارح اخواني عبارات الوداع والدمع في الجفن حائر . حتى اذا تحرك القطار أسلمته للحاجر ولما بعد القطار قليلا

اشاروا بتسليمي فوجدنا بأنفس تسيل من الآماق والسهم أذمع وما زال القطار ساثر الهويثا حتى اذا اجتاز المنحني واستقام له الطريق أخذ ينهب الارض نهبها لا يشق له غبار وتضل دون شأوه الانظار وكنت في هذه الحالة أودع القاهرة وملك الفراغنة وكلما ابتعدت عنها تضاءت في نظري تلك الصروح المردة والقصور الشامخات حتى غابت عن لحظ العين ولم أعد أنظر الا الى منارتين يلوح للناظر اليهما من هذه المسافة أنهما ركبتا على قنة جبل المقطم فعلمت أنهما منارتي جامع القامه الذي انشأه (محمد علي باشا) رئيس العائلة الخديوية الذي كانت توليته على مصر مفتتح تاريخ جديد لها . وفي هذه اللحظة عاودتني ذكرى الحوادث التي حدثت على عهده في هذه البقعة وأخصها حادثة دعوة المماليك الى الاحتفال بوداع الجيوش الناهبة الى حرب الوهابين فاخذهم على غرة منهم واعمل فيهم السيف حتى افندهم عن

آخرهم ولم ينج منهم الا المملوك الشارد. وما زالت ترد على ذاكرتي الوقائع التي ولدتها الايام في عهده حتي وقف القطار على محطة قلوب وحينئذ خطر بذاكرتي سعادة الشورابي باشا الذي له أثر ايد البيضاء على هذه البلدة وخلد بما آثره فيها ذكرا جيلا لا تذكره به سكانها كلما ذكر الكرام الذين خدموا الانسانية بجاههم وأموالهم وكل ما في وسعهم حتي سار مدحهم في سائر الازمان والاجيال مسير الامثال

و بعد أن قام القطار من قلوب صرت في حالة مدهشة وأسف شديد كاد يترك الكبد فلذا وما ذلك الا لذكر ابي ان أول جلسة للمحكمة المخصوصة عقدت لها كمة قاطني هذه البلدة وتسرب الفكر حينئذ الى حادث دنشواي لانه كان قريب العهد بالحدوث فشمرت بالنهاب بين الجوانح وسممت في أعماق قلبي أزيزا كأزيز المرجل وكان الفؤاد يرشق بنبال تكسر فيه النصال على النصال

فأخذت أتمس الوسائل التي بها أنفَس عن قايي النعمة بمحادثة بعض الركاب تارة وبالقراءة تارة أخرى حتى وقف القطار على محطة بنها. فنظرت الى محل السراي التي كان يختلف اليها المرحوم عباس باشا الاول والتي استشهد فيها ولم يذكر أحد من المؤرخين هذه الحادثة بالتفصيل. ولذلك كانت الحفيظة غامضة ولن تزال كذلك ضميرا. سنترا في صدر الايام. ومهما تكهن الباحث عن أسباب التعدي على هذا المقام الرفيع فلا يكون مبالغ عامه الا أن التنافس في الملك والتحاسد عليه قد يوقع المملوك في مثل هذه الاخطار. وليست هذه بالاولى في الاسلام وحوادث ملوك الانام

ثم صار القطار حتى وصل الى مدينة طنطا وهي في الدلتا بمنزلة القلب من الجسم ووجه الشبه بينهما ان عند هذه المدينة تجتمع كل اطراف خطوط السكك الحديدية التي في انحاء الدلتا كما ان القلب يجتمع عنده اطراف العروق التي توزع الدم على سائر انحاء الجسم وبمجرد وقوف القطار قرأت كما قرأ غيري من المسلمين المسافرين فاتحة الكتاب المبين مستمدا بها الرحمة لروح ربي الله سيدي احمد البدوي رضي الله تعالى عنه متوسلا به اليه لان يجعل لي من أمري مخرجا ومن كل ضيق فرجا

وفي هذه اللحظة خطر بذاكرتي رجل الدنيا وواحد هاهو محسن مصر الكبير ذي الايادي البيضاء والهمة الشاه من هو في عقد الكرماء القيمة المعصم المرحوم احمد باشا المنشاوي أمير العربية وبطل القرشية فنظرت نظرة في تاريخ حياة هذا الرجل العظامي العصامي فاذا هو مملوء بالحوادث الغريبة والوقائع المدهشة ومن العجيب أن المصريين لا يذكرون لهذا الرجل إمبراته الجملة وأحساناته التي طوق بها جيد الانسانية ولم يأت بمثلا مصري غيره على كثره عدد الاغنياء فيهم من أمثاله .

على أنه لم يكن في الكرم أقل منه في النجدة والشهامة وأباء الضيم وأغاثة الملهوف فقد حفظ له التاريخ حادثة مذبحة ططا في أبان الثورة العربية حيث رديد الثائرين عن المسيحيين واليهود القاطنين في طنطا وآوى منهم نحو الألفي نسمة الى سرايه بالقرشية وآمنهم وحملهم الى بلادهم على نفقته الخصوصية بعد أن دفن موتاهم وتلطخت ثيابه بدمائهم

حيث كان يحماهم وهم مطار وحون في الشوارع والازقة ويضعهم على
العربات .

وقد أهدهه الدول الاوربية جزاء هذا الجميل بنياشين عاتقها على
صدره مكان الدماء ولولا خوف الاطالة لذكرت من حوادثه الغريبة شيئاً
كثيراً .

وقد نظم بعض الشعراء قصيدة ضمنها الحوادث المرابية وغيرها من
مسائل شتى تتعلق بالمنشأوى باشا جاء فيها ما يأتي

على يوم طنطا في الزمان تحية	يعم شذاها كل باد وحاضر
رأى قوم موسى والمسيح كأنهم	سوام أتيجت يوم نحر لجازر
فكشفت عنهم فادح الكرب بعدما	كسا الارض ثوبا بالدماء الموائر
فشتت شمل الثائرين كأنهم	فوارط أسراب النعام النوافر
على صفحات الظلم خطت يد الاسبى	ولا قلم غيري المدى والخناجر
فكم من محيا في النجع مضرج	وبطن نخبص قد أصيبت بياقر
* وأم وليد غادرته برغمها	زريسة أنياب المنايا الكواشر
وكم قاصرات الطرف أصبحن بالمرأ	حواسر عما في ضمان المآزر
تمزق أيدي الظالمين جسومها	فيالك من أيد منيت بياتر
يصحن بيمون النقبية لابن	أخى نجدة حامى الحقيقة تامر
إذا لجأ الداني إليه فقد بني	له معقلا بين النجوم الزواهر
ومن نكد الدنيا عل الحران يرى	محامده معدودة في الجرائر

*
*

ولما غادر القطار مدينة طنطا ووصل الى محطة كفر الزيات واجتاز

الكوبري الممتد على النيل ذكرت في الحال ما وقع لاميرين من امراء العائلة الخديوية في عهد اسماعيل باشا اذ كان هذان الاثميان راكبين في قطار السكة الحديدية قاصدين الاسكندرية ولما وصل القطار بهما الى كفر الزيات كان الكوبري مفتوحا على خلاف العادة فسقط القطار في البحر وغرق كثير من الركاب ومن غرق أحد هذين الاميرين ونجا الآخر فيمن نجا . ولهذه الحادثة ذكر باقي الى الآن في افواه العامة والخاصة ولكن المؤرخون أغفلوه كأنه لم يكن من الحوادث ذات البال في تاريخ مصر السياسي وما قلناه من خصوص السبب في قتل عباس باشا الأول في سراي بنها يقال في هذه الحادثة .

وهكذا بقيت مفكراً في صروف الايام والليالي التي كانت أرض مصر مسرحاً لتثيل روايتها حتى وصلنا الى محطة الاسكندرية .



ماهي الاسكندرية وما حوادثها

الاسكندرية هي أكبر مدن القطر المصري بعد القاهرة وثغرها الاكبر في منتهى شمالها على البحر الابيض المتوسط . اختطها اسكندر الاكبر المقدوني حين استيلائه على مصر وانتزاعها من يد الفرس وجعلها مقراً للملك وذلك في سنة ٩٥٤ قبل الهجرة الموافقة سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وكان فيها من الآثار سلطنة عظيمة تان نقلت أحدهما الى نيويورك بالولايات المتحدة في قارة أمريكا والثانية الى لندن عاصمة انكلترا وقد قيل أنها كانت بها منارة من أغرب ما صنعته يد الانسان حيث ركبت امرأة فيها كانت تصوب نحو مصرا كب العدو اذا قصد الاسكندرية فتجرقها عن آخرها

وفي عهد استيلاء ملوك البطالسة على مصر كانت الاسكندرية محط رجال طلاب العلوم من سائر الامم حيث أنشئت بها مدرسة عظيمة لتلقي فنون الطب والفلسفة والرياضة وغير ذلك من العلوم . وقد تخرج منها كثير من فحول العلماء والفلاسفة والحكماء . وقد أنشئت بها دار للكتب حوت نفائس المؤلفات في تلك العصور .

ولا ندرى من أى طريق استدل المؤرخون الذين ينسبون حرق هذه المكتبة الى سيدنا عمرو بن العاص بأمر أمير المؤمنين سيدنا عمر ابن الخطاب . فإنه محض اختلاق منهم . وليست هذد بأول أكذوبه اقترأها المؤرخون على الاسلام والمسلمين والصحيح ان هذه المكتبة احترقت في عهد جول احد امبراطرة الرومان .

*
*
*

وفي ذلك العهد ترجمت أول نسخة من التوراة من اللغة العبرانية الى اليونانية بواسطة سبعين حبرا من احبار اليهود . وقد طرأ على الاسكندرية كما طرأ على غيرها من المدن الشهيرة أطوار كثيرة وأحوال شتى . ولكنها لم تزل أكبر ثغرى في أفريقيا على البحر الابيض المتوسط وهي أخذة في التقدم مدينة وخضارة . مكثت في الاسكندرية سبعة أيام وأنا أنجول في شوارعها مشاهدا ما صنعه يد المدينة الجديدة فيها فكنت أتخيل أني في بلد أربابوية لان مركزها الجغرافي التجاري جعل عدد الاجانب فيها من كل جنس يكاد يعادل عدد سكانها الوطنيين . فحيث مررت تجد حوانيتهم ومساكنهم ومحال تجارتهم . ولما كانت أهذه المدينة من القطر المصري بمنزلة الباب من المنزل

كانت عرضة لأول قبلة من قنابل الاسطول الانكليزي الذي أتى في عهد الثورة العراقية لقمع الثوار بقيادة الاميرال رلسلي وسيمور فضربت في يوم ١١ يوايه سنة ١٨٨٢ وبما كانت قنابل الاسطول الانكليزي تخربها في الخارج كانت الثوار يحرقونها في الداخل وحصلت في هذا الحين مذبحه هائلة بين الوطنيين والاجانب نهبت فيها أموالهم وأريت دنائهم .
وبعد هزيمة العراقيين ودخول الجيش الانكليزي عاصمة القطر المصري صدر أمر الخديوي بتشكيل مجالس قضائية لمحاكمة من يثبت عليهم الجنية في الثورة ومن لهم يد في المذابح التي وقعت في الاسكندرية وطنطا والمحلة الكبرى ودمهور فحكم بأحكام متنوعة على رجال كثيرة . ومن حكم عليه بالاعدام سليمان داود نجل داود باشا كان ضابطا في الجيش لانه هو السبب في أحراق الاسكندرية .

*
*
*

وأهل الاسكندرية يمتازون بأخلاق حميدة دون سائر أهل البلاد المصرية الكبرى . فهم أهل نجدة وشهامة يابون الضيم وبسارعون الى الخيرات وحب الوطن أمر غريزي في نفوسهم مع كثرة اختلاطهم بالاجانب ومعاشرتهم لهم ومعاملتهم إياهم .

وقفه على شاطيء البحر الابيض المتوسط

بكرت ذات يوم وأنا في الاسكندرية وكان الجو صافي الاديم بليل النسيم ومناظر الطبيعة قد ملكت على العين لفتاتها . فذهبت الى شاطيء البحر فاذا هو أصفى من ساعات السرور والشمس قد ألقث عليها أشعتها

فكانه في زرقته بساط مذهب أو لوح من البلور فيه نقوش ذهبية أجادت الطبيعة صنعها .

وكان أشرة السفن تغرس على الشاطئ، وكان الزوارق في ذهابها وإيابها طيور ناشرة أجنحتها البيضاء في الفضاء . وكان ذهاب السفن التجارية قطع السحاب الادكن .

أقيمت نظري على أديم البحر فكان السماء عند منتهي رمية الطرف قد التصبب بالبحر . فذكرت في الحال ما استدل به الجغرافيون على كوروبة الارض بأن المرء اذا ألقى نظره الى أبعد مسافة يرمي اليها الطرف يجد كأن القبة الزرقاء قد التحمت بالبسيطة الخضراء، فاذا ذهب وقف الى حيث انتهى بصره يجد الحال كذلك فاذا استمر على هذه الكيفية طاف حول الارض وهو يحسب أنه يمشي على منبسط غير مستدير

وعلى ذكر الجغرافيا تمثيل أمامي على الخريطة وأنا أنظر ما على شواطئه من المدن والنفور وحرركات عمال الجمارك وكل ذات الواح ودسرتمخر في عبابه وبينما أنا ناظر الى مارسم في مخيلتي من ثفور هذا البحر . تذكرت تاريخ مجد الاسلام وممالك الدولة العربية فرأيت كان العلم الاسلامي يحقق فوق ربوعها التي أصبحت الان في يد الاجانب بحيث لو كانت هذه البلاد والجزر والممالك الان في قبضة الاسلام لكانت دولتنا العلية تدعي سيادة البحار . أما مصر فأدع الكلام عنها الآن لانها لم تزل نحت سيادة الدولة العلية والكلام عليها يخرج بنا عن الموضوع الذي لاجله كتبنا هذه الرحلة . كما أترك الكلام على سواحل سوريا والبوسفور وكريدوالارخبيل فأقول ما ذكرني مجد الاسلام جزيرة رودس التي ساق اليها الاسطول سيدنا

معاوية بن أبي سفيان وهو أول أسطول اسلامي ذهب للفتح في البحر فأخذ هذه الجزيرة من يد الافرنج . وعاد الاسطول الى سواحل الشام ظافرا . ثم جزيرة قبرص التي أخذتها انكترا جائزة لها من الدولة العلية في الحرب الروسية التي حصلت معها ثم مملكة اليونان التي كانت ضمن ولايات الدولة العلية فأصبحت الان مملكة مستقلة . وقادها الفرور في سنة ١٨٩٧ الى محاربتها وبلغت درجت الفرور لديها أنها طمعت في فتح القسطنطينية وردها اليها بعد أن أخذها السلطان محمد الفاتح من عنقه من قبل سنة ١٤٥٣ ميلادية الموافقة سنة ٨٥٧ هجرية .

وما كدت أفرغ من النظر بيمين الخيلة الى هذه الجزر والبلاد حتى اعترتني دهشة وفشعريرة وحزن استولى على القلب حين ماوقفت على سواحل اسبانيا .

هذه المملكة التي كانت تمثل مجد الاسلام وثغر العرب أجل تمثيل . افتح المسلمون هذه البلاد في عهد الدولة الاموية في بدتها حيث ذهب اليها موسى بن نصير وطارق بن زياد بجيش لم يكن كثير العدد ولكنه كان يمدل الفرد الواحد من جنوده القاء . وبوغاز جبل طارق سمي بهذا الاسم لان طارق بن زياد حين مجيئه بالسفن الى هذا المكان وأرسل الجنود عمدا الى السفن فأحرقها وقال للجنود أما الموت وأما النصر . لاننا اذا نكبنا على الاعقاب فلا نجد سفنا للنجاة . فدبت روح الحماس في الجنود .

وهكذا تكون شجاعة الرجال وعظماء القواد والابطال .

وما زال موسى بن نصير يفتح البلاد الاسبانية حتى وقف على حدود فرنسا وأخذ جزءا عظيما منها وجزأ ايضا من البرتغال . وقد بقيت الاندلس

أربعمائة عام تقريبا وهي تحت حكم العرب وكان السلطان فيها يقل له أمير المسلمين .

وما كادت قدم العرب تستقر في هذه البلاد حتي ظهرت فيها المدنية الاسلامية بأجل مظاهرها وكانت سوق الادب فيها رائجة بالشعراء والمؤلفين والادباء والفلاسفة مع الاخذ في أسباب الترف والتعميم من بناء القصور الشائحات ذات الرياش الفاخرة والجوارى والمماليك والقيان والغلمان الي غير ذلك مما نشاهد آثارها الان بعين الدهشة والاستغراب .

ومما يحكي أن زوجة أحد الخلفاء فيها رأت لإحدي الجوارى تدوس برجلها في حفرة بها طين فكشفت الخليفة برغبتها في أن تفعل فعل الجارية فأمرها بأن تضع المسك في حفرة بدل الطين وتدوسه برجلها ففعلت . وبعد زمن وقع نفور بينها وبينه فقالت له في عرض حديثها أني لم أري منك يوما يسرنى . فقال لها ولا يوم الطين فتذكرت وخجلت .

وقد نقل المؤرخون من تفنن العرب في الاندلس في ضروب المدينة والحضارة ما ينفي الاطلاع عايه في محاله عن ذكره هنا .

ثم حولت نظري الى بوغاز جبل طارق الذي أصبح الآن في قبضة انكاترا فلما كنت به زمام البحر الابيض المتوسط من جهة المحيط الاطلنطي والذي له خبرة بحل الطلاسم السياسية يري أن انكاترا لما استحوذت على هذا البوغاز رأت ضرورة أخذ قنال السويس لسهولة الوصول الي الهند من طريق تملكها أو على الأقل يكون لها فيها امتياز بزوع خصوصي على سائر الدول . وأودعت رغبتها هذه ضمير الليالي حتي ساعدتها ظروف الاحوال

بمشطري الاسهم من اسماعيل باشا ثم جاءت الثورة المرابية واحتلت مصر فأصبح هذا القنال في حكم بوغاز جبل طارق . ولا عبرة بكونه حرا مع وجود الاحتلال .

فلو كان بوغاز جبل طارق باقيا في حوزة الخلافة مع قنال السويس وبوغاز البوسفور لكانت دولتنا اليوم قابضة على البحر الابيض المتوسط ولكان نفوذها فيه لا يعادله نفوذ أية دولة اخرى .

ثم عطفت نظري الى المملكة المراكشية وتأملات أحوالها السياسية والاقتصادية وماضي تاريخ ملوكها وما كانت عليه من الاستقلال التام قبل انعقاد مؤتمر الجزيرة الذي جعل استقلال هذه المملكة صوريا .

فلو كانت هذه المملكة سائرة على نهج الترقى المادى والادبي الذي سار عليه من قبل ملوكها من عهد دخول العرب الى أسبانيا لكان لنا بها بعض العزاء على ضياع الاندلس من يد العرب .

على أن وقائع الiber لم تؤثر على مرا كس التأثير الذي يجعلها تحافظ على البقية الباقية من استقلال الممالك الاسلامية في الغرب .

وأى العبر لديها بعد فقد تونس والجزائر من يد ملوكها وامرائها وطموح إيطاليا الى امتلاك طراس الغرب ثم احتلال انكترامصر

*
*
*

اجتمعت اساطيل دولتي فرنسا وأسبانيا في مياه طنجة لاجل تنفيذ مواد مؤتمر الجزيرة وهذه المواد لم تضمن غير اجراء نظام جديد واصلاح حسن مضمون الفائدة في بعض الوجوه الادارية في المملكة المراكشية .

وكان الاولى أن يكون للمراكشيين وازع من أنفسهم باجراء هذه

الاصلاحات بدون تداخل لاية دولة أجنبية . ولكنها الدول كلاجسام
تمرص وتعالج .

على ان منزلة مرا كس بهذا الاعتبار كما يقول الشاعر (ألم المريض
عقوبة الاهمال) .

أما مملكة تونس فلا اقول كلمة عنها في هذا الموضوع من حيث
احوالها الحاضرة والغابرة . ولكن افول ان عاصمة هذه المملكة إذا قرأنا
تاريخ الأديوار الزمانية التي مرت عليها تقف موقف الدهشة والاستغراب
في تحويل الاحوال وتصرفات الدهور . وسنفيض الكلام عنها عند ذكر قدومي
اليها وعن فرنسا التي تدخلت في شؤون المغرب الاقصي وامتلكت الجزائر
ووضعت الحماية على تونس .

وامتلاك فرنسا للجزائر يبين للمطلع عليه كيف يكون امتلاك دول
اوربا للبلاد الاجنبية عنها اذ ربما حكمت الملايين من النفوس فدية افراد
واحد من رعيته .

فقد نقل الرواة أن سبب أخذ فرنسا للجزائر هو أنه حصل شقاق بين
أميرها وسفير فرنسا أدى الى ان يضرب الامير السفير بمنشة كانت في
يده . فانقمت فرنسا لسفيرها باعلان الحرب التي للامير عبد القادر
الجزائري فيها ذكر مشهور فاحتلتها وامتلكتها بعد نفي الامير عبد القادر
الى بلاد الشام .

وسأجعل الكلام على سياسة فرنسا في الجزائر مدججا في الكلام على تونس
عند ما أصل الى موضعه

وقف بي التأمل في أحوال ممالك الاسلام الواقعة على شاطيء البحر الابيض

المتوسط عند حدود طرابلس الغرب فشبهتها وهي بين ملك الدولة العلية
وطمع ايطاليا بلقمة سائفة في يد رجل بخيل حريص يشتهيها على طمع
وجشع. وآخر يتحين الفرص لاغتياها . وليس لهذه المطامع الاوربية
حد تقف عنده . بل هي تطمع في تمزيق جسم الدولة العلية واقتسامها
بينها

*
**

الى هنا كنت قد مللت من الوقوف على شاطيء البحر الابيض المتوسط
كامل خاطري من الجولان على سواحلها في البلاد الاسلامية . تارة بالنظر
الى حالتها الحاضرة . وحينما بقاب صفحاتها التاريخية . وبقراءتي ما طرأ
عليها من تقلبات الزمان ومادهاها من طوارق الحدثان .

فليتأمل ذو اللب الحكيم الى هذه الممالك وليقدر الاسلام قدره لو
كانت كلها متحدة السكامة عائلة على ترقية الشعب حاكمة نفسها بنفسها . بل
ليقدر اخلافة قدرها لو كانت ممالك الغرب متحدة السكامة مع باقي ممالك
الدولة الاسلامية حيث بذلك تكون الرابطة الاسلامية الوثيقة العري رابطة
صراكش بالجزائر فتونس فطرابلس فمصر والسودان وسوريا وبلاد العرب
ففارس فالافغان ولايخفي ما يقوم به مسامو الروسيا والهند والصين من
المساعي الحميدة في انزاز الجامعة الاسلامية التي تربط كل مسامى الارض
ببعضهم وتجمعهم متحدين وان لم يكونوا في حكم اخلافة الاسلاميه .

*
**

هذا وان دول اوربا التي تتخوف من الجامعة الاسلامية تعمل
جهدا في تفريق كلمة المسلمين بدس الدسائس وقد تعبت في ذلك كثيرا

وذاقت ثمرة أفعالها .

ولما كانت الدول والشعوب تتراوخ بين الشبوية والطفوية والكهولة
كان الرجاء في عوده الاسلام الى عصر شبابه ومجده وعزه ملء قلب كل
مسلم نظر الي هذه الحركة الجديدة في كثير من بلاد الاسلام .

القيام من الاسكندرية

غادرت الاسكندرية على باخرة من بواخر الشركة الايطالية . وقد
أقامت الباخرة في أصيل ذلك اليوم الذي سافرت فيه ولم تمض ساعة على
سير الباخرة حتي اعترى جميع الركاب دوار من البحر فباتوا لياتهم في
سكون تام وأغلبهم لم يتناول شيئا من الطعام الا في ضحى الغد .
وما كنت قبل ذلك أعلم أن بلدة تسير بأهلها على وجه الماء وذلك أن
الباخرة على كبرها وكثرة عدد الركاب فيها تشبه بلدة ذات اسواق ومحال
عمومية وقهاوى يحتلف اليها الداس عند الفراغ من أشغالهم . حيث يوجد
في الباخرة محل متسع . فيه جميع انواع البقالة . فهو حانوت من جهة .
ومحل عمومي من جهة أخرى لانك تجد فيه طاوولات وكراسي يجلس عليها
الساافرون ويمضون أوقاتهم في لعب النرد والشطرنج والضمومينو وما اشبه
ذلك ويشربون في هذا المحل قهوة أو شايًا أو مشروبات روحية .
وكنت كلما ضجرت من الوحدة أتوجه الى هذا المحل . وترددى عليه
عرفت أحد السوريين وكانت وجهته الجزائر لطاب الرزق في تلك البلد
حيث ضاقت في وجهه طرق الكسب في الشام معللا هذا بنظام الحكام
وقسوة الاحكام .

ولكن عرفت أنه ممن يذمون سياسة الدولة العلية تقليدا لاني سأنته عن وجه ظلامته فلم يهتد الى الصواب المقنع . هذا فضلا عن جهله التام بحالة بلاده السياسية ولاقتصادية فظهر لي أنه ليس من اهل الطاقة التي من شأنها أن تحييط علما بمثل هذه الاوضاع . وكنت أحادثه في غير هذا الباب اضطرارا الى الانيس والسمير . وفي اليوم الثالث بعد خروجي من الاسكندرية وصلت الباخرة بنا الى حدود إيطاليا وألقت المراسي في ميناء مسينا .

مدينة مسينا

هي من مدن إيطاليا في البحر الابيض المتوسط وواقعة على مدخل بوغاز مسينا من الشرق وهي ميناء حربية وتجارية في الحالتين ذات أهمية كما أنها من أشهر مدن مقاطعة جزيرة صقلية . وهذه المدينة بنيت على نشاز من الارض او هضبة مرتفعة فترى منازلها كدرجات السلم . فيها فوق بعض وشوارعها ذات النحيدار واحد يداب . ولكنها في أجملة منظمة الشوارع مفروشة بالاسفلات بخالية من الاتربة وعلى جانبيها المنازل والفنادق والعمارات الضخمة البناء وأسواقها حافلة بأنواع البضائع الغربية . كما أن الفواكه فيها كثيرة جدا مما يدل على أن هذه المدينة كثيرة البساتين . وبهذه المدينة قلعة بنيت في البحر بحيث تمر السفن الذاهبة الى المرفأ بينها وبين المدينة وتسمى قلعة سنتبوري وليس اتقان بنائها بأضمن لصيانتها وصيانة المدينة من نفس الموضع الذي بنيت فيه على هذا الشكل

وفي مسينا كلية كبرى تخرج منها كثير من العلماء في كل الفنون التي تدرس في السكيات أسست سنة ١٥٤٩ ميلاديه اي منذ ثلاثة قرون ونصف

وفيهما كتبخانة جمعت الالوف من الكتب التي لا توجد في أغاب كتبخانات
اوربا وقد حدثني كثيرون بهذا ممن زاروا هذه الكتبخانة وشاهدوا ما
فيها من الآثار الملمية . وفيها نحو الثمانين كيسة من الكنائس الكبرى
المشيده البنيان المزداة بأجل النقوش واحسن الرسوم واكبرها الكنيسة
التي بناها الملك روجل

واكثر الصنائع انتشارا في هذه المدينة النسيج والدباغة اذ بها كثير من معامل
نسيج الحرير ودبغ الجلود مع جودة الصنعة وهي قد أسست في القرن العاشر
قبل الميلاد وقد جاء في التاريخ ان أول من استعمرها اليونانيون سنة ٧٣٥
قبل الميلاد . وقد تقابت هذه المدينة في احوال واطوار شتى حتى حصلت
الثورة الداخية التي اخدها القائد الطلياني لمشهور غاليلاردي ثم ألحقت
باملاك ايطاليا ولم ينزل كذلك الى الان . ثم أقلمت الباخرة من هذه المدينة
قاصدة نابلي

مدينة نابلي

هذه المدينة هي الرابعة في ايطاليا بعد رومه وبرنديزي وفينسيا
البندقية من حيث التجارة والمارف كما أنها من أم المواني لها في البحر
الابيض المتوسط . وهي تبعد عن صينا بمقدار ٢٠ ساعة تقريبا وكنت قبل
ان ترسو الباخرة في الميناء نظرت على بعد شبه شيء بمنارة المسجد فسررت
وقلت لعل هذه المدينة مسلمين لهم مسجد وهذه منارته . ولكن حينما نزلت
الى البر علمت أنها فانار البحر على شكل منارة المسجد تهتدى به البواخر
ليلا الى الميناء .

ولعلمي بأن الاقامة في نابلي تستغرق عشر ساعات اغتذمت الفرصة

للتجول في شوارعها لاشاهد آثار المدينة الغربية فيها . فكنت حينما مشيت
أجد الانظار شاخصة الى لان الزي الشرقي المصري في نظر هؤلاء غريب

*
**

وبينما أنا مار في بعض الشوارع واذا بصوت مناد يقول يا محمد وكرر
ذلك مرارا فالتفت فاذا بأحد الطليانيين يشير عليّ بالوقوف فوقفت وأني
خجاني بتحية المسلمين وصاحني قائلاً انك شرقي ويظهر لي أنك من اهل العلم
فقلت نعم . فقال لي أني استاذ في المدرسة الشرقية وأحب ان تزور المدرسة
لتري كيف نعلم لغتكم العربية في مدارسنا . فشكرته على شعوره وطلبت
منه مرافقتي الى السفينة لألبس ملابس غير التي عليّ حيث كنت بملابس
السفر فابي ظلي وكنت احادته في الطريق فاذا هو يتكلم بالعربية الفصحى
بغير لحن وقد اعطاني (كارتا) باسمه (توليو بزوشي) كما قدمت له (كارتا)
ايضا .

ولما وصلنا الي المدرسة قدمني للرئيس والاساتذة فقابلوني بالحفاوة
وبالغواني الاحتراف بي وكان حضرة المسيو (تولوبزوشي) خاليا من حصة
الدراسة في هذا الوقت فطلب مني اختبار الاملادة في اللغة العربية وتاريخ
العرب . وهم خليط من الطليان والفرنسويين وغيرهم فاخبرتهم في فصولهم
كلها . فدهشت لنجايتهم وذكائهم وسرعة أجوبتهم . الامر الذي جعلني اتني
لو يكون اهتمام مدارسنا المصرية بلغتنا العربية كاهتمام الايطاليين بها .
وكان التلميذ اذا تكلم بالعربية لا ياحن قط لانه تاني اللغة بحسب
القواعد النحوية كان يجيد النطق ذ تكلم بجواب عن سؤال . أو قرأ
في كتاب .

وغاية الامر أن الخط العربي هناك مثل خط اهل تونس والجزائر
والمغرب الأقصى .

ولم يقتصر القوم على تعليم اللغة العربية فقط . بل انهم يدرسون لهم
تفسير القرآن بطريقة عجيبة . حيث يحفظ التلميذ السور الصغيرة وبعض
الآيات مع فهم المعاني ومعرفة كم من الايات في السورة مكية وكم فيها
مدنية .

فلينظر المصري العربي الى هذه العناية العظمى بأمر اللغة العربية والقرآن
الشريف من قوم ليسوا من العرب ولا ممن يدينون بالدين الاسلامي الخفيف
وليقارن بينها وبين ما اتلقيه لغتنا في نظارة المعارف من عدم الاهتمام بها
وليأخذ له بذلك عبرة .

وبعد الانتهاء من اختبار البلاغة ودعت بما قوبلت به من الاكرام
الذي دل على حسن تربية القوم ، ومما لاحظته في نابلي أن الاحكام فيها على
جانب من الشدة والصرامة لاني شاهدت البوليس يسوق اثنين مكبلين
بالحديد ولم يرتكبا الا جريمة الخالفة .

وقد امتازت مقاطعة نابلي عن باقي مقاطعات ايطاليا بأن اهلها يميلون
الى الراحة والكسل والخمول ولذلك كثرت فيها اللصوصية والسلب والنهب
وقطع الطريق على السابلة .

* * *

ويظهر أن مياه الشرب فيها في زمن الصيف تضر بصحتهم . لانهم
يشربون الماء ممزوجا بمصير الليمون .

وكان بودى ان أمكث بضعة ايام في نابلي لاشاهد ما فيها من الاثار
وأطلع على أخلاق وعوائد القوم كثير مما عرفته في هذه المدة الوجيزة .

*
**

وقد شاهدت البركان المعروف بركان (ويزوف) وهو يتشاءب
دخاناً . وقد قيل لى أن هذه حالته دائماً ودخانها أشبه بدخان وابور الطحين
ومن العجب انه فوق قمة الجبل المشرف على المدينة وهي في السفح
قريبة منه ولا يمدون عنه خوفاً من انخطر القتال . مع أن حوادث هذا
البركان كانت تقضي على أهل نابلي بان يتمدوا بمساكنهم على مسافة بعيدة .
حتى يسلموا من مرمى منذوفاته التي ازهقت كثيراً من الارواح ودمرت
آلافاً من المساكن في المدة القريبة .

*
**

أعاد الى ذا كرتى وجودى في نابلي حادثان تاريخيتان رأيت أن اذكرهما
على سبيل الاستطراد . أولاهما تتعلق بساكن الجنان اسماعيل باشا
الخدوي الاسبق . وثانيتهما تتعلق بالمرحوم احمد باشا المشاوي . وانى
لا أقول شيئاً عن الاولى لان امرها معلوم وأما الثانية فهي ان المرحوم احمد
باشا المشاوي لما كانت في دار السعادة عقب الثورة المرابية ووشى به
الواشون بأنه هاجر من مصر الى الشام فدار السعادة لاجل دس الدسائس
واغراء أمراء العرب وغيرهم على مبايعة اسماعيل باشا بالخلافة وكثير مراقبوه
والجواسيس لم تفارقه أبداً وجد . مل الإقامة في الاستانة وأراد ان يهاجر الى
أوربا فحينئذ اليه السفر الفرنسي أن يذهب الى تونس وأكد له أنه اذا ذهب
اليها واقام بها يجد من راحة البذل والا كرام مالا يجده في غيرها من بلاد

أوربا . فقبل المنشاوي باشا وعقد العزيمة على المهاجرة الى تونس ولكننه رأى أن يدرج في طريقه على نابلي حيث بها إقامة المرحوم اسماعيل باشا لمقابلته وعرض ما أشار به السفير عليه .
فلما أراد السفر من دار السعادة أعطاه السفير خطاب توصية الى معتمد فرنسا في تونس كما أخبره بأنه بعث بخطاب آخر الى المعتمد للاحتفال به عند وصوله .

غادر المنشاوي باشا دار السعادة وعرج على نابلي وقابل اسماعيل باشا وعرض عليه ما أشار به السفير فنصح له بالابتعاد عن كل الامور السياسية التي تضر بصالح الوطن ووصاه بوصايا أخري نافمة .
ويقال أن المنشاوي اطاع اسماعيل باشا على خطاب السفير فقرأه مترجما بالعربية وقد وصف السفير المنشاوي باشا بالشبح فأستغرب ذلك وسأل الخديوي عن هذا الوصف فقال له ان لفظ الشيخ عند الاوربيين يدل على التبجيل والتعظيم .

وبينما المنشاوي جالس في احد المحال العمومية اذا برجل طلياني كان تاجرا في الاسكندرية قبل الثورة مر به وعرفه فسلم عليه وجلسا معا يتحدثان وقد سأل الرجل المنشاوي باشا عن محل اقامته فوصفه له وطلب منه أن يوالي زيارته مادام مقيما في نابلي . ولما افتراقا توجه هذا الرجل الى الجمعيات الخيرية وقال لرؤسائها كيف يوجد بين ظهرائنا ذلك الرجل الذي حمي المسيحيين يوم مذبحه طنطا وتلطخت ثيابه بدماء القتلى منهم الذين كانت يحملهم من الشوارع وهم جثث هامة وآوي الالف منهم في منزله بالقرشية وسفرهم الى بلادهم على نفقته ولم تعلموا بوجوده هنا ولم تحتفلوا به وتجزوا

له المظاهرات الودية . فاجتمع أعضاء هذه الجمعيات وقرروا فيما بينهم اجراء مظاهرة الاجلال والتعظيم للمنشاوى باشا

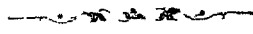
ففي اليوم الثانى استيقظ المنشاوى من منامه فوجد المآت من اعضاء هذه الجمعيات أمام منزله فنزل ورحب بهم فدعوه الى مأدبة أدبونها لاجله واعتذروا له عن عدم معرفتهم بوجوده في نابلي فلبى الدعوة

وفي ثاني يوم أتى اليه رؤساء وأعضاء هذه الجمعيات وكثير غيرهم من أكابر القوم هناك ومعهم الموسيقى وعملوا له موكبا حافلا كان يومه مشهودا حيث غصت الشوارع بالمتفرجين والنوكب يسير والمنشاوى في مقدمة الجميع وحوله الروساء والاعضاء وأمامهم الموسيقى حتى وصلوا الى محل الاحتفال وهناك تليت الخطب الرنانة في مدح المنشاوى وتمداد ما تره على المسيحيين والاوربين منهم خصوصا وفي وصف المذبحة التي حدثت في طنطا . وكان المنشاوى باشا واقفا على منبر وبين كل خطبة وأخرى يقلد نيشانا فخرا وهو يذرف الدموع من تأثير الحالة ويقول . ان هذا الاحتفال هو لاجل عمل عملته في مصر عدته حكومة بلادى من ذنوبى ثم تناولوا الطعام بمد الخطب وأقام المنشاوى معظما محترما حتى سافر الى تونس ولاداعى لذكركم قوبل به سعادته في تونس لان الوقت غير مناسب .

هذا والملخص مما تقدم ان نابلي بلغت في الحضارة والمدنية مبلغا عظيما وان لم يوجد فيها سوى (فيلانا سيوناله) هذا المنزه الجميل ليكفى لان هواه جيد للغاية خصوصا ان موقعه بجانب البحر .

وأهم شوارع هذه المدينة شارع (توليدو) او شارع رومية وطوله يبلغ ميلا ونصفا ويمتد من البحر الى الشوارع العالية . وتنفتح عنه شوارع كثيرة

أهمها الشارع الممتد الى ميدان (كافور) ثم اذا اردت ان أصف نابلي وما اشتملت عليه من المناظر الجميلة لاحتجنا الى زمن طويل ولكن في هذا القدر كفاية . ثم قامت الباخرة من نابلي قاصدة بالرما .



مدينة الرما

ان لهذه المدينة ذكرا في التاريخ خصوصا فيما يتعلق بالفتوحات الاسلامية ولذلك رأيت أن أبدأ الكلام عنها بلحمة تاريخية زيادة في الفائدة

*
*

كانت هذه المدينة اقدم مستعمرة للفينيقيين في صقلية وأهم مراكز قواتهم الحربية . وقد سماها اليونان « باورموش » والذي اكسبها هذه الالهية جودة موقعها الطبيعي وحسن مرفأها . واستمرت في حوزة الفينيقيين الى سنة ٤٨٠ قبل المسيح ثم استولى عليها القرطاجيون وبقيت في حوزتهم الى ان غلبهم عليها « بيزوش » ملك البيرة سنة ٢٧٦ ق م ولكن استرجعها الفينيقيون ثانية . واستولى عليها الرومان في الحرب البونيقية الاولى سنة ٢٥٤ ق م وطردوا الفينيقيين منها فكانت مستعمرة رومانية مسدة الامبراطورية كلها . وبعد ذلك دخلت في حوزة القوط ثم انتزعها منهم أحد القواد البيزنطيين .

وفي سنة ٨٣٥ للميلاد فتحها المسلمون وجعلوها قاعدة الجزيرة . قال ابن الاثير في تاريخه : ما معناه وسار المسلمون الى مدينة بارما فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله وعياله فاجيب الى ذلك وسار في البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد في رجب سنة ٢١٦ هـ

فلم يروا فيه الا اقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصره سبعون الفا ماتوا ولم يبق الا هذا القدر النزر منهم

واستمرت بالرهاهي والجزيرة في حوزة المسلمين إلى ان اخرجهم منها ملوك النور منديين وأنشأوا في القرن العاشر مملكة صقلية وأقام الشريف الادريسي ببلرما وألف جغرافية واصطنع الكرة الفضية في بلاط الملك روجر الصقلي الثاني . أما بلاط الملوك النور منديين فلبث في بالرها إلى ان ضمت صقلية الى مملكة نابلي . وحدث فيها زلازل شديدة اضررت بها كثيرا . وفي أثناء الثورة التي حدثت سنة ١٨٤٨ اطلق عليها عساكر المملكة المدافع . وفي ١٣ مارس سنة ١٨٦٠ دخل غاليلاردى صقلية وفي ٢٦ منه فتح بالرها بعد قتال عنيف في أسواقها ثم حصل الاتفاق على الجلاء عنها فخرجت منها العساكر النابلية في ٦ يونيو وجمعت مركزاً للحكومة المؤقتة . وفي ستمبر سنة ١٨٦٦ حدثت فيها ثورة وكان سببها ابطال الرهبنات ولكن العساكر المليكة اخمدت نارها بعد ملاحم شديدة .

وهذه المدينة تبعد عن نابلي بمقدار خمس عشرة ساعة وهي اكبر ميناء في الشمال الغربي من جزيرة صقلية . وكان الوصول اليها نهارا . فرأيت ان انزل من الباخرة للتجول فيها فنزلت وأخذت اسير في شوارعها الواسعة المنظمة وشاهدت بها من العمارات والآثار القديمة عدا آثار المدينة ما يأتي .

شاهدت فيها ساحة كبرى فرشت بالبلاط ومحاطة بالاشجار وهذه الساحة تسمى « ابرتوريا » فراقتي منظرها الجميل البديع . ثم ساحة « مرينا » وهي لا تقل عن تلك في الرونق وبهاء المنظر . وأعظم من تلك وهذه ساحة « فتوريا » من حيث الاتساع واتقان التنظيم وهي في منتهى شارع يدعى

شادع « فتوريا ايمانيل » والذي زادها رونقا وجعلها من الالهية بمكان وجود القصر الملوكي فيها وهذا القصر معد لاقامة الامبراطور حين مجئته الى بالرما وبها ايضا حديقة كبرى في وسطها . تفنن القوم في أساليب تنسيقها حتي صارت تعد من أعظم المنتزهات زخرفا وبهاء وبها حدائق اخري بدیمة الشكل تسر النفس وتقربها المين .

وشاهدت بهامن الآثار القديمة القصر الملوكي الذي بناه النور منديون واجادوا صنعه وهو محاط بالأشجار وعلیه سیماء الوقار علی مامر علیه من السنين والاعصار .

اما الكنائس القديمة والاديرة فكثيرة حيث يبلغ عدد الكنائس نحو ٢٥٠ والاديرة ٧٠ واهم هذه الكنائس الكنيسة الكبرى وهي في ام اجياء المدينة وحوطها سياج مما نسميه اليوم « درازين » وقد نصبت فوق هذا السياج تماثيل الفديسين . ومن أشهر هذه الكنائس الكنيسة التي بناها « روجل » الاول ولا تقل في جودة البناء، والضخامة عن الكنيسة الكبرى وبها نقوش ذهبية غريبة في بابها تدل على مهارة صانعيها وتفننهم في أساليب الزخرفة في البناء . ثم كنيسة « لاسنتارز الى » التي بناها « كوريون » الثاني على نمط الفونتيية وقد زيد في بنائها في القرن الخامس عشر للميلاد وقد وسعوا بابها وبالفوا في زخرفته مبالغة عظيمة . ثم كنيسة الفديس « سنت جيو فني » وهي كبيرة وقد جدد بها الرومانيون قبايا خمسا عجيبية انوضع بحيلة الشكل ويوجد كنائس أخري على هذا المنوال من ضخامة البناء وعمرابة الصنع مثل كنيسة (مورتورانو)

وكان لبالرما ميذاء ذات اهمية في سالن العصر ولكنها اهلست وصارت

خاصة بالراكب الصنيرة والزوارق بيتديء منها شارع (فتوريا ايمانيل).
وأحدثت بجانبها الميناء الجديدة وهي كائنة في شمالها على سفح جبل (بلجرونه)
ويوجد في هذه المدينة رصدخنة كبرى تسمى (سنطانفا)
وبالجملة فان بالراما مدينة آهلة عامرة بالمتاجر وكل انواع المدينة وهي من أشهر
المدن في ايطاليا ثم اقلعت الباخرة قاصدة مدينة «طراباني»

«مدينة طراباني»

وصلنا هذه المدينة بعد سبع ساعات وهي احدي موانى جزيرة صقلية
الغربية ولم تمكث الباخرة بها سوى ثلاث ساعات فلذلك لم أتمكن من
النزول اليها ومشاهدتها ولكنها ذات مناظر جميلة وحدائق غناء على صغرها.
وهي آخر منيا مررت بها في طريقنا من موانى ايطاليا. وهنا يجذبني ان أقول
كلمة عن جمال الطليان الطبي والمصطنع اذ لا بأس من ذلك. شأن السائح
الذي يصف كل ابراه عرضا كان أو جوهر افي سياحته اذ كان القصد
علم المرء الم يكن يعلم من احوال الامم الاخرى في كل الشؤون والاحوال.
وعليه أقول

*
*
*

يقول الشاعر العربي في وصف جمال العرب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية	وفي البداوة حسن غير مجلوب
أين المعين من الآرام ناظرة	وغير ناظرة في الحسن والطيب
أفندي طباء فلات ما عرفن بها	مضغ الكلام ولا سغ الحواجيب
ومن هوي كل من ليست بموهة	تركت لون مشبي غير مخضوب

هذا الشاعر يمدح جمال قومه الطبيعي الغير مجلوب بالصنع فما بالك اذا اُضيف الى الجمال الطبيعي الجمال المجلوب . لاشك في أن يكون الجمال بهذه الصفة أدعي للصبوة وأجذب للقلوب كذلك تفعل أمة الطليان لان الجمال فيها كما هو في العرب طبيعي ولكنها تزيد بالتنميتان الاخرى في تصفيف الشعر وحسن الازياء والتزين في الخلاعة حتي أنك ترى الفتاة الطليانية تمشي كأنها العنق يرنحه النسيم أو السكران لعبت بمشيتها الشمول . اذارت بمقامها سلبت العقول ونهبت الارواح ولا يسهني في هذا المقام الا أن أستعير كل وصف للجمال ونطق به الشعراء قديما وحديثا فأصف به جمال الجنس اللطيف الطلياني . وان كان في أمم العرب من يشاركها في هذا الوصف فتكون أمة الفرنسيس والاسبان والاخرى اقرب لانها جمعت بين الجمال الافرنجي والحسن العربي فما الظفهما اذا اجتمعا

*
* *

ثم أفلمت الباخرة من تراباني قاصدة تونس مباشرة وهي تبعد عنها بمقدار خمس عشرة ساعة تقريبا .

ولما وصلت الى تونس كان في انتظاري احد الاخوان الذي خاطبته بحضوري . وقد اخترت ان انزل في احد الفنادق رغم دعوة الكثيرين من افاضل التونسيين لانزول في ضيافتهم مع ما هم عليه من كرم الاخلاق وحسن رفاة الضيف . وقبل ان افول كلمة في ذكر ماشاهدته في اثناء وجودي بهذه المدينة اذكر شيئا مختصرا عن تاريخها لما في ذلك من الفائدة فأقول .

فذلكة عن تاريخ تونس

نريد الآن أن نذكر .لمخص مقاله أفاضل المؤرخين وعظماؤهم عن هذه المملكة العتيقة كي يكون القاري الكريم على علم تام من تقلبات الزمن وطوارق الحدثان .

*
*
*

يؤخذ من التاريخ أن أصل سكان أفريقيا التي يطلق عليها الآن اسم المغرب الاقصى في العرف العامي من البربر . وقد اختلف في أصل البربر فقيل أنهم من (الكنعانيين) الذين قدموا الى تلك الاصقاع من جنوب الشام وقيل غير هذا .

ولما فتح المسلمون أفريقيا وصارت للعرب دولة في الأندلس واختلطوا بأهل المغرب . زعم هؤلاء أنهم من الحمير بين الذين كانت لهم سلطة ودولة امتد سلطانها الى افريقيا وهي دولة السبابعة ولكن لم تنتظم لهم دولة لانهم كانوا قبائل متفرقة بينها تنافس دائم متواصل ولذلك حل بهم الضعف فكانوا طعمة لغيرهم من الدول وساعد على ضعفهم كون بلادهم ومواطنهم على سواحل البحر الابيض المتوسط . ومما عرف من اسماء قبائل البربر وذكر في التواريخ الرومانية قبيلة (موري) وبلاد أهل هذه القبيلة كانت تسمى (موريطانيا) ومن هذا اطلق عامة الأوربيين لفظ (مورو) على كل مسلم من سكان شمال افريقية كما كانوا يسمون برابرة المغرب الاوسط أي ولايتي الجزائر وقسطنطينية (نوميدى) ويسمون بلادهم (نوميديا) . وبمض برابرة الصحراء كانوا يسمون في عهد الرومان (ليفاتا) ولما حكم ملوك الرعاة مصر امتد نفوذهم الى أفريقيا وذلك قبل المسيح

بألف وسبعمائة عام ولكن لم يوسسوا بها دولة ولذلك لم يكن لهم في أفريقية ذكر
يحفل بتدوينه المؤرخون . وملوك الرعاة هم من العرب الذين حاربوا الفراعنة
وتغلبوا عليهم واحدثوا دولة دات عصر أربعمائة عام وفي عهد آخر ملك
منهم حصلت قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

*
**

ثم أعقبهم في أفريقية الفينيقيون الذين لهم ذكر مشهور في التاريخ وامتد
نفوذهم على سواحل البحر الابيض المتوسط وبعض الجزر ككريدو غيرها
وعلى شمال أفريقية كانت لهم مستعمرات كثيرة .
ومن المدن التي كانت لهم فيها متاجر واسعة . مدينة سوسة وتونس
وبزرت وأوتيكة . الى ان اسسوا مدينة قرطاجنة .

وقد زعم بعض المؤرخين ان المؤسس لها أميرة فينيقية اسمها (عيسار)
وقيل (ديدون) جاءت الى الشام بعد ان حصل بينها وبين اخيها نزاع ادى
الى مهاجرتها الى افريقية . فأشترت ارضا واسعة من البربر وانضم اليها قوم
من الفينيقيين فأسست لها مملكة هناك . ولها حديث طويل لاجابة بنا الى
ذكره هنا .

ولما دخل الرومانيون افريقية سموها مدينة قرطاجنة (كارتاغو) وفي
بعض التواريخ أن تأسس قرطاجنة كان سنة ٨٨٠ قبل المسيح اي قبل
الهجرة بنحو الف وخمسمائة عام

ولمظم موقع قرطاجنة التجاري تناول حكم الرومان بقية المراكز
الآخري التي في ايدى الفينيقيين . وبؤخذ من هذا ان للتجارة دخلا في
الاستعمار .

والدليل على هذا ان الانكاز لم يستولوا على الهند الا بعد ان وطدرا مصالح تجارية عظيمة في هذه المملكة الواسعة .

وكانت حكومة قرطاجنة في عهد الفينيقيين جمهورية يرأسها ايرن يجدد انتخابهما مستويا . احدهما من آل (عنون) والثاني من آل (برقة) ولكل منهما احزاب متنافسة . وهذا التنافس كان احد عوامل الفساد واسباب ضعف سلطة الفينيقيين .

وهناك داع آخر على هذا الضعف . وهو ان حكومة قرطاجنة في عهدهم كان همها منحصرا في التقدم المادي مع اهمال امرين خطيرين كانا سببا في سقوط هذه الحكومة وحلول حكومة الرومان محلها احدهما عدم اتخاذ جنود من الوطنيين البربر . وثانيهما كثرة المظالم والاستبداد الذي كانت تعاملهم به حتى انهم (اي البربر) كانوا عون الرومانيين في الاستيلاء على قرطاجنة .

وكان القرطاجنيون يعبدون اوثانا تمثل اشهر آلهة الفينيقيين . ومن هذه الاوثان (بعل . وعامون . وملك الارض) وكانوا يبالغون في تقديم النذور لهذه الاوثان . حتى انهم كانوا يذبحون اولادهم قربانها .

وكان القرطاجنيون على جانب عظيم من الترف واسباب المدينة ولكن لم يعثر أحد على شيء من الآثار مما يدل على مقدار ما وصلوا اليه من المدينة سوي كتاب في فن الزراعة اثر عليه الرومان بعد خرابها الاول ومؤلفه يدعى (مانغون) وقد ترجم الى اللغة اللاتينية .

ولما استولى الرومانيون على قرطاجنه قبل الميلاد أحرقوا ثم اعادوا بناءها فابثت الي ان جاء الفتح الاسلامي فأمر حسان بن النعمان باحراقها

ولم يحفل العرب بما تحث الردم من الآثار فبقيت هذه مدفونة الى ان احتلت فرنسا تونس وألفت شركة فرنسية اشترت اراضي من الفلاحين باليمن الزهيد واخرجت من الآثار شيئا تميئا من حلى واوان واكتشفت محال كثيرة كمراسيح وكنائس وهياكل وغير هذه (ولا يستوى الذين يمامون والذين لا يعلمون)

وفي القرن السادس قبل الميلاد كان اليونانيون من احمين للفينقيين في التجارة والاستعمار . ولما ارتبك اليونانيون في حروبهم مع الفرس اغتم القرطاجنيون الفرصة واستولوا على الجهة الغربية من جزيرة صقلية فخارهم احد القواد اليونانيين وردمهم على اعماهم وذلك سنة ٤٨٠ قبل المسيح . ودامت الحروب بين اليونان والقرطاجيين أربعين سنة انتهت بصلح دام الى اواخر القرن الرابع قبل المسيح .

ثم توالى السنين والحقب ودخات قرطاجنة في ادوار شتى حتى اذا جاء القرن الثاني بعد المسيح اندمج اعمال افرقية الاصليون . ونعني بهم البربر مع الرومانيين فنعلموا لغتهم واختلطوا بهم اختلاطا حتى آل الامر الى تولية احد كبار البربر امبراطورا على قرطاجنة وهو الامبراطور (سواربوس) الذي اختاره الجنده امبراطورا عليهم وذلك في اواخر القرن الثاني بعد المسيح وما زال مجد الرومان ينمو ويسمو حتى ادخلوا ضمن املاكهم مصر والشام وبلاد الاناضول والافلاق والبغدان التي تسمى رومانيا الان لان اهل هاتين الولاياتين زعموا انهم من العنصر الروماني وانهم نسل اولئك الايطال الفاتحين .

ومن قواد الرومان المشهورين (قارون) الذي له بحيرة باسمه في

مديرية الفيوم تبع الفطر المصري . ولما ادرك الهرم دولة الرومان واخذت تتدهور في مهاوي السقوط اتاح الله لها قبيلة جرمانية اسمها (لوندال) سلبت من يدها السلطة شيئاً فشيئاً حتى اصبحت هي صاحبة البلاد .

وذلك ان قبائل الجرمان تقاطرت من مواطنها ودخلت في مملكة الرومان وذلك في اوائل القرن الثالث بعد المسيح واختلطوا بالرومان كما اختلط الاعاجم والترك بالعرب في اواخر دولة اليباسيين فتخذ الرومانيون منهم الجند وقلدوهم الوظائف السياسية فأخذت سلطتهم تزيد ونفوذهم يكبر حتى صاروا اصحاب النهي والامر . واما السلطة الرومانية فكانت في ضعف متوال متتابع ومن هذه القبائل قبيلة (الوندال) المذكورة التي حلت بجنوب فرنسا واسبانيا وفتحت بلادا كثيرة ثم اسست لها مملكة بأسبانيا نسبت اليها من ذلك العهد فصارت تعرف (باندلوسيا) (الاندلس) اي بلاد الوندال . وكان بعض امراء الدولة الرومانية قد شق عصا الطاعة واستدعي الوندال ليعضدوه على الرومانيين وذلك في عهد احد ملوك (الوندال) المسمي (جنصريق) فووقت عدة حروب بينه وبين الرومانيين تحلها صلح ثم عادت الحروب مرة ثانية فزحف جنصريق على قرطاجنة بجيوشه فدخلها عنوة وذلك سنة ٤٣٩ بعد المسيح وبذلك سقطت دولة الرومان في قرطاجنة وحلت محالها دولة (الوندال) فسبحان مقلب الاحوال يتصرف في ملكة كيف يشاء

يعلم مما مر ان افريقية كانت اولاً للبربر وكانوا قبائل نوحشعوبيا . ثم لدولة قرطاجنة الفينيقية ثم دخلت ضمن مستعرات الرومان ثم دخلت في ملك (الوندال) وصارت مملكة وراثية .

أما حكم (الوندال فإنه دام من سنة ٤٢٩ بعد المسيح الى سنة ٥٣٢ .
وفي غضون هذه المدد زحف الونداليون بجيوشهم حتى دخلوا روما واستباحوها
أربعة عشر يوما وذلك من عبر التاريخ لان الرومانيين خربوا قرطاجنة سنة
١٦٤ قبل المسيح فجاءت جنود (الوندال) بمد ستائة عام وأخذت
بالنار .

وبما انه كانت للرومان مملكة اخرى شرقية لم يكن لهذه الدولة شأن
في كل ما وقع للدولة الرومانية الغربية بشأن افريقية الا في عهد الامبراطور
(يوستينيانوس) اذ في عهد هذا الامبراطور أخذت دولة الوندال في الضعف
فطمحت نفس الامبراطور الى الاستيلاء على قرطاجنة واعادة حكم الرومانيين
فتم له ذلك بعد حروب كثيرة وكان آخر عهد حكم دوات (الوندال)
الافريقية سنة ٥٣٣ بعد المسيح .

وكان العرب يسمون الرومانيين اهل المملكة الشرقية بالروم فلما جاء
الفتح الاسلامي أخذ العرب كل ما في ايدي الروم من بلاد الشام ومصر
الافريقية فتم توخذ الا في عهد السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٢ بعد
المسيح .

ولما توالى السنين كان العنصر العربي في افريقية هو الحال محل الفينقيين
والرومان والوندال ولم يزل الى الآن الا اسبانيا فانها بعد ان مكثت
نحو الاربعة قرون في يد العرب عادت الي حكم الافرنج ولم تزل الى الآن
وكان التاريخ أعاد الكرة على قرطاجنة التي لا أثر لها اليوم الا مدينة
تونس التي قامت على انقاضها فدخلت دولة فرنسا في هذه البلاد ووضعت
حمايتها على مملكة تونس ولله في خلقه شؤون

وقد عقدنا فصلا خاصا في هذه الرحلة بسياسة فرنسا في تونس
سيأتي في محله

وصف تونس بالاجمال

يري القادم الى تونس من جهة البحر مناظر القصور والحدائق الغناء بما
يجبس على العين لفتانها . فاذا جال في المدينة وجد الطرقات منظمة قد فرشت
بالبلاط والاشجار تنخللها لاسيما في شارع باب البحر فترطب الهواء .

وقد اعتنى المجلس البلدى اعتناء تاما بأمر النظافة فيهما من حيث الكنس
والرش فلا تكاد تمر في شارع من شوارع هذه المدينة الا وترى مايسر
الناظر من تنظيم الطرقات ونظافتها .

ويوجد بتونس خطوط الترام وهي أشبه بخطوط ترام الاسكندرية أنشئت
فيهما من نحو الستين تقريبا وأكثر شوارع هذه المدينة من حيث العمران
ومظاهر المدينة وحركة التجارة شارع باب البحر وهذا الشارع يسكنه
الاوربيون وبه محال تجارتهم وفنادقهم وقهاويهم . ثم شارع باب الوزير
فالاباب الجديد فشارع باب منارة فترج باب قرطاجنة فالخلفاويين .

ويوجد كثير من الشوارع خلاف ما ذكر قد أخذت قسطها من
مظاهر المدينة . اذ بها اسواق النجارة الوطنية كالغورية والحزاوى في مصر
وما أشبه ذلك .

وبالجملة فإن حاضرة تونس تعد في مقدمة مدن المغرب حضارة

ومدنية .

أخلاق أهل تونس والدين فيها

أما أخلاق أهل تونس فهي في مجموعها حسنة لأنهم يكرمون الغريب الوافد اليهم . وهذا ينفي ما هو شائع لدى العامة من بخل أهل المغرب . وقد يجوز وجود البخل في بعض بلاد المغرب الاقصى ولكن غير أهل تونس أما ما يوجد في اخلاقهم من الحدة فرجعه الى الصلاح والتقوى . لأن المعروف في أهل الفضل والتقى والدين . التسرع في الغيظ اذا رأوا أمرا مخالفا لآداب الدين

وهم سواسية في الوداعة وكرم الاخلاق وعدم الميل الى الملاذ والملاهي بخلاف غيرهم من أهل البلاد الاسلامية الذين اخطأوا بالاوربيين وقلدوهم في مظاهر المدنية الغربية . وذلك لانهم متمسكون بأوامر الدين ونواهيه فلا يتظاهرون بالفجور والفسق ولا ينتهكون حرمان الدين .



أما نساؤهم المسلمات فأنهن على جانب عظيم من العفة والصون حتى ان احدهن من السوق تمر في الطريق فلا يرى الناظر اليها عضوا من اعضائها مكشوقا . حتى انهن لم يتخذن نقابا كما تفعل النساء المصريات . بل نقابهن مندبل اسود يوضع على الوجه فيغطيه بأجمه . وفيه ثقب صغيرة بها يتمكن من مشاهدة الطريق .



أما النساء اليهوديات فأنهن بخلاف ذلك اذ يمشين في الطرقات مكشوقات الرأس بلا خمار سوى مندبل رقيق تعصب به الرأس وملبسهن

عبارة عن سروال (الباس) يصل الى العقب وقيص قصير وسدرية ووشاح يلقينه على الكتفين بحيث لو نزع هذا الوشاح لكان اشبه شيء ، بنساء فلاحي مديرية الشرقية والغربية في القطر المصري .

*
* *

وقد شاهدت القوم هناك في يوم الجمعة فريقا يصلون الجمعة في الوقت الذي يصل فيه اهل مصر والبلاد الاسلامية الاخرى .
وفريقا يصلون قبل العصر بنحو النصف ساعة . وهذا وإن كان جائزا شرعا ولكنه كان الاوفق أن يجتمع المسلمون في وقت واحد لاداء فريضة الجمعة لما في ذلك من معنى الاتحاد وعدم التفرق .
أما الخطب الدينية في مساجد تونس فهي لا تخرج عن الخطب في بعض مساجد مصر . اذ كلها مما هو مذكور في دواوين الخطب ومسموع في كل جمعة . فليت حضرات الخطباء الافاضل في تونس يلقون الخطب المصرية الموافقة للحالة الحاضرة والصالح العام ويتفون على الداء ويصفون الدواء كما كان يفعل السلف الصالح من تذكير المسلمين بالمناسد في كل زمن وكل مكان

وليس للمساجد هناك ما آذن كما في مصر وغيرها من بلاد الاسلام بل يوجد بجوار المسجد مكان مدور البناء يصعد اليه بدرج وفيه اربع نوافذ وفي كل نافذة افريز يقف عليه المؤذنون في اوقات الصلاة .

ولا يؤذن واحد بل جماعة يتراوح عددهم بين الخمسة والستة أشخاص ووقت الاذان هناك لا يعرف بالساعة بل يوجد بجوار دار الوزارة ساعة رملية تعرف بها الاوقات . فاذا علق في المكان الذي فيه الساعة

الرمزية علم يكون علامة على حلول الوقت وذلك نهارا
أما اذا جاء الليل فأنهم يملقون نبراسا (فانوسا) وبعد الاذان ينزلون
العلم او النبراس .

﴿ حالة التعليم في تونس ﴾

لا توجد مدرسة اسلامية في تونس ايتاقي فيها المسلمون علوم الشرع
الشريف الا جامع الزيتونة . وقد كنت اظن أن هذا الجامع كالا زهر في مصر
من حيث كثرة الطلاب واتساع المكان . فلما قدمت الى تونس وزرت هذا الجامع
وجدته في اتساعه لا يزيد عن المسجد الحسيني والطابة فيه قليلون لا يزيدون
عن خمسمائة طالب والمدرسون فيه ستة عشر عالما وهم مع قلتهم متفرقون
في زوايا المسجد غير منتظمي الهيئة من جهة المطالعة او الحضور في الدروس
وان شئت قل هم في التمثيل كطابة الازهر أيام خلوه من هذا النظام الجديد
الذي لم نعد نحس للمصريين وافيا بالمرام .

وقد بأسف المرء كثيرا عند ما يري مثل هذا الجامع الذي يعد
المدرسة الاسلامية الثانية في قارة افريقية قد وصل الى هذه الحالة من عدم
النظام الدراسي مع قلة الطلبة والذي عرفته أن العلماء هناك يعارضون في كل
إصلاح يراد إدخاله في جامع الزيتونة كمتدريس العلوم العمرانية مع أنهم
غير محقين في كل معارضة تبدو منهم . لان ادخال مثل العلوم الرياضية لا تؤثر
شيئا على العلوم الدينية . بل هذه العلوم هي بمنزلة علوم الوسائل كالبلاغة
والنحو والصرف وحكمها الوجوب الكفائي .

ولو تصفحنا التاريخ لرأينا أن الازهر كانت تدرس فيه علوم الطب

والهيئة والفلسفة والحساب والهندسة والجبر والجغرافيا ولم يكن التعليم فيه قاصرا على العلوم الدينية .

ولرأينا أيضا أنه في زمن المأمون ذلك الزمن الذي اهتم فيه المسلمون بالعلوم أيما اهتمام . كانت مدينة بغداد حافلة بالعلماء والادباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم ممن تخرجوا من المدرسة التي أنفق عليها أحد الوزراء مائة الف دينار وحبس لها أعيانا يربو ريعها على الخمسة عشر الف دينار وكان التلامذة فيها ستة آلاف تلميذ فهذا الرقي الذي كان في زمن المأمون لم يكن قاصرا على العلوم الدينية بل كان المدرسون في هذه المدرسة من غير المسلمين كابن بختيشوع . وكانوا لا يأنفون من تلقى العلوم على غير المسلمين وفي هذا العصر اجتهد المأمون في ترجمة كثير من العلوم اليونانية الى العربية وبذلك تقدمت الامة الاسلامية قدما لم يزل التاريخ حافظا ذكره الى الآن .

على ان سمو البايع لا يبخل بالنفقات على هذا المعهد الديني ولو زادت على ما هو محبوس عليه من الاوقاف الكثيرة . متى رضى العلماء بدخول الاصلاح فيه .

ولا نرى دليلا على وجوب الاصلاح نسوي الحالة الحاضرة التي اصبح المسلمون فيها في احتياج شديد الى تعلم العلوم المصرية التي هي السبب الوحيد في تقدم الامم الراقية في المدنية ذات الاختراعات المعجبية مما لم يحلم به أهل الزمن السابق .

وإني في هذا المقام أتقدم الى حضرات العلماء في جامع الزيتونة بالرجاء بصفتي مسلما أحب النفع لآخواني المسلمين أن لا يمارضوا في الاصلاح الذي يراد ادخاله في هذه المدرسة .

وما كنت لاقول ذلك لو لا ما رأيته من تأسف كثيرين من أهل تونس على التأخير الهائل الموجود في نظام هذا الجامع .

وهذه مدرسة عليكرا بالهند اكبر دليل علي صدق هذه الدعوى . فان هذه الكلية تدرس فيها جميع العلوم . وقد بذل الاغنياء كل جهدهم في انشائها وتنظيم التعليم فيها كما فعل صاحب السمو امير الافغان في الكلية التي انشأها في عاصمة بلاده . وقد ندد في خطبته حين وفد الى الهندوزار كلية عليكرا علي الذين يقولون ان تعليم العلوم العصرية يؤثر على الدينية .

وعسى ان يبلغ الرجاء مسامع أهل تونس وعلمائهم ويقمع لديهم موقع القبول .



وتوجد بتونس مدرسة أخرى يقال لها المدرسة الخلدونية التي كان للسيد محمد البشير صفر رئيس جمعية الاوقاف اليد الطولي في تأسيسها وحالة التعليم فيها غير كافية لان يتخرج منها الناشئة الذين يؤدون للبلاد الخدمة المطلوبة من ابن الوطن لوطنه .

ويدرس بهذه المدرسة - مثل العلوم الرياضية ومبادئ اللغة الفرنسية وتلامذتها هم من بعض طلبة جامع الزيتونة ومن ضمن المدرسين فيها حضرة الفاضل البارح السيد محمد البشير صفر الذي يدرس فيها علم التاريخ وتقوم البلدان وهذان المدرسان لا يأخذن نفودا في مقابلة تدريسهما . وهذه خدمة منه لبلده يشكر عليها زيادة عن الترقى المادي والادبي الذي ينتج من افكاره لهذه المدرسة .

أما الكتابيب فهي مع قائمها لا تجدي نفعا اذ هي ككتابيب الارياف في مصر قبل هذه النهضة التي نهضها المصريون لاصلاح شأن الكتابيب .

*
*

والاهالي كلما عرضوا على الحكومة رغبتهم في انشاء مدارس دينية تأتي الا ان يتمهد الاهالي بدخول الائمة الفرنسية ضمن العلوم التي تدرس في هذه المدارس . واذا عارضها الاهالي بان هذه مدارس دينية محضة فلا تعير اعتراضهم جانب الالتفات .

وبالجملة فان حالة التعليم في تونس في تأخر هائل . وربما بعد عشرة سنوات ننتظر منهم تقدما باهرا .

والذي ينظر الى حالة الازهر في مصر والى جامع الزيتونة في تونس يأسف كل الاسف . إذ هما المدرستان الدينيتان في قارة افريقية وليس التعليم فيهما على الطريقة التي بها يستفيد المسلمون منها الفائدة المطلوبة . ولا يسع من يقف على حالة التعميم في تونس إلا أن يشكر نظارة المعارف المصرية قليلا لما تبديه من الاهتمام . وان كانت الشكوي عامة من المصريين بخصوص عدم الاهتمام بشأن اللغة العربية في المدارس الاميرية ويا حبذا لو اقتدى التونسيون بالمصريين في انشاء الكتابيب والمدارس على نفقاتهم فانهم بذلك يصلون الى درجة في السعادة غير هذه الدرجة الآن .

﴿ الصحافة في تونس ﴾

كانت الصحافة في تونس قبل أن يتولي السفارة الفرنسية فيها الميسو يشون غير مطلقة الحرية على قلة عدد المشتغلين بها فلما جاء الى تونس منحها

الحربة في القول وذلك يعد حسنة من حسنات هذا الرجل الذي له منزلة عظيمة في قلوب اهل تونس . وحبذا لو كانت سياسة فرنسا في تونس موكولة الى رجال كالموسيو بيشون في الذكاء وحسن الاخلاق وحب خدمة الانسانية . ولا يظن أحد أني بمدحي سياسة هذا الرجل هو مدح لسياسة فرنسا في هذه الايالة لان مدح فرد واحد لا يتناول كل الافراد المكونة منهم أمة واحدة لان المعاملة التي يامل بها هذا الرجل أهل تونس هي من الامور المختصة بذات الشخص وبملاقاته الذاتية مع الناس كلهم أما ما توحى به اليه دواته من الخطة التي يتبعها في تونس فانه ينفذها بقدر ما يمكنه من ضروب التلطف و مراعاة المواطنين القومية .

*
*

لا توجد جرائد يومية عربية غير جريدة واحدة اسمها « الرشدية » صاحبها حضرة الفاضل السيد حسين عثمان . ولكنها تطبع بحروف غير واضحة لا تقرأ الا بكل صعوبة وهذا مما يلبس على القارئ من اهل تونس المعاني المقصودة فكيف بمن لا يتعود القراءة في الصحف المسطورة بالخط المغربي من غيرهم .

على أننا اذا قسنا تونس بغيرها من البلاد المتمدنة لرأينا انه يجب على أهل تونس أن ينشؤوا عدة جرائد يومية وفيهم الاغنياء والكتاب والعلماء في العلوم العمرانية وغيرها .

وقد اتصل بي بعد مغادرة تونس انه اجتمع بمض اهل الفضل فيها ونشؤوا جريدة باللغة الفرنسية لتنظر في مصالح الوطن وتدافع عن حقوقه واسكن هذه الجريدة اسبوعية وكان الاولى بهم جعلها يومية . وربما

تيسر ذلك لهم في المستقبل .

ويوجد غير هذه جرائد اسبوعية أصحابها من الافاضل والكتاب
كجريدة الزهرة لمديرها حضرة السيد عبد الرحمن الصنادلي الذي كانت
له اليد الطولي في إقناع الحكومة بشأن حادثة المسجونين التي سيأتي ذكرها
وجريدة الصواب لمديرها حضرة الفاضل السيد محمد الجمالي .
وجريدة الحاضرة لصاحبها حضرة علي افندي بشوشة وهي أول جريدة ظهرت
في تونس . وجريدة اظهار الحق لمديرها حضرة الفاضل السيد احمد القبائلي
وجريدة حبيب الامة لمديرها حضرة الفاضل عبد الرزاق افندي الذي
حاز قسطا وافرا من العلوم العمرانية الحديثة . ويوجد غير ما ذكر جرائد
اسبوعية عربية أنشئت حديثا أصحابها هذبهم العلم واحسن تربيتهم وانبتهم
نباتا حسنا .

ولكن البلاد في حاجة الي جرائد يومية لتنتقل الاخبار الخارجية
والتقاريرات وغير ذلك شأن كل امة أخذت نصيبا من المدنية .
قلو ان هؤلاء الافاضل اتحدوا وانشؤوا جريدة يومية لكانوا ادوا
الى وطنهم خدمة أجل وافع مما هم قائمون به الآن .
والحرية التي للصحافة في تونس تراقبها الحكومة مراقبة شديدة
ويمكنها ان تحجب اي جريدة كانت لسبب صغير كالانتقاد على بعض اعمال
الحكومة كما جري لحضرة صاحب جريدة الزهرة .
وكأنني بمعتز بقول إذا كانت مراقبة الحكومة للجرائد هذه المراقبة
فلا حرية اذن للصحافة في تونس . فجوابا على ذلك نقول ان من عرف
حالة الصحافة قبل مجيء المسيو بيشون وقاسها بالحالة الحاضرة يعبها بمنزلة

الحرية اذ كانت الجرائد من قبل أقل منها الآن عددا ولم تكن تنقل غير بعض
الاخبار التي لا تفيد الاية بشيء مطلقا

واني اقترح علي حضرة الفاضل صاحب جريدة الرشدية أن يجعل
حجم حريده أكبر منه اليوم وأن يشترك في تلفرافات روتر وهافاس وأن
يطبع الجريدة بحروف واضحة ونظن أن هذا لا يكلفه كبير عناء خصوصا
مع وجود الموسرين هناك الذين يلبون دعوته اذا دعاهم الي تمضيده لان
مثل هذا العمل هو في الحقيقة خدمة لبلادهم وهم يعلمون أن أحسن وجه
ينفق فيه المال هو هذا الوجه الذي يخلد لهم ذكرا حسنا على صفحات التاريخ

سياسة فرنسا في تونس

كانت الدول ذات الحول والطول في العصر الاول اذا دخلت بلادا
فاتحة حاملة راية النصر تستعمل القسوة وانواع العسف والفتك بالارواح
واضطهاد الامة المغلوبة لتتوطد بذلك سلطتها وتثبت في النفوس هيبتها
كتميز الفارسي حين دخوله مصر وكما فعل بختنصر البابلي في بيت
المقدس والفراعنة حين امتداد ملكهم الى آسيا الكبرى وكما فعل الحجاج
وزياد في العراق ولو أردنا أن نورد الشواهد التاريخية لاتسع بنا المجال
واحتجنا الى الوقت الطويل . ولكن في هذا العصر قد اتخذت الدول
سياسة خلاف تلك السياسة في البلاد التي تدخلها فاتحة غالبية وهي سياسة
حسن المعاملة والرفق بالاهالي وجلب مودتهم بأنواع العدل والمساواة
والاصلاح وغير ذلك من الاشياء التي لا تنفر عنها الامم الخاضعة لها . ولكن

دولة فرنسا اتبعت تلك السياسة القديمة في تونس والجزائر فهي تعامل
الاهالي معاملة الاذلال والضغط والمسامين منهم على وجه أخص .
فالوظائف العالية كلها في يد الفرنسيين والامر والنهي بيدهم يفعلون كيف
يشاؤون شأن الحاكم المستبد المطبق التصرف بغير رقيب عليه
وما يقال من وجود قوانين في الادارة وغيرها فاعلم هو امر صوري
فقط .

*
**

وفي هذا المقام يجمل بنا أن نورد المقارنة بين سياسة فرنسا في تونس
والجزائر وبين سياسة انكلترا في مصر وبذلك يكون القياس على سياسة
فرنسا كما سنذكره . ولست أريد بإيراد هذه المقارنة مدح سياسة الانكليزي في
مصر ولكن أذكرها من باب توضيح أن بعض الشر أهون من بعض

*
**

احتمات انكلترا مصر بدعوة من الخديوى السابق المنمور له توفيق باشا لما يبد
مركز الخديوية فأخذت نيران الثورة وبمجرد دخولها أخذت في بذور بذور
الاصلاح فأصبحت دائرة لرى والمالية ونظمت الجيش وهامى قد بدأت
توسع دائرة التعليم مع الاعشاء بلغة البلاد الرسمية حيث حضت الاهالي
على انشاء المكتاتيب ومحت آثار الظلم والاستبداد وألفت السخرة والعونة
وجعلت الموظفين سائرين على دستور يوقف كلا عند حده . وما شا كل
ذلك من أنواع الاصلاح لذي نشاهد آثاره الآن بالميان .

*
**

أما فرنسا فأنها حين دخلت مصر استعملت أنواع الظلم والجور فقتلت كشييرا

من الاهالى ويتمت أطفالا وأيمت أرامل وأهانت أ كابر المصريين بالقتل
والذنى وعائت فى البلاد فدادا حتى اخلطت الانساب وذاك لا تقمله دولة
متمدنة حتى إنها خرجت من البلاد مرغمة ولم تترك لها حسنة يذكرها
لها المصريون .

والذى يقرأ تاريخ دخول فرنسا مصر فى ذلك العهد يعلم كيف كانت سياسة
هذه الدولة فى معاملتها الاهالى إذ مكثت ثلاث سنوات كل أيامها مملوءة
بالفظائع والحوادث التى تقشعر لها الابدان وترتعد منها الفرائص .
وقد اتخذت فرنسا هذه السياسة نفسها فى تونس فهى تعامل المسلمين هناك
معاملة الغلظة والقسوة واليك بعض الحوادث التى حدثت فى تونس وسمعتها
من أوثق المصادر

*
* *

أولا

انهم اثنان من اهل تونس بارتمكاب جريمة غير القتل فأودعا فى
السجن وكبلا بالقيود ولبثا فيه حينما من الدهر وهما يذوقان كل يوم انواع
العذاب وصنوف الاهانة من السجنائين حتى وصلت الحالة بهما الى أن مرضا
مرضا شديدا وأشرفا على الهلاك وعجزا عن الحراك والنطق فلم يمكثا الا
قليلاً بعد أن دخلا فى دور المرض حتى فارقا الحياة وذهبها ضحية قسوة
السياسة الفرنسية .

*
* *

ويشاع أنهما دفنا وروحاها لم تفارق الحياة
وفى ذلك الوقت قامت جريدة الزهرة لصاحبها القيور السيد عبد

الرحمن الصنادلى الآنف الذكر تدافع عن حقوق الانسانية وتنتقد عمل الحكومة فلم يرق في عينها إلا قفل هذه الجريدة وبمد سنة تقريبا عادت مرة ثانية بمد أن قدم احتجاجه بصورة قضية بينه وبين الحكومة يطالبها فيها بدم قفل الجريدة لانه لم يذكر شيئاً بمد جريمة شخصية او سياسية (ثانياً)

كان أحد الجنود الفرنسيين الذي اسمه «ديك» متقيماً عن منزله فلما عاد إليه أخبرته زوجته أن أحد الاهالي دخل عليها وهي في بيتها قاصداً سوءاً فلم يكن من الجندي الا أن تناول مسدسه وخرج من البيت وركب البسكليت وسار في الطريق ولم يبعد عن داره قليلاً حتى أبصر بعض الوطنيين الذي يدعى محمد عبد الله عمر ماراً فناداه بالوقوف فدعمر الوطني منه لانه ناداه نداء ارهاب فولي من أمامه فأخذ الجندي يمدو وراهه بسرعة سير الدراجة وقبل أن يلمسه رماه برصاصة من المسدس أصابته فوقع على الارض مضرجا بالدماء ولكنه لم يموت

وعلى أثر ذلك استدعي الجندي من محل المضروب الى المستشفى ولما ضبطت الواقعة واخذ التحقيق مجراه استدعيت زوجة الجندي الى المستشفى وأمرها قاضي التحقيق أن تعين الرجل من بين المرضى فعيّنت رجلاً آخر مضي عليه زمن لم يبرح المستشفى!

ولما سئل الجندي عن سبب إطلاق المسدس على رجل لم يتحقق أنه

هو الفاعل اجاب بأنه فعل ذلك على ظن منه انه هو الجاني الحقيقي .

وكان المحكمة التي قضاتها من الفرنسيين رأيت أن اظهار خطأ الجندي

وبراءة الرجل الذي ضرب مما يحط من كرامة الجندي أو يلحق العار بدولة

- ٥٣ -

فرنسا فاحتالت في اثبات التهمة على الرجل التونسي . وساعدها على ذلك
أن له سابقة فحكمت عليه بسنة - جينا وعلى الجندي بستة أشهر !!

١٠

أهم القضاء احد الاهالي التونسيين فحكّم عليه لاجلها بخمسة عشر سنة
سجنا مع الاشغال الشاقة وبعد انقضاء هذه المدة - ينفي من القطر التونسي
عشرين سنة اخري !!

رابعاً

تعدي احد النزلاء الغربيين علي احد الاهالي من المسلمين وحرق
أجرانه ويقال انه حرق اثنان بسبب ذلك من الاهالي وفي أثناء التحقيق
ادعي الرجل الاوروبي أن المسلم كان بادئاً بالتعدي. فحكمت المحكمة على الجاني
بستة أشهر سجنا ولكن هل حبس الجاني ؟ لم يحبس . لان قانون مرسيا
وهو قانون خاص بمحاكمة الاجانب يقضي بان لا يحبس الاوروبي بل
يظل مطلق السراح باسم المحبوس . ولا يدخل السجن الا بعد أن يرتكب
جناية اخرى في ظرف خمس سنوات تفضي من تاريخ وقوع الجناية . أما
اذا مضت هذه المدة ولم يفعل ذنباً ثم ارتكب جناية اخرى تعتبر الجناية
الاولى كأنها لم تكن وقعت منه

خامساً

يقول الفرنسيون انهم اول الامم محللظة على بحرية الاكديان ولكنهم
مخالفون لهذه الدعوي كل المخالفة في تونس . مثل ذلك البدلية العسكرية
يدفعها المسلم ثمانمائة فرنكا وأما اليهودي فيدفع خمسمائة فقط . واذا دهس
الترام مسلماً فالغرامة التي تدفعها الشركة خمسمائة فرنك وأما اذا كان يهودياً

قصاصات .

سادسا

إذا أراد أحد الأهالي أن ينشيء مكتبا لتعليم الاطفال كالمكتاب
الاسلامية التي يعلم فيها القرآن الشريف اجبرته الحكومة على ادخال اللغة
الفرنساوية في بروجرام التعليم .

سابعا

حادثة القصرين

إذا كان حادث دنشواي شغل افئار العالم السياسي واقام الصحف
واقعداها وردد صدها في أنحاء العالم اجمع . فان حادث القصرين افطع واشنع
لا بل هو النقطة السوداء في تاريخ فرنسا السياسي الاستعماري حيث مثلت
فيه التوحش والقسوة اسوأ تمثيل وغرست بذور البغضاء في قلوب اهلى
تونس والجزائر .



وقعت مشاجرة بين بعض اهالى تونس وبعض الاوروبيين فأرجف
لفرنسيون بأن هذا ناتج عن تعصب ديني فالقت القبض على الوطنيين
وجرت محاكمتهم فصدر الحكم بشنق وسجف ونفي الاشخاص الآتي
بيان اسمائهم :

حكيم بالاعدام على ثلاثة في مدينة سوسة وهم . محمد سعيد الوقاف
ومحمد بلقاسم قعيد . وعمر على عبده . وبالشغال الشاقة مدة عشر سنين
على عمر عثمان والمنع من دخوله البلاد . اي نفيه بعد قضاء مدة السجن
عشرين سنة . وبالشغال الشاقة المؤبدة على المقدم على محمد صالح . وحرث

باتاسم على . وبالإشغال الشاقة لمدة عشرين سنة على تسعة اشخاص . وبها على خمسة لمدة عشرة اعوام . وستة لخمس اعوام . وعلي ثلاثة لمدة خمس سنوات سجنا بسيطا . وسبعة لأمين كذلك ، وعلي واحد بعشرين سنة اسجن الصبيان .

وعلي ثلاثة بالسجن مثله لخمس اعوام وقد اتصل بي بعد عودتي الى القاهرة من بعض المعارف هناك أن الحكومة اصدرت عفوها عن المحكوم عليهم بالإعدام وأن هذا العفو سبب عن تدمير الاهالى لهذه الاحكام القاسية فلينظر الذين شاهدوا وعرفوا حادث دنشواى الى هذه الحادثة ايضا التي تدرّب لها القلوب . بل الصخر الجامود وليضعوا هذه الدولة موضعها من المدينة أو التوحش .

ولما كان الشيء بالشئ ، يذكر نذكر هنا على سبيل الاستطراد بعض ما فعله الفرنسيون في مصر حين احتلوها في عهد بوناپارت ليعلم الجاهل بالتاريخ أن الذين يصفون الفرنسي بالشفقة علي بني الانسان مخطئون خطأ يينا .

أول ما دخل الفرنسيون مصر لم يحترموا الدين فجعلوا الازهر اسطبلا لخيو ولهم وأهانوا العلماء . وعاثوا في البلاد فسادا وانتهكوا الاعراض وداسوا بأقدامهم على الفضيلة فأختلطت الانساب . هذا فضلا عن الابراء الذين شتموا من الاهالى في حادثة مقتل كليبر حيث جاء احد السوريين من المسلمين واعتدي علي هذا القائد بقتله بحديقة الدار بالجيزة فحكم عليه وعلي الذين يعرفهم من الاهالى وطلبة العلم الشريف بالشنق ولم يشتركوا معه في الجناية .

ولقد بلغ استبداد دولة فرنسا في تونس الى درجة لم تكن تتوقع من دولة متمدنة لانها حظرت على الاهل أن يقبلوا نزلا من اخوانهم المسلمين من اهل المدينة المنورة ومكة الشرفة بدعوى الاحتباس من الدسائس والفتن . فاذا قدم مكى او مدنى ضيفا في منزل احدهم لم يسمع صاحب المنزل الا اخطار الحكومة وقتيا . ولقد اخذ التونسيون والعجز اربون يهاجرون من بلادهم بعد بيع جميع ممتلكاتهم تخلصا من سوء معاملة الحكومة لهم حتى إنه اشيع في العام الماضي أن سبعة من رجلا هاجروا من تونس بعد ما باعوا كل ما يمتلكون من الاملاك والعقار .

*
*
*

الى هنا نكتفي بإيراد ما تقدم دليلا على أن دولة فرنسا ان ادعت أنها نصيرة الحرية وأنها تحترم الاديان وأنها أول الدول نجاحا في سياسة الاستعمار فانها دعوى عديمة البرهان فاسدة القدمات . وما أتينا به شاهد عدل على ما نقول .

تمثال سياسى في تونس

ان الغاية المقصودة من عمل التماثيل هى احياء ذكر عظماء الرجال الذين أتوا من جلائل الاعمال ما يجلد لهم الذكر الحسن على مر الليالي .
وما تهاب الاجيال .:

فهي إذن عبارة عن صحيفة تاريخية قام فيها التمثيل مقام الكلمات والجمل فاذا وقفنا أمام تمثال « جاندارك » في فرنسا قرأنا بين الدكري في هذه

الصورة المجسمة تاريخ حياة هذه المرأة التي فملت فؤمل الابطال في خلاص
فرنسا من مخالب الانكليز .

واذا وتمنا أ.ام تثال محمد علي با' او ابراهيم الش' قرأنا ايضا مبدأ دخول
مصر في عصر جديد بمعدان مرت عليها المصور التي قاست فيها أنواع
الظلم التي لا تقدر يد كاتب على تدوينها لما فيها من الفظائع الوحشية التي ترمد
لها الفرائص وتتشعر الابدان وتصفى الانامل وهكذا الامر في كل تثال
على هذا المنوال .

ولا يخفى ما في هذا من الفائدة العائدة على الامة التي تنصب تماثيل
عظما، رجالها . اذ يتذكروهم أعمال من نصب التمثال على صورته تنبعث
فيهم الحمم الي الاقتداء به أو الانتخار بما فعله وهذا لا يكون الا في الامم
الحية حياة ادبية . أما اذا كان الامر بالمكس فهو من قبيل إمامة النفوس
وبذر بذور الجبن فيها .

وقد يجوز أن الامة التي يقام في ارضها تثال يذكرها بما تتألم منه نفوسها
فيثقل ضميرها الي قوة وتهور فتتزع الي نحو هذا العار . فلو عمل تثال
يمثل فصل السودان عن مصر لم الفساد في البلاد بما يكون سببا في إثارة
الاحقاد في النفوس وهياج الخواطر . واذا كانت الامة ترسف في قيود
الاستكانة والذل فان الحقد يكمن في صدرها كمن النار في الحجر الصوان
حتى تولد الايام حوادث تكون بمنزلة قدح الزناد .

ومما لا بأس من ذكره هنا على سبيل الاستشهاد في هذا النحو
مارروي : أنه وقعت حرب بين الاؤس والخزرج في موضع يقال له

بعث كانت الغلبة فيها للاوس على الخزرج ثم تصالح الفريقان وزالت
الاحقاد من الصدور واتفق أن بعض رجال من القبيلين كانوا جلوسا في
مكان يتحادثون وهم في وفاق تام . فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فأراد
أن ييدب بينهم فتنا تنفرهم عن بعضهم فأرسل لهم رجلا يذكركمهم بيوم بعث
وانشدهم بعض ما قيل فيه من الشعر في هذا اليوم حينئذ هاج القوم وقالوا
السلام السلاح بخاء النبي صلي الله تعالى عليه وسلم ونهاهم عن فعل الجاهلية
فرجعوا عما كانوا عزموا عليه وتصالخوا وعرفوا انها نزغة شيطانية وبسبب
هذه الحادثة نزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تطيقوا فريقا من الذين
أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)

والذي يعلم مقدار ما كان عليه المسلمون في ذلك العهد من اتحاد الكلمة
يعرف مقدار الأثير من ذكر الحوادث المؤلمة للعواطف المشيرة للاشجان
علي اختلاف الاسباب الباعثة علي الذكرى .

هذا واني حين قدومي ثلي تونس رأيت بالقرب من الميناء حديقة صغيرة
فيها تماثيل خمسة اشخاص . وهي . رجل واقف وامامه امرأة واقفة
بأسطة يديها اليه . ورجل آخر ينظر اليها نظر المنكر ويده شيء يشبه الفاس
او البلطة وبجانبهم غلامان ينظر احدهما في كتاب بيد الآخر لذي يشير
بأصبعه في الكتاب كأنه يلمسه القراءة فيه . فسألت صاحبي عن هذه
التماثيل وهذه الرموز فقال : اما الرجل الاول فانه يمثل دولة فرنسا واما
المرأة فتمثل تونس واما الرجل الآخر فانه ايطالي يمثل دولته التي كانت
طامعة في اخذ تونس قبل فرنسا وكانت ساعية جهدها في احتلالها ثم
انعكس عليها الامر بفوز فرنسا عليها . فكان هذا الرجل الايطالي ينظر

الى تونس نظر المنكر المستغرب الى من وعده بشي، وعدا أكيدا صادقا
فخره منه ثم أعطاه لغيره . وأما الغلام الذي بيده الكتاب فهو شاب
فرنسوي يعلم شابا تونسيا القراءة في هذا الكتاب اشارة الى أن فرنسا
ستجمل للغتها شأنها عظيم في تونس كما فعلت في الجزائر . فلما أن سمعت
منه ذلك لم أرغب أن أزيد عن سؤالي الاول كلمة في شأن سياسة فرنسا
شأن القادم على بلد لم نطأه قدمه من قبل . ولم يعلم شيئا عن أحوال ساكنيه
الإجتماعية .

ولم يكدي يمضي على أسبوع حتى شاهدت ذات ليلة موكبا حافلا بالجند
وهم يحملون الاعلام والمصايح والموسيقى تصدح أمامهم فلم أشك في أنه
أحد الاحتفالات الوطنية أو موكب زفاف عروس لاحد الامراء . ولما
سألت قيل لي أنه احتفال بتذكار اليوم الذي دخلت فيه جنود فرنسا تونس
ففي مثل هذا اليوم من كل أسبوع يعمل هذا الاحتفال رسميا ويطوف
الجند بهذا الشكل في شوارع المدينة الكبرى .

فلم أشأ أيضا ان أحكم على سياسة فرنسا في تونس بحكم لاني لم أكن
عرفت شيئا عنها . ولكن بعد أن مكثت أياما عرفت فيها بعض ما جرى
على يدها من شؤون البلاد التونسية فاذا تلك التمثيل والرموز لامةني لها
في الوجود وانما هي رموز وضعت لايها الم وافد الى تونس من الخارج بأن
فرنسا قد احتلت هذه البلاد برضي من أهلها وأهم راضون بما اجرته من
الاصلاح وأن هذا الترحيب منهم دليل على رضاهم وأنها ردت عنهم
مطامع ايطاليا . وكذلك في الاحتفال الذي تقيمه في كل أسبوع تذكرا
لدخول الجنود الفرنسية عاصمة البلاد مع أن الامر خلاف ذلك .

وسياسة فرنسا في تونس هي سياسة المستبد ومعاملة اللاهالي هي معاملة القوي للضعيف يسام الخلف فلا يرثي له أحد ولا قدرة له على المطالبة بحقوقه المهضومة . واداك كان من القضايا الملهمة أن المرء لا يشكر غيره إلا إذا وصل إليه الخير من يديه . فان أفاضل التونسيين ينكرون اذا سئلوا عن هذه الرموز والنماثيل واذا لم ينكر أحد منهم فهو امامضطر لدواع سياسية أو بمن يلبسون الحق بالباطل ولو تمدد المغالطة وخداع النفس

ولو قلنا أن فرنسا أصلحت وجابت مودة التونسيين حتى إنهم بالقوا في الشكر لها وأينا من جهة اخرى انه لم يسبق لدولة من الدول التي احتلت بلادا من البلاد بوانغ في احترامها وإكرامها بهذا المقدار الذي يوقف العاقل السياسي موقف الريب والشكوك .

وأیضا قضى الناموس الاجتماعي ان الدولة الاجنبية التي تحكم امة اخرى لا يمكنها أن تكتسب محبتها بوجه من الوجوه ولو جعلت أرض بلادها تذبذب المسجد والنضار الا اذا منحتمها الاستقلال التام . وفرنسا لم تعطها شبه استقلال ولا بمض شبه استقلال . فاذن لا معنى لهذه الرموز إلا ما ذكر .

وعلى هذا تكون فرنسا قد خالفت سنة الدول التي سارت سير العاقل الحكيم في حكم الامم الاجنبية عنها في الجنس والعقيدة من وجهين : أولا . اتباعها الخطة التي تنفر منها قلوب أهل تونس بتلك المعاملة الخشنة التي فصمتها في سياستها في هذه البلاد في الفصل السابق : ثانيا ابتداء بدعة لم تخاطر على بال رجال السياسة في الماضي والحاضر ولن تخاطر أبدا فيما بعد . وهي انها أجبرت الوطنيين بالاعتراف لها بالجميل واذا كان لدى القاري الكريم ريب في هذا فليقس معنا الامور على أشكالها حتى يظهر الصبح

لدى عينين . أتري لو كانت المانيا فعلت في الازاس واللورين ما فعلته
فرنسا في تونس أ كان يصبر أهل هاتين المناطقتين على هذه الالهانة من
اقامة تمثال واحتفال مثل مايجرى في تونس أسبوعيا أم يتذكرون اليوم الذي
فيه وقفت فرنسا أمام المانيا موقف المغلوب المقهر وفي كل لحظة يشاهدون
أنواع الظم والقسوة ولا قدرة لهم على إزالتها

ولو وضعنا اصلاح فرنسا في تونس في كفة ميزان واصلاح انكترا
في مصر في الكفة الاخرى لكان لانكترا مزية الارجحية فلماذا لا يوجد بمصر
تمثال كالذي في تونس واحتفال كالذي تمهله فرنسا هناك أسبوعيا تقف
فيه مصر موقف المرحب بانكترا . ويجمل القول أن فرنسا اخطأت خطأ بينا
في عملها هذا . فما كان أجدرها بدم حرمان أهل تونس من خيرات بلادهم
ومن التمتع بكل الحقوق الوطنية . وهي الدولة التي شهرت في العالم بدولة
التمدن والحرية واحترام الاديان . هذا ما عن لي من الافوال ذكرتة والله
ولى التوفيق .

المعمرون الفرنسيون في تونس

إذا كان الغربي يزاحم الشريقي في كل مرافق الحياة اما بالتجارة . واما
بتأسيس الشركات وغير ذلك فمن باب اولى اذا كان لدولته في بلاد الشرق
نفوذ بطريق الحماية أو الاحتلال وهو في هذه الحالة أكثر طمعا وأشد
مزاحمة ومضايقة للشرقي بل يقف في طريقه فلا يدعه يستثمر ويجنى من
خيرات بلاده ما يقوم بواجبات حياته وقد يلجئه في كثير من الاحيان الى
الهجرة من بلاده ومستقط رأسه الى بلاد اخري يلتمس فيها أسباب المعاش

وقد فعت كل هذا دولة فرنسا في تونس لانها لما وضعت عليها حمايتها أخذ
الفرنسيون يقدون اليها أفواجا فشنغلوا الوظائف وزاحموا التجارة ولكنهم
في ذلك لم يبالغوا في مضايقة الاهالي ما بلغوه في مضايقتهم في استغلال
الارض لانهم يعلمون من هذه الوجهة ان امتلاك الارض بانحس الاثمان
لتساهل الحكومة هم في ذلك حتي اذا كانت الارض ملكا لاوقاف وهذا
التساهل بمثابة أخذ الارض هبة بلا ثمن . وبهذه الكيفية أصبح الفلاح
التونسي في أشد حالات الضنك والضيوق في المعاش واذا استرحم الحكومة
فإنها لم تعره ادني النفات ولو مات جوعا على مرأى ومسمع منها . وكانت
هذه المعاملة منها لهم داعية لها جرهم من بلادهم وتشتتهم في البلاد على ان
الارض الصالحة للزراعة في تونس تقل عن حاجات الاهالي من جهة القوت
الضروري .

تعاق اهل تونس بالخليفة الاعظم

ان تعاق المسلم بعرض الخلافة الاسلامية أمر طبيعي غرسه الدين في
قلبه فلا غرابة في ذلك . ولكن الغريب هو النفاي في هذا التعاق الى درجة
يسترخص فيها بذل الروح في سبيل الدفاع عن هذا المقام وهو ما وصف
اليه اهل تونس والجزائر والسبب في ذلك هو ما يقاسونه من استبداد
فرنسا بهم وسوء معاملتهم لهم .

ومن الغريب ان دولة فرنسا تدعى أنها اول دولة في العالم تحترم
الاديان ولا تتعرض لحريتها وهي بخلاف ذلك في هاتين الولايتين .
فلو فرضنا أن التونسيين والجزائريين من المسيحيين وان الدولة الحاكمة

هي الدولة العايلة وان هذا الاستبداد منسوب اليها أكانت تصبر اوروبا على ذلك أم كانت ترسل الاساطيل والجيوش في سبيل المحافظة على المسيحيين ان جواب هذا السؤال سهل لا يحتاج الى ايضاح.

والاغرب من هذا كله ان اوروبا تتهم المسلمين بالتعصب الديني اقتراب منها . فلو كان هناك تعصب حقيقي لما صبر مسالمو روسيا وتونس والجزائر والجبل الاسود وبلاد الجاوا علي ما هم فيه من الظلم الفادح والمصائب التي يباشرونها في كل آت حتي بلغت الدرجة بالمسلمين في روسيا انهم يكرهون على التنصر . وفي الجبل الاسود ينتزعون اموالهم من ايديهم . على ان فرنسا لا يبعد في يوم من الايام ما دامت سائرة علي هذا النهج في معاملة اهل تونس والجزائر ان ينقلب ظهر المجن عليها في هاتين الولايتين لان القلوب متى انتقلت من يدها فالاجسام تابعة لها .

ومما يدل على كثرة تعلقهم بعرش الخلافة انهم لم يكتفوا بالدعاء للخليفة الاعظم في يوم الجمعة على المنبر بل يدعون له في آخر كل صلاة دعاء مؤثرا يجرى العبرات من العيون . ومن هنا يعلم ان اكثر الدول استعمارا هي الدولة التي تامل الامم الخاضعة لها بالرفق واللين وتمنحها من الحرية والاستقلال ما يساعد على التقدم والانتظام في سلك الامم الراقية .

هذه دولة اسبانيا لما اساءت معاملة اهل جزائر الفيليبين وجزيرة كوبا كان ذلك داعيا لاستعمال نيران الثورة الي عجزت اسبانيا عن اخمادها وكان من جرائها وقوع حرب هائلة بينها وبين الولايات المتحدة وخسرت بسببها من الرجال والاموال في البر والبحر خسارة كبرى غير انزع هذه الجزائر منها وضمها الى املاك الولايات المتحدة بعد ان منعته المجالس النيابية .

وقد دل التاريخ على أن الدولة التي تستبد في معاملة الأمم الخاضعة لها لا بد وان ينعكس عليها الأمر في يوم ما مهما بلغت من العظمة والجاه وقوة السلطان .

واني لم اعقد هذا الفصل الا رغبة في أن تعامر فرنسا أهل تونس والجزائر المعاملة التي تحببها اليهم وتعمل على ما فيه رفيعهم المادي والادبي بنشر العلوم وتقدم الصناعة والزراعة والتجارة ومنحهم الاستقلال الذي هو شعار الأمم الحية وبذلك يمكنها أن تفاخر الأمم بهذا اللين اذ معاملة الظلم والقسوة لا يجديانها نفعا البتة .

زيارتي لسمو باي تونس

اردت زيارة صاحب السمو محمد باشا الناصر باي تونس الاخفم فقصدت السراي المقيم فيها وهي في ضواحي مدينة تونس بجبل يقل له سيدي أبي سعيد المرسي وهو يبعد عن تونس بمقدار نصف ساعة والوصول اليها بطريق السكة الحديدية كما يذهب أحدنا من العاصمة الى المطرية عن طريق خطها الحديدي ولما وصلت الى السراي بعثت بكارث الى ديوان التشریفات وبعد قليل حضر إلى أحد معاني الحضرة العلية كما يلقبونه بذلك في تونس ولما تقابلنا لقيني بكل حفاوة دلت على كرم أخلاقه وأدب نفسه وربما كانت هذه الحفاوة دليلا على كرم اخلاق سيده وبعد تبادل التحية أخبرته بأني أريد أن أشرف بمقابلة سمو الباي فعرفني أن ذلك غير ممكن لانه لا يصرح للاغراب بأن يقابلوا سموه الا بعد أن يعرض الأمر على الحكومة . فالذي يريد المقابلة من الاغراب يذهب اولاً الى السفارة

الفرنسوية ويطالع السفير على الغرض الذي لاجله يريد مقابلة سمو الباي
وحيثما يكون للحكومة حق التصريح بالمقابلة أو منعهما أما أهل تونس فانهم
يقابلون سموه أي شاورا بغير اذن من السفير ولا توضيح الاغراض التي
يريدون بمحادثته فيها .

فأسفت جدا على هذه الحالة ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يأخذ
بيد امراء المساميين في كل بقاع الارض . ولا داعي الى ذكر المعايين الذي
أخبرني بذلك لأنه يجوز ان تنتقم منه فرنسا . وبعد ذلك ذهبت من
السراي وودعت هذا لرجل وقد عرفت رجلا فاضلا من الحاشية وهو
السيد عثمان التركي أحد معايني الحضرة العلية كمثل سابقه .

زيارتي لجناب الموسيو بيشون

توجهت في يوم الى دار السفارة الفرنسية لمقابلة جناب الموسيو
بيشون سفير فرنسا في تونس سابقا ووزير خارجية فرنسا حالا فقابلني
جنابه بمقابلة حسنة اعرب فيها عن ادبه وكرم اخلاقه وتهذيب نفسه وبعد
التعارف وتبادل عبارات التحية والترحيب دار بنا الحديث الآتي .

— انني حينما وفدت الى تونس رغبت في زيارة سمو الباي بصفتي مسالما
وهو أمير مسلم ولما توجهت الى سراي سموه قابلني أحد المساميين ولما
عرضت عليه امر التشرف بمقابلة سيده اخبرني بأنه لا يجوز لاحد من
غير التونسيين ان يزور سموه الا بعد إخطار (الحكومة) والتصريح منها الى
الوزارة لاجل ان تعين وقتا للزيارة وحين ان سمعت منه ذلك قد أتيت

وتشرفت بمقابلة جنائكم لهذا الغرض .

- نعم ان ما قلته لك أحد لهماينين هو الواقع وان للحكومة العذر في مراقبتها وتخوفها من الاغراب الذين يفتدون الى تونس لاسيما الذين يريدون زيارة سمو الباي لاسباب سياسية . وذلك أنه يفد اناس الى تونس بصفتهم سائحين وفي الحقيقة جواسيس ينقبون عن اسرار داخلية الحكومة فيبلغونها الى حكوماتهم او الاحزاب المتتمين اليها ولا يخفي ما يكون من نتائج هذا التجسس وجراء هذه السياسة .

وقد حدث في شهر مايو سنة ١٩٠٤ أن أحد الالمان جاء الى تونس وطلب مقابلة سمو الباي السابق المغفور له محمد باشا الهادي فصرح له وعين اليوم الذي تكون فيه المقابلة ولما قابل سموه اراد أن يطرق أبواب السياسة وتطرق الى الحديث في مواضع لاداعي لذكرها في الوقت الذي كان فيه . فلما رأي سمو الباي انه خرج عن دائره الغرض الذي قابله لاجله اشار بانتهاء قطع الكلام . وكان الالمانى قد مكث بحضرته عشرة دقائق مع ان الوقت الذي عين له ازيد من ذلك . ولما علمت الوزارة بذلك ارتابت في امر هذا الالمانى وبالبحث وجد أنه جاسوس جاء من جهة المانيا لاكتشاف أحوال السياسة الفرنسية في تونس .

وكأنني بك تعترض وتقول : لاحظ لالمانيا في وجود جواسيس لها في هذا القطر مادام لفرنسا فيه حق الحماية فاقول لك إن المانيا لداعي صداقتها مع الدولة العلية تريد أن تقدم لها خدمة بمثل هذه الافعال . ووهمة أنها بذلك تسعي في امادة تونس الى حكم الدولة العثمانية لتزيد الرابطة بين تركيا وبينها . واذا كنا نراقب مثل المانيا وصداقتها لتركيا فكيف لانراقب

المصريين التابعين للدولة العلية لاسيما ممن يحترفون بحرفة الصحافة منهم
 - ان لي ملاحظة على كلام جنابكم وهي أن الدولة العلية اذا كانت تريد
 ان تبعث لها جواسيس في الايالة التونسية فليست في احتياج الى ان
 تتخذه من الالمان لان لديها من الجواسيس اكثر من كل الدول . وهم من
 الامناء الصادقين في خدمتها المارفين بضروب السياسة وفنون التجسس فهي
 ابرع من انانيا وغيرها في هذا الباب

أما الرجل الالمانى الذى تقولون انه حضر لبطاع على سياحة فرنسا
 فما هو الا آت من قبل دولته لدس الدسائس وتنفيذ قلوب الالهالى من
 فرنسا . وما بين انانيا وفرنسا من العداوة التي تأسست منذ الحرب السبعينية
 اكبر دليل على هذه الدعوي .

وأما قول جنابكم انكم تراقبون المصريين والصحافيين منهم على وجه الخصوص
 فاني اؤكد لجنابكم اني مصري عثمانى ارى أن اول واجب على في حياتي هو
 خدمة دواتي وأبناء وطني وديني بكل ما يمكن من الوسائل . ولو كنت
 اتيت الى تونس لهذا الغرض الذى تشيرون اليه لكنت أصنع كل الوسائل
 التي بها يخفى على الحكومة التونسية ما قدمت لاجله . وهذا شأن كل مخبر .
 الآن لا بأس من وجودك في تونس ولا من مقابلتك لسمو الباي

وما عليك الا ان تنتظر اليوم الذى يكون فيه التشراف بالمقابلة
 - انني شاكر لجنابكم عدولكم عن الفكر الاول وانى اؤكد لجنابكم
 انى لم أرغب في زيارة سمو الباي الا ليكونه اميرا مسلما ووصوفا بمكارم
 الاخلاق ولطف السجايا نأحييت ان يسعدني لزم من ساعة افضيها في حضرته
 السنية للرابطة الدينية التي تربط كل مسلم بالآخر .

وبما أن الوقت غير كافى لآن أنظار ميعاد المقابلة فقد اكتفيت بما
يذاع ويشاع عن حسن آداب هذا الأمير العظيم وجليل بجباياه التي حبيبته
الى الخاص والعام سواء في ذلك رعاياه التونسيين أو غيرهم .
ثم استطرنا الحديث الى ذكر الصحافة ومسائل اخرى فكان ما حدثني به
الحديث الآتى

- انني كنت في بادىء امرى أميل كل الميل الى الصحافة وكنت
اكثر مطالعة الجرائد الى درجة تفوق المادة ومن شغنى بها كنت اكتب
مقالات كثيرة في جريدة (لاجوستيس) التي هي لسان حزب
الاشتراكيين ومازلت كذلك ميالا الى الصحافة والخطابة في الشؤون
السياسية الى سنة ١٨٨٥ وفي هذه السنة عينت في وظيفة تتعلق بنهر السين
بفرنسا وبمدد مدة عينت معتمدا سياسيا في احدى جمهوريات امريكا
الجنوبية وفي سنة ١٨٩٥ عينت سفيرا في بكين عاصمة الصين وفي هذه
المدة حدثت حوادث البوكسرو اشتملت نيران الثورة ضد الاجانب في مملكة
ابن السماء واشتركت الدول في اطفاء نيران هذه الثورة بعد ان ازهدت
ارواح كثيرين من الاوربيين . ومكثت في بلاد الصين الى سنة ١٩٠١ حيث
انتدبت من قبل دواتى سفيرا في تونس وذلك في شهر دسمبر من هذه
السنة وبمجرد وصولي اليها سميت جهدى في بث روح الاصلاح في الادارة
وفي كل ما من شأنه ترقى البلاد ومن ضمن ماصنعتة هو منح الحرية للجرائد
والمطبوعات بعد أن كانت أقلامها مغلولة بقيود الضمان وغير ذلك مما لا
حاجة الى ذكره الآن . والذي أنا ساع الآن جهدى في اخراجه من حيز
التفكر الى دائرة العمل هو منح التونسيين حق النيابة في مجلس الشورى

الذي هو الان خاص بالفرنسيين . وترقية الزراعة والصناعة واتساع دائرة التعاميم وما أشبه ذلك من الاعمال الناعمة التي بذكرني بها التونسيون الذكر الحسن والتي تكون لى نقطة بيضاء في تاريخ حياتي الذي قضيته في هذه البلاد . فشكرت له هذا الشعور وهذه المواطن الشريفة . وبعد ذلك شرحت له ما يلاقيه التونسيون من ضغط الحكومة وأتيت له بشواهد ثابتة على القسوة التي يعاملون بها وأنواع الضيق الذي هم فيه . وقلت حينئذ لو نظرتم الى حالة الاهالي الآن بين الحكمة كما هو المأمول في جنابكم . فوعدني بالمتابعة مرة اخرى للمحادثة في كل أمر يخطر بالبال من هذا القبيل . ولكن ظروف الاحوال لم تساعد على المتابعة مرة اخرى .

تاريخ حياة سمو باي تونس

هو ذلك الامير سليل الامراء الفخام والاقبال العظام الذين نالوا المعالي كابر عن كابر وافتخرت بمدحهم وتدوين ما آثرهم بطون الدفائر واهتزت طربا باثناء عليهم المنابر . وسارت ذكراهم مسير الامثال في سائر الاجيال وشادت لهم الشعراء من صروح المجد في كل ناد . مالم يشده للنعمان شعر زياد . كرم باذخ . ومجد شاهنخ . وسيرنأ كسبت الروض عبيره . والشمس ضياءها والقمر نوره . فاذا جرى ذكر ملوك بني غسان . او الماذرة بما فيهم النعمان . او اقبال نجران . او صاحب قصر نعمدان . او غيرهم من ملوك العرب الصيد . وامراء الاسلام الصناديد . الذين حفظ لهم التاريخ . مجد أعلاهم فوق الثريا والمربخ . واوطأهم أديم الفرقدين . وخط رحلهم بين السماكين . فآل العائلة الحسينية هم واسطة هذا المقدم الفريد . وهذا الامير فيهم بيت القصيد .

ذكر الانام لنا فكان قصيدة وهو البديع الفرد من ابياتها
فأكرم بنسب في المجد عريق . ومحمد بكل انواع المدايح خليق .
أما صفاته فيما يتعلق بذاته التي هي هبولى اشرف العارف والتلد . ومثال
الحامد . فحدث عن البدر الزاهر . والبحر الزاخر . والروض الناضر .

ياسائلى عنسه وعن أخلاقه ماشئت قل في رونق الروض الندي
ككرم يزينه العفاف وهمة أخذت أخاصه أديم الفرقد
عفة نفس تمثل أمامه الشبهات كأها كبرى الآنام وهمة لدي الاقمار
تكشف العمة وتجلو الظلام . وذكاء قلب في المعضلات أمضا من غير
الحسام . وإصابة رأى عند المشكلات . انفذ من السهام . وخضوع نفسه
بجمله الوقار . ومهابة تخشع لها الابصار .

ويرى التعاظم ان يرى متواضعا ويرى التواضع ان يرى متعاظما
حلم دونه ثبير وشهلان . وجبلا نعمان . وإندام نذل له الخطوب . وطوار
الحدثان وحسن سياسة ملأت به عرش لرئاسة وخبرة بالايام والعصور
ووقائع الدهور وطول ممارسة للامور الصعاب . أزالته بينه وبين الصواد
كل ستر وحجاب وتقوي ونزاهة . وسرعة بداهة . كأنه ينظر الى الغيب
من ستر شفاف . حيث يكاد يرى خفي الالطاف . فهو كما قال الشاعر و
تمدي . وبه كل الممي تحدى .

له الرأى ان جو السياسة خيمت حنادسه جلى وجوه الدياجر
أما فيما يتعلق بالرعية . فهو العادل في احكامه . يعاقب إذا كان العقاب
أصلح . ويسنح اذا كان الصنح أنجح . ولا يفرس الجليل الا اذا سادف -
. واذا زفت اليه عرائس المدايح جعل الجود لها مهرا . فهو ناصر الضعفاء إلى

أكلهم الاقوياء . وماجأ البؤساء . لدى اللاواء وقبلة مر تاد الندى . اذا
 جاءت السنة الشيباء . ينظر في الشؤون جليلها وحقيرها . وكبيرها وصغيرها
 بعين اكتسحت بنور الحكمة والرشاد . والحزم وعزيمة الرأي والسداد . كنا
 نسمع بكسرى وعدله . وإياس وذكاؤه ونبله والمأمون وأدبه وفضله وابن
 عبد المنز وتقواه وعفته وابن طاهر ونجابته وقيس وفراسسته فاذا به قد
 تجمع هذه الصفات . وأحي تلك الرفات . والمظام الباليات . ومهما صنفتم
 من فلائد الثناء الجميل . فلا اتمدى ما قيل

كأنتك من كل النفوس مركب فانت الي كل النفوس حبيب

*
* *

هذا ولما كان ذكر تاريخ حياة هذا الامير بمنزلة أنموذج لسلك انسان
 يجب المعالي ونشره الآن كما هو مدون . وأخوذ من أوثق المصادر وهما هو
 هو محمد باشا الاصر بن محمد باي بن حسين باي بن محمود باي بن محمد باي
 ابن حسين باي بن علي الزكي . وؤسس العائلة الحسينية ولد هذا الامير بالمري
 في ٢٨ شوال سنة ١٢٧١ هـ ولما ترعرع أقبل على مناهل العلم والادب فكانت
 باكورة اعماله حفظ نبي . من القرآن الشريف ومبادئ العلوم الاسلامية
 ولما ذاق لذتها تضاعفت فيه الهمة على بلوغ شأو بعيد في التحصيل فيها
 فزاول ما شاء الله أن يزاول على العالمين الجليدين حضرة العالم الفاضل والاستاذ
 الحكيم والرحالة الشهير الشيخ محمد يرم وحضرة الفاضل القدوة الشيخ
 محمد السنوسي الشهير بملو الكعب في الادب والعلوم الاسلامية وهذا
 الاخير لازم سمود ملازمة كلية ولم يبرح متملقابه الى ان ادركته المنية
 منذ بضعة سنوات فصار صاحب الترجمة بارعا في اللغة والادب وحصل على

المللكة التي هي كيفية راسخة في النفس وهو والحالة كما ذكر أوسع العائلة الحسينية فكرا في لغة القرآن والادب الاسلامي ولا مبالغة اذا قلنا يفهم دقيق المعاني الواردة في القرآن الشريف

ولما احس بمسئولية الحاجة لتعلم اللغات الاوروبية وكانت اللغة الفرنسية واللغة الرسمية في قارة أوروبا . ومن جهة اخرى ان قومها لهم علاقة وارتباط بالمللكة التونسية فرأي حفظه الله ان تعلمها امر ضروري خصوصا لاير . نله مترشح لعرش اجداده الكرام فانهتمل جميع حزمه ونشاطه في تعلمها والاخذ منها بكل ما يمكن وانخب لذلك احدى مبرة المعلمين وابتدأ في مزاولتها من عام سنة ١٢٩٢ هـ وثابر علي تعلمها حتى أخذ منها ما فيه الكفاية وادرف ذلك بتاتي العلوم العصرية على اختلاف انواعها ومسماياتها والخاصة فهو عارف بلوم دينه محصل اللغة الفرنسية متنور في العلوم العصرية التي عليها مدار الترتي والمدنية .

وفي جميع هذه الاطوار لم يغادر قصره الملوكي ولم تبد عليه حركة ما يتنافي شعار هذا البيت الكريم او عوائده .

وفي شهر ربيع اول سنة ١٣٢٠ هـ ارتقي سموه الى ولاية العهد في موكب مشهود حافل بالامراء والوزراء ورجال الدولة .

ولما قلد شعار ولاية العهد التي هي اكرم منصب بعد الامارة لم يغير عاداته الاولى ومعاملته مع كافة الناس كما انه لم يتظاهر بما يخاف سيرته من حيث التباعد عن الظهور وبقي مثبرا على خطته التي الى ان منحه الاقدار سير الملك الحسيني يوم السبت الموافق ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٢٤ هـ في موكب مشهود حضره رجال الدولتين التونسية والفرنساوية وسراة الامة

وعلمائها اطال الله عمره وابقاه كهنا لامته .

هذا تاريخ حياة ذلك الامير الجليل الذي خلف المغفور له محمد باشا الهادي حيث كان الاخير له منزلة عظمى في قلوب اهل تونس وان كان انتقل الى رحمة الله ولكن خلف من الولد الصالح ما يفخر بمثلها الدهر فهو اصل تفرعت عنه أطهر الفروع عنصرا واكرمها شرفا وازكاها منبتا احدهما سمو البرنس محمد الطاهر باي والثاني محمد البشير باي وهما سنوات في الزكاء والفضيلة خدنان في حسن الاخلاق هذا شمس يم سناها البادية والحاضر وذاك بحر يتوي منه الوارد والصادر وكلاهما حاز المجد الطارف والنال . فأكرم بهذه العائلة الحسينية المباركة ونسأله تعالى ان يديم عليهم نعمه الى ممر الازمان وكر الليالي والشئى

السيد البشير صفر رئيس ديوان الاوقاف بتونس

هو وارث ارستطاليس . والاستاذ الرئيس . ادب وفضل . ومعرفة ونبيل . درس العلوم فأحيها بعد الدروس . وتمهد غرس طلابها بسقيا حسن الافهام في اوقات الدروس وخلص كل التخليص ومحص التمهيد معني كل عويص . ادب نادر . وفضل باهر . وألمعية تكشف الالتباس وقريحة كأنها من الذكاء مقياس . اليراع في يمينه اصديق انباء من الحسام . يأتي بالهجز من الكلام . فهو رسول الوحي والالهام . هو في الادب عبء الحميد . وفي النحو محمد بن يزيد . وفي الفلسفة الفارابي وابن رشد . اقسام لو رايته وهو يحادث السمار . بنوادر الاخبار . ورقيق الاشمار . لقلت

الاصمعي بل اطرف حكاية . واغرب رواية . ولو رأيتسه وهو يلقي على الطلاب قواعد الاعراب . لقلت سيبويه او الخليل . او علوم الدين . وتفسير الكتاب المبين . لقلت هذا ابن سيرين أو احد المجتهدين . ولو شاهدته وهو يقرر في الفلسفة والمنطق لما قلت « ان البلاء موكل بالمنطق » هو في كل علم علم على رأسه نار او شمس يعم ضوءها كل الاقطار . أما أخلاقه فهي في رقة النسيم . او الحمر مزاجها من تسنيم . او عرف الياسمين بل عطر دارين . طهارة اعراق . ودماثة اخلاق تعظم في خشوع . واثانة في نزوع يكرم الناس من كل الاجناس . خصوصا اهل وطنه . وعلى الاخص علماء زمنه لاسيما من تجمعه بهم جامعة الدين من المسلمين على عفة وصلاح واربحية ومباح وكياسة وسياسة . وبدد نظر يصيب شاكلة الرمي وناهيك بالذكي الالمعي

من مخبر الاعراب اني بعمدهم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ورأيت كل الفاضلين كأنما جمع الاله نفوسهم والاعصرا
هو في تونس كالاستاذ الامام في مصر . في الفضل وكرم النفس
والشبه بينهما ذو وجهين بلا ريب ولا مين حيث كلاهما حكيم في العلم
والفلسفة . وكال الدراية والمعرفة وهذا هو الوجه الاول وحيث كلاهما
لم ير المجد في مجرد الاتصاف بالعلم ومزية الفضل . بل يرى الفخر في
خدمة الاوطان بآثار ما احرزه من العلوم والمعارف والغنى في حسن
الاحدوثة افضل من الغني التالد والطارف فذاك اسس الجمعية الخيرية وهذا
اسس المدرسة الخلدونية وايد العلوم المصرية وحث على الاعمال الخيرية
واحبي ذكر الوطنية وهذا هو الوجه الثاني الافضل الذي عليه المعول

إذا مات منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فقول
وبما أن هذا السيد الأودع والأفاضل الأبرع والهام السميع يجدر
بنا أن نفخر بمثله نذكر ملخص تاريخ حياته الذي نقلناه من اوثق المصادر
* *

هو محمد البشير بن المنعم أمير اللواء مصطفى صفز أصله من البترك
الذين استوطنوا تونس على عهد حسين بن علي مؤسس العائلة الحسينية
* *

ولد هذا الشهم عام ١٢٨٠ هـ فرباه والده وأحسن تربيته . ولما ترعرع أدخل
المدرسة الصادقية في بدأ تأسيسها فظهرت عليه دلائل النجابة . وتوقد
القريحة فمين في طالمة الارشالية التي ذهبت إلى باريس عاصمة فرنسا .
لتكميل نصاب التحصيل على نفقة المدرسة الصادقية ثم عاد إلى تونس في أواخر
سنة ١٣٠٠ هـ فأخذ يتقلب في الوظائف السامية فمين مترجماً في الوزارة
الخارجية ثم أُنعت الوزارة المذكورة وتمين محتسباً بالادارة العامة فأخذ يتدرج
إلى أن صار رئيس قلم المحاسبة مع انضمام ادارة المدرسة الفرعية التي كانت
قرب بطحاء رمضان بأى . ثم كلف بالمراقبة على جمعية الاوقاف . فأدخل
فيها من الاصلاحات ما شاء الله أن يدخل . ثم صدر له الأمر العالمي برئاسة
الادارة المذكورة وهي اليوم سائرة بحسن أفكاره وثبات عزيمته حتى اشتهت
أعظم الادارات الأوربية . أما خدمته الوطنية التي هي بيت القصيد من
كتابة هذه المقالة فقد بلغ فيها مبلغاً عظيماً حتى لقد يدعى بين مواطنيه
بالناصح الغيور . وكادت النهضة الموجودة الآن في تونس تنحصر فيه .
فهو الذي سعى في تأسيس المدرسة الخلدونية وجاهد في سبيل حياتها جهاد

الابطال . وهو الذي قام بتشروع المستعمرة الفلاحية باعانة نخبة من أبناء الوطن الساعين في سعادته . وهو ذو آثار التي لا يحيط بوصفها القلم . ولا يقدر على تعدادها اللسان . وبالجملة فالرجل بتيمة الدهر . ونادرة العصر . وقد أجمع التونسيون على حبه واحترامه نظرا لشهائمه وغيرته . حتى أنك ترى الناس يفسحون له الطريق أثناء مروره ويقفون اجلالا وتمظياله . ومع هذا فهو متواضع كريم الاخلاق طاهر القلب صادق العزيمة ذو حزم ونشاط بالغ حد النهاية في كل الاخلاق التي تسمو بالرجال . الى أوج الكمال .

هذه نبذة صغيرة في ترجمة حياته أوردناها هنا كي تكون مثالا للذي تركناه أكثر الله من امثاله في الامة الإسلامية بمنه وكرمه

أدباء تونس

إن للصناعة الادبية في تونس شأنا يذكر بالنسبة الى حالة التعليم فيها فقيها من الكتاب والشعراء المحيدين ما تفخر بهم هذه الحاضرة كما تفخر مصر بكثير من شعرائها وأدبائها والذين حازوا قصب السبق في ميدان الادب وكانوا كالأقارب بين النجوم هم حضرات الافاضل السيد البشير صقر السالف الذكر والسيد محمد الجماعي صاحب جريدة الصواب والسيد عبد الرحمن الصنادلي مدير جريدة الزهرة وعبد الرزاق أفندي الغطاس صاحب جريدة حبيب الامة وعلي أفندي بشوشه صاحب جريدة الحاضرة والسيد حسين عثمان صاحب جريدة الرشدية والسيد أحمد القبائلي صاحب جريدة اظهار الحق وغير هؤلاء الافاضل الادباء الذين تفخر بهم البلاد ويتمطر بذكرهم وذكورهم كل ناد

ومن الذين عرفوا بالاجادة في قرض الشعر من ادباء تونس وشعراءها
المجيدون الفصحاء المقتدرين . السيد محمد على الزرقي الذي نظم قصيدة
غراء يعارض بها قصيدة شاعر النيل حافظ افندي ابراهيم الذي نظمها في
الفتاة اليابانية . نسطرها هنا تنويها بفضل ناظمها الفاضل . وهي

*
* *

لا تلوموا باكيا منتحبا	حركته غيرة فاضطربا
كيف لا والدين قدحاطت به	بدع والعلم قد أمسى هبا
وأناس فشات قواهمو	ولباس العز منهم سلبا
وتردوا برداء الذل مذ	أطر الجهل عليهم سحبا
هجروا قرآنهم من بعد ما	تركوا نهج النبي المجتبي
وعتوا عما نهوا عنه ولم	يجدوا الا الشقا والتعبا
كيف لا يشقي أناس فرقت	في الوري آراؤهم أيدي سبا
شربوا من خمرة الخسران في	حانة الزبغ فساؤوا مشربا
وتنادوا في العمى والغي مع	بث افكار تسمي كذبا
فلذا قد أهلكوا انفسهم	واضلوا - زهيم واعجبا *
أي خير يرتجي منهم وقد	تخذوا الدين الحنيف لعبا
يا بني من تونس الناس بما	واهب الحسن لها قد وهبا
ما لكم عنتم جميعا امكم	منذ صارت تشكي العظبا
* . وفعلم كل شر يتقى	واليك كل خبث نسبا
ان من يفرس ابحار الاذى	في تقاع البغي يحنى النوبا
يا بني الاسلام هل يرضيكمو	أن نور المسلم عنكم حجبا

مالكم صرتم حيارى كالكم
 أرضيتم أن تكونوا بين من
 أم رضيتم بالملاهي موردا
 ما لكم قلم إذا ما لمتمو
 لا ينيل القصد تفريط امرئ
 والذي يقطع بحر العلم في
 وإذا ما عفاكم خامره
 فاسألوا المشرق عن يابانه
 واسألوا عن حال اسلاف لنا
 يا بني الاوطان هل من نهضة
 ما لكم فرطمو فيما به
 لا تظنوا الخير يأتيكم بلا
 ليس للانسان الا ما سمى
 ان أردتم أن تنالوا عزكم
 وتميشوا سعدا بين الوري
 فابذلوا في العلم أقصى جهدكم
 وعلمكم كل أمر صعبا
 نسبوا للعلم مثل الفريا
 ووطنتم وردها مستعذبا
 هكذا الله علينا كتبنا
 إنما الحزم بنيل المأربا
 مركب الجسد يجد ما طاب
 بمض شك والدليل احتجبا
 هل بغير العلم فاق المغربا
 أنهم بالعلم نالوا الرتبا
 علمها تبعد عنا المكربا
 عيشكم يبقى هنيئا طيبا
 بذل جهد في التعاطي السببا
 والذي يسمى بنال المطلبا
 والذي من نخركم قد ذهبنا
 وتناووا في المعالي منصبا *
 واخدموا الدين وكونوا نجبا

ومنهم حضرة الشاعر الاديب السيد الصالح سويسى الشريف من نيغا
 متخرجي جامع الزيتونة الذي قال قصيدة وطنية دلت على كمال أدبه
 وصدق وطنيته

وهي مطولة تقتطف منها ما وقع عليه الاختيار وان كانت كلها عمود

ودررا قال في مطالعها

*
* *

الى متى أمة الاسلام في كرب وقد احاط بها جيش من السوب
والفكر أضحى من التأخير في تمب والغير في الجده أمانحن في لب
ما أن أن تهضي يا أمة العرب

يا أمة لعظيم النصيح ما سمعت اسلافنا استيقظوا لكنها رقدت
وفي نوادي الهوى واللعب قدرتمت وما أفاد لسان الوعظ والخطب
ما أن أن تهضي يا أمة العرب

يا أمة عامل الاغراض فرقتها والعين قد شاهدت حزنا فأرقها
ناديت والنفس حسن الصبر فارقتها ان دام هذا العنا ياموت فاقرب
ما أن أن تهضي يا أمة العرب

هذي المفاسد قد راجت بضائرها كذا الفواحسن قد عمت وقائنها
والحجر قد ساد بين الناس بائنها والفكر عن كل نفع صار في حجب
ما أن أن تهضي يا أمة العرب

أين المعالي التي كانت لأمتنا . أين التماضد من يدعو لرفمتنا.
اسلافنا شيدوا فخرا لملتنا والضم من بأسهم في غاية الرهب
ما أن أن تهضي يا أمة العرب.

اسلافنا فعلوا الخيرات واجتهدوا وجل أعدائهم بالحق قد شهدوا
قوم بانعالم في الكون قد سعدوا قد شيدوا وهدمنا كل منتصب
ما أن أن تهضي يا أمة العرب.

اسلافنا رفعوا الدين مارفعوا لله درهمو بالعلم قد نفموا

قوم بعزم وحزم لآلى اندفعوا هذا وذكروهم فى الصحف والكتب

ما آن أن تدهضي بأمة العرب

وهى على هذا النمط البديع والاسلوب الحسن المستظرف .

﴿القيام من تونس﴾

غادرت تونس وركبت باخرة من بواخر الشركة الايطالية ووجهت
بلاد الشمس المشرقة . وكان العزم أن نساغر من طريق بوغاز جبل طارق
فسواحل أفريقية لاجل أن نقف على أحوال سكان هذه البلاد . وامكن
رأينا المسافة بعيدة جدا فعد لنا عن هذا العزم الى السفر عن طريق مرسيليا
ثم على الخاط الحيدى من هناك فرأينا كذلك المسافة بعيدة فضلا عن كثرة
المصاريف . وأخيرا عقدنا الرزيمة على السفر من طريق بوغاز السويس حيث
الطريق منه أقرب وأسهل والمصاريف أقل . وفعلا قطعنا النذاكر الى عدن
ونزلنا فى الباخرة فاذا هى حاوية من الركاب نحو ائى ثلاثائة ما بين الدرجة
الاولى والثانية والثالثة . وبينما أنا ورفيقي نعالج فى بعض كتب العلوم
الدينية وذلك فى صالون الباخرة الذى هو أشبه بى بنا دعومى للركاب .
واذا برجل فرنسوى يدعى المسيو (بىرتو) اقترب منا ورغب فى التعرف
بنا فبعد التحية دار بيننا الحديث الآتى وكانت المخاطبة بينى وبينه فقال

- انى أظنكما مسلمين ومن أهل العلم

- اجل

-- والى أى البلاد أنتما ذاهبان

- الى بلاد اليابان للتبشير بالدين الاسلامى

- حسنا فعلتما . وانى على ذكر الاسلام أريد أن أسأل على نبى

طلما وددت ان اجتمع بملكنا ايجيبيني عنه والآن أحمد الله على الاجتماع بكما
- وما السؤال الذي تريد الجواب عنه

- انني قبل كل شيء، أؤكد لكما بأنني لم أقصد بسؤالى الا الاهتداء
الى الحقيقة والعلم بالمجهول . وما كنت لاقول هذا لولا خشية اتهامى
بالتحامل على الاسلام والمسلمين. اننى اطلمت على تاريخ الاسلام من عهد نشأته
الى هذا العهد قد هشت جدا للفرق العظيم الذي بين حالته الاولى وحالته الحاضرة
فان الاسلام ظهر في جزيرة العرب ومن قلب آسيا ولم يمض عليه
قليل من الزمن حتى انتشر في بقاع المعمورة فلم يبق صقع من الاصقاع
الا ودخله الاسلام . وان انتشاره هذا لم يكن بواسطة المبشرين ولا غيرهم
بل هو لاجل ملائمته لكل جنس وكل عادة من عادات الامم كما يعرف
ذلك من احواله وقواعده ومبادئه . وكان المسلمون في تلك العصور في
أعلى درجات التقدم من حيث العلوم والمعارف حتى ان الامم كانت تخشى
سطوة الاسلام وتنظر الى مقام الخلافة نظر الاحترام والاعتبار
وذلك بخلاف ما عليه المسلمون الآن من الانحطاط المادي والادبي
حتى أنهم اصبحوا محكومين لامم مخالفة لهم في الدين والعوائد .
والقدر الذي يستظل بظل الخلافة منهم اليوم لا يوازي جزءا من مئة من
مجموع عدد المسلمين الآن

- اعلم يا جناب الموسيو ببرتو أن الاسلام هو دين الفطرة والعدل والمدنية
والحرية واذا بحثت في اصوله وقواعده ومبادئه وتعاليمه تكون أول من
يرد كل افتراء يفتره غير المسلمين على هذا الدين والا لما انتشر هذا الانتشار

الهائل في سائر أنحاء الارض في مدة وجيزة وذلك التقدم الذي تقدمه المسلمون في العصر الاول ما هو الا نتيجة سير المسلمين على قواعده والعمل بما جاء فيه من الاوامر والنواهي الي غير ذلك من المعاملات مع أهل الاديان الاخرى وادا قرأت سيرة الخلفاء الامويين والعباسيين تدرف مقدار ما كان يبذله هؤلاء في سبيل اعزاز كلمته وتأييد سلطته من اقامة الحدود في مقاطعها وتولية الاحكام لمن هم كفؤ لها والذود عن حمي الاسلام من ان تعبت به أيدي أهل الضلال وينال من كرامته أعدؤه هذا فضلا عن اكرامهم لاهل العلم وتعزيزهم لاهل الفضل .

فاذا نظرت يامسيو بيرتو الى احكام القرآن ثم نظرت الي قوانين وشرائع سائر الدول تجد ان الشريعة الاسلامية هي الكفيلة بكل ضروب العدل سواء ذلك في الحقوق الجنائية التي يتساوى فيها لمسلم وغير المسلم في كل الشؤون السياسية والدينية لانه جمع انواع ما به سعادة من يدين به وكان القاضي الشرعي يحكم في كل دعاوي المدنية والجنائية على مقتضى القواعد الدينية وكل العقوبات التي حدتها الشريعة الاسلامية اذا تأملت فيها وجدتها وحدها الكفيلة بردع الناس عن ارتكاب الجرائم كما انك اذا تأملت في أركان الاسلام تجده جامعا لمعني المدنية الحقيقية .

فالمسلمون في العصر الاول كانوا آخذين بأوامر الدين ونواهي سائرهم على كل ما رسمه لهم في كل احوالهم الاجتماعية أما الآن وقد نبذوا الدين ظهريا وجملوه نسيا منسيا لا تألف بينهم ولا اتحاد يعزز جامعتهم والبلية العظمى انهم استعاضوا بالقانون الوضعي عن القانون السماوي فالقاضي الشرعي لا يحكم الآن الا في الاحوال الشخصية . هذا مع انكماش علماء الدين فلاهم

يعملون على إقامة البدع وتنبية الحاكم الى المفاسد المنتشرة بين المساميين فكثير الفساد وانتهكت حرمت الدين وآدابه ولم لا يعمل بها الا الذين يتخذونها حباله للقرب من الملوك والامراء فهي غش ورياء وزد على ذلك الجهل السائد بين كل الطبقات فترى الاغنياء يصرفون اموالهم في اقتناء الزخارف من أنواع البناء الفاخر وكل مظاهر النفي ولم يأخذ المساميون من مدينة الغرب الا ما يضرهم في دينهم وديانهم على ان المدينة الغربية مستمدة من التمدن الاسلامي اذ الاسلام لم يأمر بالعبادات فقط بل يأمر بأن يعمل المسلم لديانه كأنه يعيش ابدا ولدينه كأنه يموت غدا فلو سمي المساميون سمي الغربيين من حيث الاكتشافات والاختراعات فهم يعملون بقول الله تعالى (وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) حتى ان الحكمة التي أودعها الشرع الشريف في الصلاة والصوم والزكاة والحج هي نفس المدينة الحقيقية التي بها ترتقي الامم الي أوج السعادة فالصلاة والصوم يبعدان النفس عن ارتكاب الدنيايا والفحش . والزكاة تمنع السرقات لانك اذا بحثت عن جنايات السرقة والسلب والنهب تجدد السبب فيها هو الفقر . والحج يؤلف بين قلوب المساميين المنتشرين في سائر انحاء الكرة الارضية فيكونون يدا واحدة يشعر كل فرد بما يشعر به الآخر على بعد ما بينهما من المسافة . وأما ما يرمى به الجاهلون هذا الدين القويم من أنه دين التمصّب ضد غيره من الاديان الاخرى خصوصا المسيحية فكله وهم باطل والا لما عاش المسلمون واليهود والنصارى كل هذه المدة من عهد بدء الاسلام الي اليوم وهم متمتعون بالحرية التامة في مرافق حياتهم يتبادلون فيما بينهم المنافع والفوائد المتعلقة بحياتهم الاجتماعية . ومن العجيب أن أوربا تبتم المسلمين

زورا بأنهم متمصبون اذا بدت منهم بوادر الالفة والاتحاد والتضامن في كل ما يهجمهم دنيا واخري .
وهذا تاريخ الاسلام من اوله الى آخره لا تجرد في أي زمن من الازمان ان المسلمين هاجوا ضد النصاري أو اليهود . بل الحروب الصليبية كلها لم تحركها الايد اوروبا التي تريد ان تمحو الاسلام عن العيون .
وعلى وجه الاجال أقول لك يا جناب المسيو بيرتوان المسلمين اذا عملوا بدينهم في احوالهم السياسية والدينية والاجتماعية ونبذوا كل ما يخالف شريعتهم وعملوا بما هو واجب عليهم لكانوا يسترجعوا مجدهم السالف .
وكان مركز الخلافة يصير مرهوب الجانب في سائر الامم .
واني اراك يا مسيو بيرتو قد عرفت حقيقة السبب في تقدم المسلمين في العصر الاول وتأخرهم في العصر الحاضر .
- الآن قد وقفت على الحقيقة وزال عنى الارتباب في معرفة الاسباب واني اشكرك شكرا جزيلاً حيث افدتنى فائدة طالما تمذر على الاهتداء اليها . ثم اخذنا تتجاذب أطراف الحديث في مسائل اخرى لا داعي لذكرها الآن .

المروور من السويس

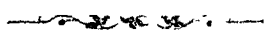
بعد ان قطمنا المسافة الطويلة من تونس الى السويس ومررنا في الطريق على البلدان المتقدمة ذكرها ولا داعي لوصفها الآن . كما لا داعي بوصف السويس وتاريخها حيث أنه معلوم لدى كل انسان . ولما وصلنا الى السويس تغيرت الباخرة وركبنا باخرة اخرى من بواخر شركة المساجري

وكان الجو صافيا والبحر هادئا . ولم نكف نقضي نحو اليوم والليلة حتى هبت الرياح الموج فزاد اضطراب الامواج وسارت الباخرة في صعود وهبوط وميل على الجانبين الا ان الذي افاق خواطر لركاب . فلبث كل في مكانه لا يتحرك . هذا من الدواخ . وذاك من الخوف والاضطراب . وكان كل داعي من نجى نوحا ومن معه في القللك باسان الحال وينشد قول الشاعر

لما ركبنا يبجر * وكاد من خافتان

علي الكريم اعتمدنا * حاشاه ان يتخلف

وكان بعض الركاب يستعمل شراب الليمون والبعض الآخر يتعاطى بعض الادوية التي استحضرها لهذا الغرض ومكثت هذه الحال نحو السبع ساعات والبحر هائج مائج ثم قلل من حدته وخفض من اضطرابه كأنه الغضبان استعطف والحليم آب الى رشده بعد الحدة . وأول مدينة رسست عليها الباخرة من المدن التي على ساحل البحر الاحمر مدينة ينبع



مدينة ينبع

هذه المدينة ليست كبيرة من حيث عدد السكان وليس بها من التنظيم ما لسواها من المدن التي على سواحل البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط . بل هي ضيقة الشوارع التي تتراكم في جنوبها الاقذار والأتربة وواؤها آسن غير صالح للشرب مجلبة للأمراض لونه ازرق يجلب من المستنقعات الرديئة الرائحة ومن العجب ان اهل هذه المدينة يشربون من ماء هذه المستنقعات من غير مبالاة . وقد اخبرت ان الحكومة العثمانية عازمة على الاعتناء بأمر الصحة في هذه المدينة لاسيما الماء الذي منه حياة كل

شيء . اذ عازمت على ردم هذه المستنقعات وانشاء آبار ارتوازية .
 وبهذه المدينة نوع من البعوض لسمه يقرب من لسم الزاير والسبب
 في وجود هذه المستنقعات . اما حالة التجارة في هذه المدينة فليست ذات
 اهمية تذكر اذ بها بعض الحوانيت لبيع بعض البضائع الضرورية للمعاش
 الاهلى

*
 * *

وقد دخل الاسلام هذه المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم
 يلق المسلمون في فتحها عناء لان اهلها اسلموا وسلموا طوعا واختيارا ورغبة
 في الاسلام لاخوفا من السيف والى هذه المدينة ينسب ابو عبد الله حرملة
 المدلجي وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 ويقطن في هذه المدينة عرب قبيلة جهينة وهم اصحاب النفوذ دون
 سائر سكانها ثم اقلعت الباخرة من هذه المدينة قاصدة جدة ولم تمكث الباخرة
 فيها سوي ساعتين .

﴿ مدينة جدة ﴾

هذه المدينة قديمة العهد وبعض المؤرخين قال انها كانت مستعمرة للفرس
 الذين جاؤا الى بلاد اليمن وطرردوا الحبشة منها وأقروا سيف بن ذى يزن
 على ملك التبابعة أجداده كما ثبت ذلك من التواريخ الصحيحة . والعامه تقول
 جدة بفتح الجيم والصواب ضمها .
 وهي تبعد عن مكة بنحو خمسة وستين ميلا وبجوارها سلسلة جبال
 منخفضة خالية من الاشجار والنبات وكانت هذه المدينة في العصر الأول

محاطة بأسوار وبروج حصينة ومحيط بها خندق وكان لها ستة أبواب مفتوحة من السور ولكل باب طريق موصل الى البحر ولم تزل آثار السور والابواب والخندق موجودة الى الآن وأول ما وصلت الباخرة الى مدخل الميناء أخذت تسير ببطء حذرا من أن تصدم ببعض الشعاب الحجرية الكثيرة التي في مدخل الميناء . وقيل ان هذه الصخور هي أشجار المرجان النابتة في قاع البحر وهذه الميناء هي أحسن ميناء على البحر الأحمر من حيث هي أول بلد يدخلها الحاج بعد ينبع في بلاد جزيرة العرب

وبهذه المدينة تجار من الاوربيين والهنود لهم حوانيت كثيرة مما جعل لها أهمية تجارية اكثر من ينبع . وشوارعها متممة لطيفة ومن أهم شوارعها من حيث رونق البناء هو الشارع الممتد من البحر فالشارع المسمى باسم امناء حواء وفيه قبرها وهو ذو ثلاث قباب والى هذه المدينة ينسب رجال من أكابر العلماء مثل عبد الملك بن اراهيم الجدي وعلي بن محمد بن علي بن أبي نصير وأبو الحسن أحمد بن محمد الفينقي . وابو بكر محمد بن عبد الرحمن القطان الذي روى عنه العلم والحديث عبد الله بن السمرة قندي الشهير وقد اشتهرت من اخلاق أهل جدة ماداني على أنهم أهل كرم وسخاء خصوصا مع الغرب عنهم البعيد منهم ولم تكن على نصيب من العلوم لان الذين يعرفون القراءة والكتابة منهم قليلون جدا .

وقد اسعدني الحظ بمعرفة رجل فاضل غذته العلوم والاداب بلبانها وحنكته التجارب حتى إنه يعد من رجال السياسة الخبيرين بأحوال الأمم الاجتماعية على أدب فيه وكمال ظرف وهو حضرة الفاضل الحاج اسماعيل الديهي من قبيلة تدعى بهذا الاسم وقد مكثت زمنا قليلا وأنا اخاطبه في كثير

من الشؤون السياسية والاحوال الإجتماعية ونحو ذلك من الفنون الادبية فكان في كل موضع من مواضع الحديث يجيد ويفيد حتى عرفت منه ما لم أكن أعرفه من أجول بلاد جزيرة العرب التي نقلها الجرائد محرقة عن الحفيقة .
وبهذه المدينة مسجد شهير يسمى مسجد البنوس وغيره من المساجد التي أقل منه في الدرجة .



ومنازل كبراء هذه المدينة تبنى من الحجر الصخري وأعظم ابنتها دار الرسومات ومنزل الوالي ثم اقلعت بالبخرة قاصدة مدينة عدن .

﴿ مدينة عدن ﴾

هي واقعة في الشمال الشرقي من الجبل على بحر عمان تجاه جزيرة (سيرة) وكانت في العصور الأول مركزا تجاريا بين الهند والبحر الاحمر وفي سنة ٥٢٥ ميلادية دخلت في حكم الحبشة الذين جاؤوا من قبل الامبراطور « شزتين » لأجل أن يندقم من بعض المسيحيين . وبعد خمسين سنة دارت الدائرة على الاحباش وطردهم المعجم . وفي القرن الأول من التاريخ الاسلامي دخلها المسلمون وصارت مركزا تجاريا مهما رغم الثورات الداخلية وفي سنة ١٥١٣ ميلادية حاصرها اللابوكيرت وهم من الهند مدة أربعة أيام ولم ينجحوا . وفي سنة ١٥٣٨ ميلادية استولى عليها السلطان سايمان ووضع الاتراك فيها الحامية . وفي سنة ١٥٥١ حصلت ثورة داخلية كانت داعية لخروج الاتراك وضمها الى البرتغال موقعا وفي سنة ١٦٣٠ استولى على هذه المدينة جملة من رؤساء البلاد وكان الاهالي يعاملون تجارا الانكليزي والهولانديين اسوأ معاملة

وفي سنة ١٨٠٢ عقد (السيربوفان) الشهير معاهدة تجارية بين الهند وأمير
عدن المدعو (لاهاتش) وفي سنة ١٨٣٨ نهبت مركب انكليزية تجارية
فكانت هذه الحادثة سببا في استيلاء الانكليز على عدن. وعينت لهذا الامير
مرتبا شهريا. وقد حاول هذا الامير أخذ هذه المدينة من الانكليز فلم
ينجح. وفي سنة ١٨٦٨ ضم الى هذه المدينة الجزائر المجاورة لها وهي الآن
تحت حكم الانكليز.

وعدن أول موضع ظهرت فيه دعوة العلويين بالخلافة وتخرج منها
أكابر من العلماء الافاضل منهم أبو بكر أحمد بن محمد السعيدى الشاعر الذى
يقول في عدن ويصفها أيام كانت زاهرة بالعلوم في عهد شباب الاسلام
حياك يا عدن الحيا حياك وجرى رضاب الماء فوق لملك
ولقد خصصت بسرفضل أصبحت فيه القلوب وهن من أسراك
يسرى بها شغف الحب وانما للشوق جشمها الهوى مسراك
الى أن قال في وصف نساها
فتانة اللحظات تصطاد النهى الحاظها قنصا بلا اشراك
ثم قال في مدح أميرها وهو الختام
وعلام أستقى الحيا من بعد ما ضمن المكريم بالنسدى سقياك

وصلنا هذه المدينة بعد أربعة أيام من مرورنا من قنال السويس وهي
الآن في عداد المدن التي دخلتها المدنية الغربية فحيما حملت فيها تيجد العمارات
التي بنيت على الطراز الاوروبى وشوارعها متمسمة منظمة معتنى بنظافتها.
وناهيك باعتناء أبناء التأمير اذا دخلوا بلدا ووضعوها تحت حمايتهم

أو أدخلوها في ممتلكاتهم وقد توجد بهذه المدينة معامل كثيرة للفحم الحجري تمد بالمشترات وهي قريبة من البحر هذا فضلا عن رواج سوق التجارة فيها رواجاً يذكّر . وهذه البلدة حدائق كثيرة تتخلل شوارعها وبذلك يعلم أن الصحة فيها متوفرة . وبجوار البحر ساحة كبرى قد غرست بها الأشجار وبجوارها دار للتمثيل خاص بالانكليز دون سواهم . وبعد أن مكثنا بعض ساعات في عدن غادرناها قاصدين بروم

القيام من عدن

بعد أن مكثت الباخرة بعض ساعات في عدن أقلمت منها قاصدة بمباي وقد صررنا في طريقنا على عدة أماكن لم تقف بها الباخرة وقتنا كافياً لأن أدون عنها شيئاً من أحوال سكانها الاجتماعية كبروم وغيرها رغبة الأمر أن السفينة وقفت في ميناء قصير نحو الساعتين ونصف وقد شاهدت الأهالي يأكلون الذرة وهي حب لم يطحن ولم يخبز فلما علمت أن المميشة فيها هي معيشة الشظف . على أن الأرض هناك زراعية خصبة قابلة لأن يشتغل بها الأهالي ما يجعلهم في دائرة الثروة والغنى لو اعتنوا بأمر الزراعة والسواد الأعظم هناك يحتطبون ويبيعون ما يحتطبونه ولا يوجد بهذه البلدة من معاهد العلم إلا قليل من الكتاتيب التي هي أحط من كتاتيب أرياف مصر . أما حكومتهم وسياسة أحوالهم الاجتماعية وقضاياهم بأنواعها فوكول أمرها إلى مشايخ منهم وهم الحكام الفاصلون في القضايا بين الأهالي والحال أنهم في نهاية الجهل أميون يحكمون بما توحىه إليهم أراذلهم وأغراضهم . والاستبداد موجود في بلادهم بمعنى الحقيقي . وهم يسفرون

لا هالي في جميع الاعمال واغلبهم بلا مقابل شأن المستبد المطلق التصرف
لولا أن الباخرة لم تمكث فيها الا زمنا قليلا لكنت كتبت ما هو أوضح
اكثر يانا ثم قننا منها قاصدين بومباي

مدينة بومباي

يري القاري فيما تقدم أنني ذكرت مجمل تاريخ بعض المدن التي مرت
بها لزيادة الفائدة ولكن في هذا الفصل رأيت أن أتكلم عن هذه المدينة
بأقل من الاختصار لانها احدي عواصم الهند الكبرى وتاريخها يشغل جزءا
عظيما من هذه الرحلة لو كان جملا فكيف به اذا كان مفصلا وعلى هذا أقول
هذه المدينة فتحها المسلمون في أواخر القرن الخامس عشر بعد المسيح
وفي سنة ١٥٣٠ ميلادية استولى عليها البرتغاليون ثم بقيت تدخل في حكم
الدول والملوك الوطنيين ومرت عليها حقبة واجيال وحوادث كثيرة فيها
كثير من العبر لمن اعتبر حتى دخلت اخيرا في حكم الانكايز ولم تزل
الى الآن ويرى القادم من جهة البحر على هذه المدينة أن شكها مر بما تريعا
هندسيا ويرى الابنية مشيدة على قواصر عالية مبالغ في اتقانها وتنسيقها
وبداخل بومباي سور في داخلها كثير من القصور الفاخرة التي يسكنها
الاغنياء. أما بيوت السوق فيها فهي تبني من الخشب والآجر
أما حركة التجارة فيها فتل ما شئت من رواج وبضائع ثمينة هندية
وغير هندية وبالجملة فان المدينة فيها متوفرة الاسباب خصوصا بعد استيلاء
الانكايز على الهند. والمسافة بين عدن وبومباي خمسة ايام ثم قننا من بومباي
قاصدين مدينة كولمبو. على باخرة من بواخر الشركة الانكايزية وكانت قاصدة

مدينة هونغ كونغ وهي آخر محطة تقف فيها الباخرة

*
* *

مدينة كولبوا

هذه المدينة بينها وبين بومباي مسافة يومين ونصف بسير الباخرة وهي عاصمة جزيرة سيلان التي نفي إليها أحمد عرابي « باشا » رئيس الثورة المرابية. ويقال ان اسمها كان في العصور الخالية « سرنديب » التي يقول فيها الشاعر

أمطرى لؤلؤا جبال سرند	يب وفيضي آبار تكروز تبرا
أنا ان عشت لست أعدم قوتا	واذا مت لست اعدم قبرا
هتي هممة الكرام ونفسى	نفس حر توي المذلة كفرا
واذا مارضيت بالعيش قوتي	فلماذا أزور زيدا وعمرا

وهذه المدينة جرى عليها من حكم الزمان ماجري على غيرها من المدن التي لها ذكر يحفل به في التاريخ ودخلت وخرجت في حكم الدول مرات عديدة بحيث يطول بنا المقام إذا شئنا التكلم عنها من هذه الوجهة وقد دخلت تحت ساطة انكلترا سنة ١٧٩٦ ميلاديه وهي باقية تحت سلطتها الى الآن. أما حركة التجارة في هذه المدينة فهي سائرة على نهج التقدم، وأما موقعها الجغرافي فهو قد أكسبها مزية جودة الهواء واعتدال الطقس . وقد فرشت طرقاتها وشوارعها بالاسفلات والرخام . والمنازل مبنية على الطراز الاوروبي ودار الحكومة ومكبات المسافر والمستشفيات مقامة بجوار البحر مما جعل منظرها جميلا في نظر القادم اليها من البحر

وفي عهد الرومانيين كانت هذه المدينة محطة للرجال الكاثوليك من

الرومان وكثير بها أشياع هذا المذهب ولكنها الآن قد حل بها محل أولئك أشياع المذهب البروتستانتى . وبها مدارس للأكليروس أشهرها مدرسة (ولسلي) و « أندستزيل » و « مدكل » والاخيرتان أسستا سنة ١٨٧٠ ميلاديه وبها جمعية كبرى ملحقة بجمعية المساعى الموكلانية بانكاترا .

ولا يكاد يخلو شوارع أو طريق فيها من عربات النقل والركوب لاهمية الحركة التجارية . والحوانات التي تستخدم في جر هذه العربات بدنية ذات قوى عظيمة . ولون أغلب الخيول فيها مائل الى الصفرة .

والمحلات العمومية يكثر فيها شرب الشاي الجيد . والكأس منه يساوي صوردى والصوردي يعادل أربعة أعشار القرش المصرى . واذا أضيف اليه شيء من اللبن والبسكويت فيساوى صوردين ونصف أي قرشاصاغامصريا والذي يتناول هذا المقدار يمكنه أن يسمننى به عن الغداء أو العشاء لاسيما شاي أو تيل « البستنايز »

ويوجد بهذه البلدة جمعية كبرى مسيحية للتبشير بالدين المسيحي ولها موارد للصرف عليها يجمع منها أموال طائلة في كل سنة . على ان الدين الاسلامى قدم الي الشرق الاقصى وامتد فيه بسرعة فلو وجد من المسلمين من يناظر مثل هذه الجمعية أو غيرها في بث التعاليم الدينية الاسلامية لكانوا ادوا واجبا عليهم اذ هم احق بأن يشدوا أزرالدين في هذه الاصقاع ثم غادرنا هذه المدينة قاصدين سنجافورة

مدينة سنجافورة

ويقال لها سنغابور يعنى مدينة الاسد وكانت العرب تسميها سنغافور

هذه المدينة دخلت في ادوار شتي واطوار متعددة ومرت عليها حوادث كثيرة لها شأن يذكر في التاريخ . وكانت في القرن الثاني عشر عاصمة مملكة ماليزية التي تفرقت في الشرق الاقصى وقامت بها في هذه المدة ثورات داخلية لا داعي لذكرها الآن . وفي القرن الثالث عشر استولى عليها بعض ملوك الجاوه وبعد قليل من الزمن نقلت العاصمة منها الى ملقا فاضمحت واخذت في الانحطاط شأن المدن التي تكون قاعدة للممالك ثم ينقل منها رونق الملك وبهاء السلطان الى غيرها .

وفي عام سنة ١٨٤٤ تداخل الانكايز في شؤون هذه الجزيرة وكان سلطانها في ذلك الوقت يدعى السلطان جوهر فطمعه الانكايز بأموال واعطوه في بادىء الامر اثني عشر الف جنيه دفعة واحدة ورتبوا له اربعة آلاف وثمانمائة جنيه سنويا ثم تنازل عن السلطة اليهم من هذه الجزيرة والجزر المجاورة لها وهكذا يكون شأن البلاد التي يقضي عليها المقدمور بالاخذ في اسباب الموت الاديبي . وهذه الجزيرة واقعة بقرب الطرف الجنوبي في شبه جزيرة « ملاي » ويفصلها عنها بوغاز سنجا فورده وهاؤها معتدل لكن اغلب ارضها غير صالحة للزراعة

ويقال انه يوجد حيوان مفترس من فصيلة النمر لا يكاد يمضي اسبوع حتى يفترس واحدا من الاهالي الذين لا قدرة لهم على مطاردته أو صيده . وهذه البلدة تجار من الهنود يجلبون اليها البضائع من الهند . ولها لائحة تداخل في سياسة هذه البلاد . والمسلمون هناك أمرهم عجيب . متمسكون بأداب الدين . من جهة العبادة فقط . ولكن في الشؤون الاخرى التي عليها قوام حياة الامم والشعوب لا هم عندهم ولا غيرة تحركهم الى الاخذ في اسباب

النهوض . فلذلك ينظر اليهم الهولانديون نظر الاحتقار ، وربما يتجاوزا في
اضطهادهم الحد الذي لو امن كرامة اعراضهم . وفي لاشارة ما يغني عن التصريح .
وبهذه البلدة منزه جميل للغاية يوجد فيه كل نباتات المنطقة الحارة وبها
قلعة كبيرة محصنة علي تل مرتفع بجوار المساكن التي يسكنها الصينيون
واهل هذه البلدة هم اهل وراعة ولطف يمدون من الطبقة العالية ممن تهذبوا وتوروا
بنور العلم أو الذين نشؤوا في العائلات ذات الحسب والنسب . وفيها بضائع
جميلة تحمل اليها من الجهات . وهي بهذه المزية تمد من أمهات بلاد الشرق
الاقصي عمراننا ومدينة ثم اقلعت الباخرة قاصدة هونغ كونغ

القيام من سنجافورة

إلى هونغ كونغ

وصانا الى هونغ كونغ بعد ستة أيام وقد مررنا في الطريق على مدينة
سيجون وطوران ونري أن الافاضة في وصف هاتين المدينتين غير لائق
في هذا المقام اذ غاية ما يصل اليه الواصف هو انهما من المدن التي لها حظ
من العمران . وقد امتاز أهل سيجون بدمائة الاخلاق ولطف السجايا وحسن
معاملة الاجانب . رأيت منهم هذه الاخلاق الفاضلة فتمثلت بقول الشاعر
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
أما هونغ كونغ فهي واقعة في جزيرة من جزر الصين على مصب نهر
كانتون . وقد حفظ التاريخ لهذه المدينة حوادث عظيمة في القرون الخالية
وتقلبت في أطوار شتى حتي استولى عليها الانكليز من سنة ١٨٤٢ ميلادية .
وهي عامرة بانواع المتاجر الفاخرة والمهائر الضخمة وحسن انتظام طرقها

ومسالكها . وماذا عسى أقول في وصف مدينة لم يقع نظري على شيء فيها الا شاقه وأعجبه . وقد يخيل للقادم عليها أنها بنيت على جبل أو هضبة لارتفاع منازلها . واني أرى أن المقام يسمح لي بان ذكر بعض شيء عن احوال الصين الاجتماعية خصوصا فيما يتماق بالمسلمين في هذه المملكة . وذلك مما عرفته من محادثة جرت بيني وبين بعض فنلاء الصينيين . وهو حضرة الفاضل السيد سايمان الصيني الذي رافقني الى اليابان .

أما المسلمون في الصين فليس لهم شعار مخصوص يميزهم عن باقي الاهالي من اهل الاديان الاخرى كالبوذيين والبراهمة فلا تكاد تعرف الواحد منهم حتى يعرفك هو بنفسه أنه مسلم أو مسيحي أو بوذي . وهم متحدون في الحكامة يحب بعضهم بعضا ويسعون في المنافع المتبادلة بينهم كما أنهم يد واحدة في كل ما يههمهم من امور الدنيا والدين . وهم أبعداهل الصين عن القتل والقتل الخلة بالامن العام . واذا اختلفوا في أمر ديني فرجعهم الى العلماء والفقهاء منهم . واذا اختلفوا في أمر دنيوي فالحكومة هي التي تفصل بينهم في قضاياهم في هذا الخصوص .

وهم يعدون أنفسهم أشرف اهل الصين ويفخرون بأنهم من الذين انعم الله عليهم بنعمة الايمان والنوحيد . ولذلك لا تجد احدا منهم يأمن في المعاملة والمعاشرة الا لآبناء دينه . ولا يخالط احدا من اهل الاديان الاخرى الا المسيحي الكاثوليكي . ومع كثرة عددهم فهم متشتتون في أنحاء المملكة . ويوجد منهم عدد عظيم في بكين عاصمة الصين . وبهذه الحالة يصعب عليهم ان يؤلفوا لهم جمهورية او مملكة مستقلة . ومع هذه الحالة فهم يحترمون الحكومة أيما احترام ويسيرون في كل احوالهم الاجتماعية

على مقتضى القوانين التي سنتها لهم حكومتهم من غير مخالفة لها وحياد عنها غير ناظرين الى ان الحاكم ليس من اهل دينهم . وإنما جل مرغوبهم ان يعيشوا في هاء وصفاء . وقد يسومهم العداة وبعاء كسهم في عباداتهم كثيرون من الارثوذكس . والبروتوستانت . والبوذيين من اهل الصين للعداوة المأصلة في نفوسهم ضد الاسلام والمسلمين . كما أنهم يمتقدون مسلمي الصين ليسوا من الجنس الصيني والالما اعتنقوا دين الاسلام والمسلمون كما رأوا منهم اهانة لهم أو معاكسة ينادونهم بقولهم « هوى . هوى » وقد سألت حضرة السيد سيامان عن معنى هذه الجملة فقال لي ليس لها معنى في لغة اهل الصين الاصلية . وإنما المعنى المصطلح عليه عند المسلمين هو « ارجعوا ارجعوا » والمراد ارجعوا عن هذه المشاكل واتبعوا الاسلام .

والمسلمون في الصين هم أهل صناعة وصناعتهم هي أحسن ما تفخر به الصين قديما وحديثا ويحمل منها إلى سائر أنحاء الكرة الارضية . وأشهرها في مصنوعات الصوف والحرير . ولذلك فهم لا يميلون إلى الاستخدام في دوائر الحكومة بخلاف غيرهم . وهذه فضيلة من الفضائل التي يرغبون عليها . وقد رأيت أهل الصين على اختلاف المذهب والدين متفقين أغلبهم على ارسال شعر الرأس مضافورا ضفيرة واحدة وشواربهم ملوينة إلى لاسفل مع طولها ولذلك لا يميز بين المسلم وغيره لانفاق السكل في الزي والهندام . وإذا سمع العوام من الصينيين غير المسلمين كلمة « هوى . هوى » يجيئونهم بقولهم « تسي » ومعنى هذه الكلمة اللص . ولكن المسلمين يسخرون منهم ولا يلتفتون إلى قولهم هذا ويمتبرونه من القول الهراء الذي لا معنى له ولا

تأثير . ولو عامل مسالمو الصين هؤلاء ، بثقل ما دام ملونهم به لأصبحت أرض
الصين مسرحاً تمثل عليه أفظع روايات الحوادث الفظيعة . وقد سبق في الزمن
الغابر أن المسلمين ضاقوا ذرعاً بما يفعله البوذيون فجرت حوادث اقامت الصين
واقعدتها وجرت فيها الدماء أنهاراً وخربت لأجلها مدائن فمنها ثورة في
« كسوفر » وهي المشهورة عندهم التي حدثت سنة ١٨٢٨ ميلادية . ومنها الثورة
التي كانت سبباً في خراب مقاطعة يونان التي ابتدأت من سنة ١٨٥٥ وانتهت
في سنة ١٨٧٣ . والثورة التي حدثت في (كانس) وأخذت نيرانها في سنة ١٨٨٢
ومن عظم خطب هذه الثورات التي ارتجت لها الأرض وزلزلات زلزالها
وتوقعت أوروبا وقوع حرب عامة صليبية ولم تزل إلى الآن آثار هذه
الثورات في بلاد الصين . وعلى الخصوص في مدينة (أنشى) التي دمرت
في ذلك الحين . وأصبحت خاوية على عروشها . ولم يبق منها الاطلال بالية
ولما حصلت هذه الثورات حظرت الحكومة على المسلمين الخروج من

بيوتهم ليلاً حذراً من زيادة الاضطراب فلم يقبل المسلمون ذلك .

وكان المذهب الكاثوليكي أخرج المتدينين به عن دائرة كل مسيحي
يعادي المسلم فهم يميلون إلى المسلمين كل الميل . والذي قوى روابط هذا
الوداد بينهم هو أنه لما حدثت حوادث سنة ١٩٠٠ وهي حوادث البوكسر
التي اشتركت الدول في اخمادها أظهر المسلمون انمطافهم نحو البوكسر من
غير أن ينضموا اليهم أو يساعدهم في الثورة . حتى أنهم لما رأوا هذا الانمطاف
منهم طمعووا في أن يساعدهم فأبى المسلمون أن يجيبوهم إلى رغبتهم . بل كانت
مساعدهتهم لهم هو نفس الانمطاف الذي أظروه نحوهم ومن العجيب المدعش
أن أوروبا تهم المسلمين بالتمصّب تهمة لا دليل عليها ولا نصيب لها من

الصحة فلو كان المسلمون متعصبين حقيقة لما ظهر مسلمو الصين بمثل هذا المظهر نحو المسيحيين هناك . ونعود ونقول انه لما حدثت الحوادث المتقدمة المذكور بين المسامين والوثنيين توجه أكبر المسامين الى رؤساء الديانة المسيحية الكاثوليكية وأخبروهم بأنهم يختارون علاقة مخصوصة لابناء طائفتهم تميزهم عن غيرهم خوفا من الالتباس الذي يتسبب عنه اصابتهم بمثل ما أصيب به الوثنيون . فلي نظر القاري المنصف الى هذه الافعال هل تصدر من متعصب أم من امة دينها يأمرها بعدم أذى من يخص لها المعاملة .

ان الدين الاسلامي هو دين السلم دين حسن المعاملة مع غير المتدينين به دين الحرية دين العدالة التي هي اصل كل خير وفلاح . دين المساواة بين الناس إذ يستوي فيه الغني والفقير والحقير والامير (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) واذا كانت عواطف مسلمي الصين هذه العواطف نحو المسيحيين فكيف اذن تكون عواطفهم مع بعضهم بل كيف تكون عواطفهم نحو اخوانهم المسلمين المتفرقين في سائر اقطار الارض واذا كان هذا شعورهم نحو بعضهم ونحو اخوانهم وهم لم يباشروا المناسك الدينية التي من مقتضاها توثيق عري الرابطة الدينية بين المسلمين كالحج الذي يجتمع فيه المسلمون من كل اطراف المعمورة فلو كان الطريق سهلا وأسباب السفر تيسرت لهم وحج منهم أناس عديدون في كل سنة لكننا نرى منهم من الاحساس والشعور الديني اضعاف ما نراه منهم الآن

وإذا كانت اوربا تتوقع من حين لآخر خطرا أصغر يتهددها من الشرق بسبب هذه الحركة الخفيفة التي أظهرها الشرقيون في سبيل الرقي فكيف بها اذا أخذ المسلمون الصينيون في اسباب التآلف بواسطة هذه

العلاقات المذهبية والتعاليم الدينية وهنا نقول ان اوربا محقة في تخوفها هذا
وغير محقة في اتهام المسلمين بالتعصب

هذا وبعد حوادث سنة ١٩٠٠ رأى مولانا الخليفة الاعظم أن يبعث وفدا
الى بلاد الصين لينظر حالة المسلمين هناك وليتقوى العلائق بينهم وبين مركز
اخلافة الاسلامية فأرسل حفظه الله وفدا مؤلفا من نخبة رجال الدولة
الامناء من علماء وكتاب وغيرهم وكان الرئيس على هذا الوفد هو سعادة
آور باشا « فسافر في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٠ وكان سفر سعادته سرا من
غير أن يعلم به احد حتى نفس رجال الماين

والذين على قلوبهم غشاوة من الجهل والحق والغباوة لما اتصل بهم نبأ
هذا الوفد أشاعوا وأذاعوا أنه لم يفد شيئا ولم يشمر الثمرة المطلوبة من ارساله
والحقيقة أن هذا الوفد لما قام من الاستانة مباشرة ووصل الى هاتيك البقاع
أخذ يتجول في البلاد حتى وصل الى شنغاي وفي أثناء تجوله ظهر له أنه ليس
في الصين من يعرف اللغة العربية التي هي لغة القرآن ولا اللغة التركية بخابر
بذلك الباب العالى وبمجرد علمه بذلك ارسل حفظه الله رجلا عالما فاضلا
تضلما في علوم الدين وله معرفة تامة باللغة العربية والتركية والفرنسوية كما
كانت له معرفة ببعض الصينيين القاطنين في غرب المملكة الصينية من
«كانسو» على أن الوفد نفسه أخذ في تجوله يلتقي بعض مباضي اللغة العربية
على الصينيين ويعلمهم حقيقة الديانة الاسلامية وكيف يحفظون كتاب الله
تعالى ويمملون بما جاء فيه مع فهم المعاني لانهم يحفظون بعض آيات القرآن
الشريف ولكنهم لا يعرفون ما تضمنته هذه الآيات الشريفة من العظات
البالغة والحكم النافعة وقد عاد الوفد مكلا با كليل النجاح وترك له اثرا حميدا

في نفوس أهل الصين

*
* *

واحتفال المسلمين هناك بالعيدين بالغ حد الاعتناء فهم لا يدعون مظهرا من مظاهر الفرح والسرور الا فعلود إذا جاء وقت هذين الموسمين الدينيين وإذا جاء شهر رمضان المعظم لا تنكأ تجمد واحدا منهم مفطرا ويبتعدون عن كل شيء يمس بكرامة الدين حتى نفس الشبهات . وشهر رمضان يسمونه « باتشاي » على أنهم في هذه الحالة من التمسك بقواعد الشرع الشريف عندهم بعض بدع وذلك أن أحدهم إذا ارتقى الى منصب من مناصب الحكومة مع عدم ميلهم الى ذلك يذهب الى معبود هناك يتقرب اليه البوذيون ويتقرب اليه كما يفعل هؤلاء ولا أدري ما هو السبب الحامل لهم على التقرب سوي أنه يكون واسطة في اعطائهم الامونة على القيام باوظيفة خير قيام وهذا المعبود يسمي عندهم (كونفوشيوس) .

ومن الالاف الشديد الذي للأسف بعده أن نحو الخمسين مليوناً من المسلمين في الصين لا يوجد بينهم علماء من الطبقة العالية ينفروهم عن هذه الخرافات والبدع وان من التقصير الفاحش أن العلماء من المسلمين يملكون بمثل هذه الاحوال ولا يؤلفون الوفود منهم للذهاب الى الصين وبث العقائد الصحيحة الدينية هناك .

واول من يلام على هذا التقصير هم علماء الازهر الشريف الذي ينظر اليه العالم الاسلامي بأجمعه نظر الاعتبار والاحترام لان الازهر في نظر كل مسلم في العالم .

ولو أقام الوفد الذي أرسله جلالة الخليفة في بلاد الصين زمنا طويلا

لاتي بنتائج حسنة ولكنه لم يمكث الزمن الكافي لمعرفة هذه البدع والخرافات حتى كان يسمى في ازلتها .

وأيضاً ان الذين يعرفون حقيقة الدين الاسلامي من اهل الصين يمدون علي الأنايل ولا يتجاوزون حركات العوامل ومن هؤلاء حضرة العلامة السيد سليمان الصيني الذي صحبني الى اليابان .

سألت هذا الفاضل لم تسافر الى اليابان لنشر لواء الاسلام مع ان بلادك أحوج اليك لنشر تعاليم هذا الدين . فما كان جوابه الا أن قال ان اليابان أحوج من الصين لان الدين الاسلامي سيقدم اليها من جديد بخلاف بلاد الصين وكوفي اهدى ونظياً الى الاسلام خير من ان اعرف مسالماً حقيقة الدين . وقد اكد لي أنه عند عودته الى بلاد الصين سيسيء جهده في ازالة هذه المعتقدات الفاسدة من اذهان المسلمين . فشكرت له هذه الارباحية ودعوت له بالنجاح في كل أعماله واكدت له انه بعمله هذا يكون قد خدم الدين والمسامين اجل واعظم خدمة .

ولا هل الصين اعتناء زائد بامر الزراعة والفلاحة حتى أنه لا يوجد نوع من انواع البقول او الفواكه أو غير ذلك من المزروعات الموجودة في العالم الا عندهم خبرة بزراعته . ومن كثرة اعتنائهم بفلاح الارض واهتمامهم بشأن الزراعة يعملون احتفالاً باهراً في كل سنة يحضر فيه نفس الامبراطور ويمسك بيده المحراث ويمحرت قطعة من الارض . وفي ذلك معنى جليل وهو ان الاهالي يجب عليهم أن يقتدوا به في امر الزراعة ولا يأنفون من مسك المحراث . ومن شدة شغفهم بالزراعة وعدم وجود الارض الكافية الصالحة للزراعة يصنعون ألواحاً من الخشب ويضعونها على الأنهر بعد تغطيتها بالطين

ويبدرون فيها البذر فتكون هذه الاواح بمنزلة الارض العاصرة الجيدة التربة
والحيوانات التي يستخدمونها في الزراعة كالبقر والجاموس قل ان يوجد
مثها في جميع بلاد العالم من حيث ضخامة الجسم والقوى .

*
* *

واهل الصين يغاب عابهم طبيعة الكسل والفتور وذلك لان أكل
الافيون عندهم ضروري . وهو داعية الكسل والحول ولما عرف ذلك
الامبراطور أصدر أمرا عاليا في هذه السنة بمنع زراعته . وهذا فعل حسن
جدا إذ في ذلك من الفائدة الصحية والادبية مالا يخفى .

*
* *

على أن أهل الصين لو دأبوا على هذا التهج الذي هم ناهجونه الآن
من الإخذ بأسباب لرقى مع ما وجد فيهم طبيعة . من الاستعداد لكانوا
أمة حية كما فعل اليابانيون وهم أقرب اليهم من جهة الشبه في الجنس والموطن .



القيام من هنغ كونغ

غادرنا مدينة هنغ كونغ ووجهتنا مدينة يوكوهاما . وبينما أنا وزفيقي
نطالع في بعض الكتب على معزل من الركاب واذا برجل من كندا بأمريكا
اقترب منا ورغب في الحديث معنا لاسيما بعد أن عرف اني مصري . وفعلا
قرب منا وبدأنا بالتحية فرددناها عليه بأحسن منها ثم وجهنا الى الخطاب وقال
إنني لما كنت في الصين ووصل الي خبر حادثة دنشواي ولكن الروايات
التي كنت اسمعها كانت تختلف كثيرا فأريد ان أعرف حقيقة هذه الحادثة
حيث انك مصري فأجبتة بالاجاب وأخذت اشرح له هذه الحادثة بالتفصيل

وبينت له تاريخ وجود المحكمة المختصة والسبب في وجودها فكنت أرى في وجه الرجل علامات التأثر الشديد ثم استطر دنا الحديث في مواضع أخرى في الشؤون السياسية المتعلقة بمصر واحوالها الحاضرة ولاداعي لذكره الآن. وبعد تسعة أيام وصلنا الي ثغر يوكوهاما وكانت الباخرة تسير ببطء وهي داخلية في ميناء هذا الثغر وقد مررنا في الطريق على جزر كثيرة لا داعي الي ان نصرف وقتنا في الكلام عليها

يوكوهاما

هي كائنة في مقاطعة (موزاسي) من جزيرة «تبن» على الشاطيء الشمالي الغربي لخليج طوكيو. وهذه المدينة قاعدة مقاطعة (كنديكاناكا) وكانت في سالف العصر آهلة بالسكان الذين اغلبهم كانوا صيادين ثم أخذت تتقدم شيئا فشيئا من سنة ١٨٥٩ نظرا لموقعها التجاري الحربي حتي أنها حلت محل (كنديكاناكا) وقد مرت عليهما حوادث زمنية كثيرة أشهرها الحادثة التي احقرت فيها وذلك سنة ١٨٦٦ ثم جدد بناؤها مرة ثانية وسكانها خليط من الالهالي الوطنيين والصينيين والاوروبيين. وكل فريق يكن أهله في جهة مخصوصة على حسب الرابطة الجنسية وبها كنائس كثيرة للكاثوليك ومعابد للبروتستانت ومستشفيات كثيرة. وهي أول مدينة في اليابان مد فيها الخط التلغرافي في ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٦٩ وفي سنة ١٨٧٠ مد التلغراف بينها وبين طوكيو وفي سنة ١٨٧٢ مد منها خط سكة حديدية الي طوكيو.

*
* *

ولما قلت الباخرة المراسي بها حمدنا الله سبحانه وتعالى علي وصولنا

بالسلامة وهناك وجدنا في انظارنا حضرة الفاضل الحاج مخلص محمود الروسي وكان يمث اليه حضرة المولوى السيد سليمان الصيني بخطاب يخبره فيه بقدمه الى اليابان ويعرفه فيه بانتظاره في يوكوهاما وبعد التعارف به بواسطة السيد سليمان رأيت منه رجلا فاضلا عاقلا كاملا مهذبا حاويا لكل الصفات التي تحب المرء الى النفوس وتحله منها محل الاعتبار وقد نزلنا في فندق بجوار الادارة البحرية . ومكثنا يومين ريثما اخذنا لانفسنا الراحة من عناء السفر وقد اخذت هذه المدينة زخرفها من المدنية ودلائل الحضارة الى درجة راقية خصوصا الانوار الكهربائية التي تسطع فيها اذا توارت الشمس بالحجاب . وشوارعها متمسمة مفروشة بالبلاط ولقد لاقينا من البرد فيها مالا يطيقه الا . من أقام كثيرا في هذه الاصقاع واعتاد جسمه علي احتمال بردها القارس . ثم بعد يومين غادرناها على قطار السكة الحديدية قاصدين (طوكيو)

* طوكيو *

ركبنا قطار السكة الحديدية وقصدنا مدينة طوكيو عاصمة اليابان وهي تبعد عن يوكوهاما بمقدار تسعة وعشرين كيلومترا أي بنصف ساعة تقريبا بسير الوابور وهذه المدينة كائنة في جزيرة (تيبين) وهي حديثة العهد بجعلها عاصمة للعسكة اليابانية . وقد حدثت بها حوادث كثيرة مما لا يكاد يحصيها المؤرخ فكيف بمن يضع سفرنا كهذه الرحلة فلذلك أقصر على ذكر القليل الأهم منها مما لا يخلو من فائدة على القارئ الكريم ففي سنة ١٤٥٦ جاء بعض القواد الثمانيين الذي يدعي (قطه دو كسم) وبني بطوكيو قلعة حصينة

وكانت طوكيو ليست عاصمة للمملكة باجمعها بل كانت مدينة (كيوتو) مقرا للملك وطوكيو عاصمة لعائلة الشجن الذين كانوا ينازعون الامبراطور في الملك وهذه العائلة كانت تحمى باسم الميكادو وبذلك كان لليابان عاصمتان . احدهما شرقية وهي كيوتو عاصمة الميكادو والثانية غربية وهي طوكيو عاصمة الشجن وهذا الاسم حديث لها فافها كانت في ذلك العهد تدعى (ييدو) فلما صارت للمملكة باجمعها سميت طوكيو ومعنى هذا الاسم (عاصمة الشرق) وقد حدثت بها عدة حرائق وجرى بنائها عدة مرار . وكانت الزلازل متتابعة فيها . وحصل بها زلزال دمر فيها نحو مائة ألف منزل وأمات كثيرا من النفوس . أما الآثار فيها فكثيرة جدا وبناء هذه الآثار فاخر يدل على مهارة قدماء اليابانيين في البناء كما كان المصريون القدماء كذلك . حيث في وسط المدينة فنطرة عملت من الابنوس وتسمى بالشمس المشرقة أما قصر الملك فبالغ النهاية في أبهة الملك وعظمة السلطان . وبالقرب منه توجد قصور الديدوس وهم عائلة من العائلات التي كانت مشهورة بالشجاعة والآن قد حولت هذه القصور الى دواوين للحكومة . وغير هذه القصور توجد آثار للمعابد والهيكل القديمة . ومن هذه المعابد معبد يدعى « فتنزون » ومعبد (وكارفيش) ومعبد (ادراجون دور) ومعبد (سننويست شوكونشا) ومعبد (شيبه) وهذا المعبد فيه مقابر عائلة الشجن المتقدم ذكرهم وهذه العائلة أهلها من عائلة (توكوجاوا) ويوجد هناك قصر يدعى (زيكوان) وكان هذا القصر قديما مصيفا لبعض أ كابر الشجن ويوجد بها كثير من الآثار القديمة . ومنازل طوكيو اغلبها يسقف بالخيزران ولها ضواحي ومنتزهات يقطنها الكبراء كالمطرية والقبية قد أخذت قسطها في المدينة

والحضارة مثل (بمشى) وهي في الشمال الجنوبي الغربي لطوكيو . ثم بلدة (سيروا) وهذه البلدة جملة من الآثار القديمة . ولو نظرنا الى الترتي نجد أنه كان اللائق بامة كهذه الامة أن تكون لها كتبخانة عامرة بالكتب شأن كل بلد متقدمة وأمة راقية . ولكن لا توجد الا مكتبة واحدة بها نحو المائتين ألف مجلد فقط



ولما وصلنا الى طوكيو كان في صحبتنا السيد سليمان الصيني والحاج مخلص محمود الروسي الذي أفادنا كثيرا حيث كان له المام تام بعوائد القوم ومعرفة أخلاقهم مما لم نكن نعرف منه شيئا .

وقد نزلنا في فندق في شارع يقال له (باليستيو) ولم نكد نستقر في هذا الفندق حتى أحس كل واحد منا بضعف في عضلات الجسم وذلك كله ناتج عن المشاق والمتاعب التي عاينناها في السفر خصوصا دواخ البحر الذي كان له التأثير الاعظم

ومكثنا ليلة كل منا لا يفارق مخدعه من الاعياء . وفي اليوم الثالث خرجنا للتجول في انحاء المدينة

وما ذاعسي أقول أو أشرح ما رأيته في عاصمة بلاد الشمس المشرقة زيادة عن المتقدم . بل ماذا يمكنني اصف المدينة وحركة التجارة وكثرة البضائع وانتظام الشوارع . وغاية ما يقوله الواصف أن هذه العاصمة المدنية فيها في ريمان شباهها ولولا شدة البرد فيها لكانت تعدجنة الشرق منظرا وبهاء . اما سكان هذه المدينة فيبلغون مليوناً وثلاثة ارباع المليون نسمة تقريبا وقد شاهدت السائحين فيها من الاوربيين والامريكان والهنود والصينيين

وغيرهم وهم في ازدياد كل سنة

وقد كان عددهم في سنة ١٧٠٢ (٧٧٠٩) وفي سنة ١٩٠٣ (٧٧٦٥) وفي سنة ١٩٠٤ (٩٢٥٦) وفي سنة ١٩٠٥ (١٦٥٣) وفي السنة الماضية بلغ عددهم (٢٤٧٢٣) وسوف يفد كثير من الاوربيين الى هذه البلاد كما وفدت اليها مدينتهم . ولكنهم لا يجدون فيها من مصادر الرزق والثروة ما يجدونه في مصر وغيرها . لان اليابانيين اخذوا الصالح من مدينة القرب وعملوا به فعرفوا كيف يكونون امة حية لاتدع غيرها يستأثر بمنافع بلادها .

شذرة من تاريخ اليابان

اختلفوا المؤرخون حتى الذين هم من العنصر الياباني في تاريخ هذه البلاد والاصل الذي تنتمي اليه هذه الامة . فقال بعضهم كالترك . وأن عائلة كبرى مغولية وفدت الى هذه البلاد فاستوطنتها وتناسات حتى الفت منها امة . وقال البعض الآخر انهم من نسل المالتيين الذين اثاروا على الجزر اليابانية قديماً واستوطنوها . وبعضهم قال إنهم من العنصر الصيني وبني هذا على اتحاد الياباني والصيني في اللون والبشرة . ولكن الحقيقة خلاف ذلك . بل هم عنصر قائم بنفسه ونوع من أنواع جنس الانسان .

واليابانيون انفسهم يقولون اننا لسنا من الجنس البشري ترهما . بل ينسبون انفسهم الى السماء . كأن الانسان الذي شرفه الله وكرمه دون سائر المخلوقات أقل منهم درجة . وأن سائر الجنس البشري أوجدته القوى الطبيعية . ويعتقدون ان أول من نزل منهم الى الارض وطئت قدمه جزيرة (كيوشيو) وطرد الأمم المتوحشة مثل قبائل (أينوس) واستمرت الحروب

بين اليابانيين وهذه الامم نحو السبع قرون . وأخيراً خضعت لليابان . ومع اعتقاد اليابانيين أنهم ليسوا من نبي الانسان فانهم يمتقدون أيضاً أن عائلة الامبراطور (متسوهيتو) الحلي أشرف منهم عنصراً ولذلك كان الميكادو عندهم بمنزلة المعبود

وكانت اليابانيون على حالة البساطة في المعيشة الى القرن الثالث عشر بعد الميلاد . وبعد ذلك أخذت تدرج في الحضارة والتفنن في انواع المآكل والملابس بعد ان كانوا لا يعرفون غير الأرز والسمك من افضل الاطعمة والملابس البسيط . وهم يحبون السمك والارز الى الآن جداً وكانت مساكنهم في تلك العصور من اخشاب الغابات . فأصبحوا الآن في زفاهية المدينة الحاضرة يرتعون .

وفي القرن الثامن عشر للميلاد بدأت الحكومة في ارسال الارساليات العلمية الى اوربا . ومن هذا يمكن ان يقال ان النهضة الادبية بدأت من منذ نصف قرن في اليابان .

* * *

وكانت في العصر السالفة يتولى الاحكام ارباب العائلات الكبرى مثل عائلة (الشجن) المتقدمة فكانوا يفصلون في القضايا المدنية والجنائية بحسب ما يصل اليه علمهم . اما الآن فقد وجدت في اليابان الحكومة الدستورية النيابية شأن الامم الراقية .

والذي ينظر الى الجزائر اليابانية في الشرق الاقصى لآسيا ثم الى الجزائر البريطانية في شمال اوربا . لا يفرق بين هذه وتلك في الشكل والوضع الاقليلا . وكان هذا الاتفاق في المناخ كان سبباً في مخالفة الدولتين

تاريخ حياة الميكادو

هو الامبراطور (متسو هيتو) الرابع والعشرون من ملوك العائلة الحاكمة ولد هذا الامبراطور الجليل في ٣ فبراير سنة ١٨٥٢ م فهو الآن يحبو الى السن . ولما بلغ السادسة من سنه أحضره والده الامبراطور (كومى تنو) من المعلمين الخصوصيين فكان في كل أدوار التعليم يظهر نجابة باهرة وذكاء مفرطاً ولما بلغ الخامسة عشر من عمره ارتقى الى عرش اجداده حيث توفي والده وذلك سنة ١٨٦٧ م وكان في هذا السن حائزاً على كثير من العلوم والفنون التي ثقفت عقله وهذبت نفسه ونشأ كامل العقل وافر الفضل . والذي زاد في تهذيبه هو أن والده كان وكل به من المؤدبين من كانوا يرافقونه في غدواته وروحانه فتشرب عقله بمزايا عقول هؤلاء الرجال فلما استلم زمام الملك أظهر حزمًا وعزمًا وشدة عارضة بهرت عقول أكبر السواس من اليابانيين فاستبشروا به وأملوا فيه خيرا .

وأول ما بدأ منه وعرف من اخلاقه الفاضلة انه أظهر انعطافه الزائد نحو رعيته فغرس بذلك حبه في نفوسهم . فاصبح الصغير والكبير فيهم يحبه محبة لم تسمع في الامم السالفة نحو الملوك والسلاطين الذين حكموا هذه البلاد في الزمن السالف . وفي الحقيقة ان اول عهد تقدمت فيه اليابان في سبيل الترقى والمدنية هو اليوم الذي ارتقى فيه هذا الامبراطور عرش المملكة . لانه نظر الى مدينة أوربا نظر الحكيم البصير والى احوال سياسة الدول الغربية حيال رعاياها فبادر بمنح أمته الدستور والمجلس النيابي . وفي الوقت نفسه انفتحت الى نشر العلوم في بلاده وحث الامة على تأسيس معاهد العلم وكانت البلاد حينئذ هادئة لا حروب خارجية ولا ثورات

داخلية تعوق سير الترقى في الامة .

وقد ساعد على سرعة نشر العلوم في اليابان استعداد الامة الطبيعي لان الياباني امتاز بالذكاء والفطنة وحب المعالي .

وقد خالف الميكادو سنة الملوك قديما وحديثا فهو لا يتعاطي من خزينة حكومته النفقات الطائلة لانه لا يميل الى الترف ولا يزدنيه عزة السلطان لان كل ما يأخذه من الاموال هو المقدار الذي يكفي لحاجاته وحاجات حاشيته الضرورية.

أما أخلاقه الشخصية فحدث عن الروض ولا حرج . كرم وذكاء وفطنة ونجابة وتواضع في مهابة وبعد نظر في المسائل السياسية العويصة الحل . وبالجملة هو كسري في عدله . وعمر بن الخطاب في شدة العارضة وإياه النفس . وعمر بن عبد العزيز في عفته .

ولم يتشكل على أن بلاده سائرة على مقتضى الدستور والحكومة النيابية . بل هو يراقب أحوال الحكام بالحكمة والسداد وينظر في شؤون الرعية جليها وحقيرها نظر الاب الشفيق في أحوال أبنائه الامناء المخلصين .

وبما امتاز به أنه إذا حضر مجلسه أحد خرج وهو يتغني بمدحه علي لطف حديثه والبشر الذي يلاقي به زائريه لانه يحادث كل انسان فيما يتعلق بوظيفته في الهيئة الاجتماعية . فهو تاجر مع التجار وزارع مع الفلاحين وسياسي مع السياسيين وهلم جرا .

ومن هذه الاوجه يصح أن يقال ان الميكادو فرد جمع الله فيه العالم .

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

فهكذا تكون الملوك لان الملك لا يملأ العرش الا إذا كان عقله يوازي

عقل أمته بأجمعها .

*
**

وأما أخلاقه فيما يتعلق برعيته فهو كما قلت كلاب البار بالابناء الامناء
المخلصين . ولم يجعل بينه وبين أحد حجاً إذا عرض عليه شكوى او رفع
اقامة دعوى . فان وجد لذلك مخلصاً أسعفه في الحال بالانصاف والا فهو
يمده وعد الوفي بالنظر في أمره عند سنوح الفرصة .

وهو شديد الكف بتعمد أحوال حاشيته في قصره لافرق بين
الصغير والكبير فيهم . واذا مرض احدهم فلا يهدأ له بال حتى يراه وبوصي
الحكام بالاعتناء في مداواته كما يوصيهم على أقرب الاقرباء لديه . وقد ضرب
اليابانيون المثل في حبه فقالوا (فضيلة الياباني حب الميكادو) وهم كما يفخرون
به فكذلك هو يحبهم ويفخر بهم . وقد اعان هذا الفخر رسمياً في الملأ
حيث اصدر منشوراً عاماً هذا معناه .

(أيتها الامة الحية الراقية انك كما تفخرين بي فاني كذلك انخر بك على
سائر الامم الراقية . واني لا أدخر وسعاً من عمل كل ما يريك مادياً وادبياً
لاني وقفت كل قواي على هذا السبيل . واني لأرفض نصيح ناصح في كل
امر فيه نفع للوطن . فان كانت النصيحة في محمها قبالتها وان حصل سوء
تفاهم بينت السبب الداعي الى عدم القبول . فان رضيتم فيها ونعمت وان
أبيتم فيني وبينكم شريعة (كونوفوشوس) وهو معبود في اليابان . فاعينوني
على تدبير المملكة بالطاعة والعمل على ما يجعل اليابان ارقى الامم واسمها
واني كفيل برد المظالم وانصاف المظلوم من الظالم)

هذا وسيأتي الكلام في غير هذا المحل باهتمام الميكادو بجنوده في زمن

الحرب الروسية . ومنه يعلم مقدار اعتناء هذا الامبراطور بشؤون رعيته .
وان ملكا هذه اوصافه وهذه سيرته لجدير أن تحالفه دولة انكلترا .
وبالجملة فان الامبراطور (.تسوهيتو) هو أفضل الملوك عقلا وابعدهم نظراً
وأحبهم الى رعاياهم بعد مولانا السلطان .

الاتفاق مع المبشرين المسلمين

لما وفدنا الى اليابان ووصلنا طوكيو وشاع خبر وصولنا . بين المبشرين
المسلمين والمسيحيين . وكان في طوكيو احد علماء وفضلاء مسلمي الهند
يدعي السيد حسين عبد المنعم وهو شريف النسب . نجاء الينا وأظهر لنا
بشراً زائداً وارتياحاً من حضورنا الى اليابان . وأخبرنا أنه قدم الى هذه
البلاد على نفقة بعض افاضل مسلمي الهند للتبشير بالاسلام وأن له نحو
الخمسة شهور وهو متشوق الى من يمضده ويساعده من المسلمين في نشر
لواء الاسلام ولم يجد أحداً ولذلك كان يقاسي متاعب شتى شأن المنفرد في
عمل جليل يحتاج الى معين . فاتفقنا جميعاً على أن نكون يداً واحدة وأن
نؤلف جمعية . وفعلنا الاتفاق وصار هو الخامس لنا .

وبعد هذا الاتحاد والاتفاق قررنا أن نستأجر محلاً لسكنانا اولاً .
وليكون محلاً للجمعية ثانياً . ثم بعد ذلك أخذنا نبهت على المحل الموافق وفي
أثناء البهت حصل التعارف بين حضرة السيد حسين عبد المنعم وبين رجل
ياباني من مشاهير التجار بطوكيو يدعى الميسو (جازيف) وهو على جانب
عظيم من الفطنة والذكاء وطيب النفس وكرم الاخلاق .
وصادف أنه سأل حضرة السيد حسين عن الغرض من أخذ المنزل

فعرفه بأننا مسامون ونريد أن تأخذ منزلا للسكنى وللجمعية فما كان من هذا الرجل الاريحي الا أن طلب من حضرة السيد حسين أن يقابله معنا . ولما حضر معه قابلا بالترحيب ولما استقر به المقام طلب منا أن نشرح له قواعد الاسلام ونبين له أمر تفضيله على سائر الاديان . فكان حضرة السيد حسين يترجم باللغة الانكليزية ما تقرره جمعيتنا . فلما وقف هذا الياباني على حقيقة الدين الاسلامي وذاق حلاوته في قلبه فلم يلبث الا انما أن قال لنا اعتبروني من الآن في عداد المسلمين . فلقناه الشهادة وهنأناه على خروجه من الظلمات الى نور الايمان وبذلك حصل لنا كلنا السرور التام واستبشرنا بنجاح الامال . وبعد أن أسلم قال لنا اني في استعداد تام الى كل ما تكلفوني به من المصالح كما أني تبرعت لكم وبلجعتكم بنزل هو ملك لي لا أطلب منكم أجرته ما دتم هنا وهذا كله اكرام لهذا الدين الذي باعتناق اياه أصبحت أسعد السعداء

فقابلناه بالشكر على كرمه الحاتمي ودعونا له بالرفيق وصار هذا الرجل كلنا بنا لا يفارقنا الا في الاوقات التي يضطر فيها الى مفارقتنا . ثم قام في الحال وأعد لنا المنزل وأحضر لنا خادما من النزلاء الامريكيين . أما المنزل فهو دور واحد ولكنه مزخرف البناء وكله مفروش بأخضر الفراش وبه صالون فسيح جعلناه محل اقامة الجمعية والمنزل في شارع (باليستيو) فاقنا فيه طول المدة التي أقنأناها في بلاد اليابان

كيفية التبشير بالدين الاسلامي

لما تم الاتفاق بيني وبين حضرات من ذكروا على عقد الجمعية

لم تقبل ان تنتقل في البلاد كما يفعل غيرنا من المبشرين بل عز منا ان لا تقادر العاصمة والتبشير يكون في المنزل المتقدم وأن يكون الدخول مباحا لكل انسان من أي جنس كان ومن أي مذهب كان . وانعقاد الجمعية كان ليلا . واول انعقاد لها كان قاصراً على القاء خطبة بينا الغرض الذي لاجله قدمنا الى اليابان . فرتبنا الخطبة باتفاقنا وترجمها حضرة السيد حسين عبد المنعم باللغة الانكليزية وأعطيت الى المسيو (جازنيف) لاجل ترجمتها باللغة اليابانية والقاءها ناثبا عنا . وكنا قد عرفناه اليوم الذي تعقد فيه اول جلسة من الجمعية . فما جاء الميعاد حتى أقبل الناس زمراً يتلوا بعضهم بعضهم حتى غص بهم المكان وبعد أن أخذ كل مكانه وقف حضرة المسيو (جازنيف) والقي الخطبة وهذا نصها .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (وبعد) فان حضورنا الى بلاد اليابان وتحملا المشاق العديدة المتنوعة في طريقنا . لم يكن لاجل دنيا نصيبها أو فائدة مادية او ادبية سوى هدايتكم يا أهل اليابان الى الدين الصحيح ونزع الاعتقادات الفاسدة من قلوبكم ليحل محلها الايمان بالله وحده لا شريك له في ملكه . وانكم لو عرفتم حقيقة الدين الاسلامي لعدتم عيبتنا هذا منة كبرى من الله بها عليكم ليخرجكم من الظلمات الى النور . ولعدتموها لنا حسنة من الحسنات التي لا تقاوم بشكران .

ان الدين الاسلامي سنيته لكم هو الدين الوحيد الذي لم يزل ينتشر في الارض ولم يحدث فيه تغيير ولا تبديل من يوم ظهوره الى الآن يعني ثلاثة عشر قرناً وربما . مع أنه لم يوجد بين المسلمين من قام بالتبشير بهذا الدين لاني

هذه السنين ولا في السنين الغابرة والسرف في ذلك هو أنه دين العقل . والعقل متى ما وضع لديه البرهان . قبل النتيجة المستفادة من القضية الصحيحة المقدمات . وحسبنا شاهدا على ذلك أن أغلب المتدينين بالدين المسيحي يقرون ويمترفون بان دين الاسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من أمور الدنيا . فهو اذن دين المدنية والعدل والمساواة بحيث لو وضعنا أمامنا كل القوانين الوضعية وتاملنا الى ماتضمنه من المواد في جميع الامور المتعلقة بنظام الشعوب من جهة الحقوق المدنية والجنائية . ثم نظرنا الى أحكام دين الاسلام . لألفيناه القانون الوحيد الذي حوي كل أنواع العدالة به تباينت المشارب والعادات بخلاف القوانين الاخرى فانها في الغالب تكون على مقتضى الاخلاق والموائد المخصوصة ولذلك يجرى عليه أهل الدين المسيحي في تقسيم الموارث .

ولو تأملنا في الحكمة المودعة في كل ركن من أركانه مثل الشهادة واقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج لرأينا أن السعادة الدنيوية والاخرية متوقفة على العمل بهذه الاركان كما سنبينه لكم في الجلسات القادمة .
واننا نورد هنا نبذة لاحد الفرنسيين قالها في هذا الدين لتعلموا انه دين المدنية وهذا الفرنسي يسمى المسيو (هوذا) قال مامعناه .

لا يوجد الآن لإحصاء قطبي يمين مقدار عدد المسلمين المنتشرين في الكرة الارضية ومع ذلك فانهم قدروا ان عدد المسلمين يناهز الثلاثمائة مليوناً من النفوس على وجه التقريب من جهة القلة لا من جهة الكثرة . مع أن الاسلام ظهر في آسيا وانتشر منها في أنحاء المعمورة بسرعة فائقة فدخل افريقية وضرب اطنابه فيها ثم دخل آسيا الكبرى ومازال كذلك حتى دخل

بلاداً كثيرة في مدة وجيزة . واننا اذا تصفحنا التاريخ لوجدنا أن هذا الدين هو الكفيل الوحيد لترقى الامم وسعادتهم وعليه فيحق لنا نحن الغربيين أن نعترف عن غير رياء ولا مرء بأن أهل هذا الدين هم أرقى الامم وأحسنهم حالاً من جهة الاعتقادات الدينية هذا كلام المسيو (هوذا) وان شاء الله سنبين لكم اعظم من ذلك في الجلسات الآتية .

﴿ جلسات جمعيتنا ﴾

لما عقدنا أول جلسة وألقى الخطبة جناب المسيو (جازنيف) أردفناها ببعض البيانات الواضحة عن قواعد الديانة الاسلامية وعرفنا الحضور معنى الاسلام والفرس الذي ترمى اليه مبادئه بالاجمال بصورة سهلة التناول على الافهام وبمد انفضاض الوقت المحدد لانعقاد الجلسة عينا الليلة التي تنعقد فيها الجلسة الثانية بها . ولما جاء الميعاد رأينا ازدياداً شديداً عن ذي قبل حتى لم يعد يوجد قيد شبر في المكان . ولما جاء الوقت لافتتاح الجلسة أعلننا بافتتاحها وأخذ المسيو (جازنيف) يلقى عليهم مارتبناه من البيانات والايضاحات وهذه مأخوذة من الكتاب والسنة واجماع الأئمة بحيث لم نتمق في الايضاح بل كان كل مارتبناه من الأدلة والبراهين والاستشهادات لا يخرج عن الامور العقالية . وهذه البيانات كانت تترجم باللغة الفرنسية والانكليزية وكان المسيو (جازنيف) يلقى التي باللغة الانكليزية على الحضور فن عرف من اليا بائين احدي هاتين اللغتين كني ومن لم يعرف الا اليا بانية تترجم له بلغته بواسطة المسيو (جازنيف) الذي أتقن اللغة الانكليزية اتقانا تاماً . وكل من وردت عليه شبهة في موضع كان يرسلها الينا كتابة

وكنا نجيب عنها كتابة ايضا .

وبواسطة هذه الطريقة تمكنا من تفهيم معنى الدين الاسلامي ولو لا هذه الطريقة لم يعتنق الدين الاسلامي احد من اليابانيين لاسيما واننا كنا نفرغ جهدنا في اختراع اسهل الطرق وأقربها الى الفهم حتى انهم كانوا يدخلون في الديانة الاسلامية بكثرة مادحين تعاليمها .

وهكذا كنا نفعل في كل جاسة . وكما زدناهم معرفة بالدين الاسلامي زاد عدد الذين يعتقدونه منهم . وبذلك اتشهر صيت جمعيتنا في المدينة انتشارا عجيبا .

وكنا نسمع الثناء على الاسلام من الذين اعتنقوه لانه دلهم على الاله الحق واخرجهم من الظلمة الى النور وأوضح لهم النهج القويم . وان تلك الشبه وتلك الاجوبة عنها لو اجتمع كل المبشرين من الدين المسيحي وفرض انها كانت فيه لما قدروا على ان يردوا شبهة واحدة منها . لاسيما الطريقة السهلة التي توخيناها في ايضاح المبهم وحل المعضل وزوال الالتباس ونفي الريب .

وليس الفضل لنا في اختيار الطريقة السهلة التي استعملناها في تقرير قواعد الاسلام . بل الفضل للسلف الصالح من المسلمين جزاهم الله عن الاسلام خير الجزاء .

والذي سهل ايضا علينا هداية القوم الى ديننا القويم ان حالة اليابانيين الطبيعية ساعدت كثيرا على اعتناق الاسلام لانهم قوم عندهم استعداد طبيعي لقبول كل ما يوافق العقل ونفي كل ما يخالفه مهما أثبتوه بجميع أوجه السفسطة والمواربة .

واول دليل على أنهم في استعداد كاف لقبول الاوصاف الصحيحة
حُبهم لوطنهم هذا الحب النادر المثل لان من كان هذا الشعور فيه طبيعيا
فهو أقرب الى المهدي من الضلال والرشد من النفي .
فلو كان المسلمون ارسلوا وفودهم الى اليابان قبل هذا الاوان واستعملوا
هذه الطريقة التي استعملناها لكان المسلمون منهم الآن يعدون بالملايين
لا بالالوف

*
*
*

أما الذين اعتنقوا الاسلام على أيدينا فبلغ عددهم نحو الاثني عشر الف
رجل . فلو كان المبشرون للمسلمون وفدوا الى اليابان من زمن مسديد كما
ينت لكان عدد المسلمين أضعاف هذا العدد بكثير . ومن الذين اسلموا
على يدنا كثير من الحكام والتجار المستبرين وذوي الحثيات وكثير من
الوسط في الامة . وأول من اسلم على يدنا جناب المسيو (جازنيف) ثم
(أنزالكييو) و (انساتليزيو) و (كورفاري) وغيرهم من العظماء الذين
لو كتبنا اسماءهم لاحتجنا الى مجلد ضخم . ومنهم لم يرد تغيير اسمه الاصلى
ولا تغيير لإسم عائلته فعرفناهم ان هذا لا ضرر فيه . والذين لهم زوجات
تدين بالدين المسيحي لم يردن أن يغيرنه . فعرفناهم ايضا ان هذا جائز
في الاسلام . والذين لهم زوجات باقيات علي الاعتقادات الفاسدة عرفناهم
ان الاسلام يأتي ذلك كل الالباء . مع أننا وطمنا الامل بان المسيحيات
وغيرهن سيعتقن الدين الاسلامي قريبا حيث هن مطيمات محبات لبعولهن
هذا وقد عقدنا جلسات جمعيتنا نحو الثمانية عشر مرة وكل مرة كان
يعتق الاسلام الخلق الكثير كما بينا . ولما عزمنا على السفر رغب حضراتنا

الفاضلين الحاج مخلص محمود . والسيد سايمان الصيني في البقاء هناك حتى يبذلا الجهد في التبشير بالدين الاسلامي وعرفا انهما سيمكثان نحو الستة اشهر والذي يعرف أخلاق وعوائد الامة اليابانية ومقدار ما هم عليه من ذكاء القلب ونور البصيرة يجزم بانه لا يأتي زمن قريب حتى يرى منهم المسلمون اضعاف المسيحيين وسنة التدريج أيضا تقضي بذلك

﴿ الاسلام ﴾

لما اخذنا نوقف اليابانيين في جلسات جمعيتنا على حقيقة الدين الاسلامي وما يرمي اليه وكنا في هذه الحالة لا نخرجهم الى التطويل بل كل ما بيناه لهم هو باختصار بالغ النهاية . وأول شيء عرفوه هو الاسلام بطريقة سهلة وها هو معناه بالاجمال . ان هذا الدين الذي بعث به النبي محمد صلى الله عليه وسلم جاء ناسخا لكل الشرائع المتقدمة التي بعث بها الانبياء والمرسلون من قبل وقد حوي هذا الدين كل ما فيه مصالحة الخلق في حياتهم وممادهم وسمادتهم وارشادهم الى سبيل الخيرات والعقائد الصحيحة والتهذيب للنفوس والاخلاق الفاضلة كما في قوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)

ولما كان هذا الدين ناسخا لكل دين تقدمه وكان لم يزل من الناس من هو متدين بدين غيره أقام الله الحجة عليهم بقوله (ان الدين عند الله الاسلام) اي ان كل من لم يتبع الاسلام فهو كافر بالله ورسوله وبالكتاب الذي أنزل من عنده . وقد شدد الله الوعيد لمن حاد عنه وتدين بغيره وأذره بالخسران المبين يوم القيامة اذ يقول تعالى (ومن يتبع غير الاسلام

دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه ترجعون) أما من أسلم طوعا أي انقاد الى التصديق بهذا الدين طائعا فهو الذي وهب العقل والادراك ومنح من نور البصيرة فعرف أنه الدين الصحيح ولم يرتب في شيء منه فآمن بالله واليوم الآخر وصدق الرسول الذي جاء به والقرآن المنزل بأحكامه . وأما من أسلم كرها فهو الذي ارتاب فيه ثم جاءت الأدلة والبراهين قاطعة بحجة دامغة لكل ارتياب في قلبه حتى انقاد مقهورا بالحجة الى الاعتراف بأنه الدين الصحيح وأنه لرسول المرسل به من عند الله حقا وأن القرآن هو كلام الله صدقا . وقد أنكروا الله تعالى على الذين لم يتبعوه لا طوعا ولا كرها حيث قد أسلم وآمن به الذين لم يرتابوا فيه طوعا بلا جدال والذين ارتابوا أولا ثم قهروا بالحجة بعد الجدال منهم فاعترفوا وصدقوا . ومن كان يجحد في نفسه منهم مقاومة للحق فان ذلك لا يتجاوز الصدر ولا تنطق به الشفتان . ولما كانت الدين هو عبارة عن طاعة الله تعالى والعمل بأوامره والابتعاد عن كل ما نهى عنه فقد حث الله جل شأنه على الاستمسك بعروته الوثقى كل نبي ورسول وذلك كما جاء في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والذي وصي به الله تعالى هؤلاء الانبياء والمرسلين أولى العزم هو عبادته وتوحيده والوقوف عند كل حد رسمه لهم الدين الذي جاء به كل نبي منهم . وقد ذكر الله ذلك في غير هذا الموضع من القرآن الكريم حيث قال وهو أصدق الفائلين

(وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لاله الا أنا فاعبدون)
 وكما أنه تعالى ارتضى هذا الدين ولم يرض غيره أنذر كل من سعى في العبث
 به والتفرقة فيه وعطل حدوده وأمر بالتبرئة منه وشدد عقابه في الآخرة
 حيث يقول (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم
 الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)

وقد أخبر الله تعالى في التوراة والانجيل بانه سيأتي رسولاً في آخر
 الزمن بدين الاسلام ولكن الذين تدينوا بالمسيحية والذين حرفوا الانجيل
 والتوراة حذروا منه هذا النبأ لئلا يفسد عليهم ما نزعوا اليه من الضلال
 والتضليل مثل ما فعلوا في كثير من المواضع التي حرفوا فيها الكلام عن
 مواضعه وذلك كما جاء في قوله تعالى (والذين يحرفون الكلام عن مواضعه)

الاسلام دين القطرة .

خلق الله الانسان وميزه عن سائر الحيوان بالمثل الذي يميز به الاشياء
 ويعرف الضار من النافع ويهتدي به الى ما عساه يشكل عليه أمره من حقائق
 هذه الموجودات . فاذن العقل هو لدى الانسان بمنزلة الميزان أو بمعبارة
 أخرى بمنزلة حجر الصائغ الذي يميز به المعادن فيعرف الذهب من النحاس
 والفضة من الرصاص .

فاذا عرفنا هذا يمكننا أن نقول انه لا يوجد انسان في الوجود ينكر أن
 لهذه العالم خالقا خلقه وصوره من هذه الصورة . فهذه الصفة يكون كل
 الناس منفقين على وجوب وجود الخالق اذ لا يعقل ان هذه الكائنات
 وجدت نفسها بنفسها لما يترتب على ذلك من فساد الفضيلة لان التغيرات في

الاشياء والموجودات لا بد لها من مؤثر وعلى هذا رتب القضية المنطقية التي استدل بها على وجوب وجود الخالق وهي : العالم متغير وكل متغير حادث . فالنتيجة ان العالم حادث : واذا كل حادث لا بد له من محدث فالعالم لا بد له من محدث . فهذه القضية هي التي سلم بها كل ذى عقل كما تقدم .

ولما كانت ذات الله تعالى منزهة عن الزمان والمكان بعيدة عن صرامي الادراكات والتصورات وقفت كل العقول حيال معرفتها موقف المندهبس الحائر . وهي مع هذه الحيرة متفارقة في الدرجات من جهة الكمال . فن الناس من يقول ان الخالق لهذا الكون هو ذلك الكوكب اللبلى ونعني به القمر لما رآه من عظم جرمه وعجيب سيره وتنقله من حاله الى آخرى ونوره الذى يملأ ما بين الخافقين . ومنهم من يقول ان الخالق هو ذلك الكوكب النهاري وبمعنى به الشمس لما رآه فيها من كبر جرمها على سائر الكواكب وعن القمر في شعاعها الساطع ومن منافها في الاجسام النامية الحية وغير الدامية الحية . ومنهم من يقول ان الخالق هو النار لما رآه فيها من الخاصة التي تؤثر في كل شيء وهو الاحراق . ولما رآه فيها من المنافع الشاملة لضروريات الحياة . ومنهم من يقول ان الخالق هو ذلك الصنم الذى يصطنع من الحجر مثلاً . وهذا الفريق ومن على شاكلته ممن يعبدون ما تصنعه أيديهم . حكمهم حكم الحيوانات المعجم وهكذا كل فريق عين خالقا مخصوصا والذي دعا الناس الى هذا الاختلاف في تعيين الخالق هو حب النفس وميائها الطبيعي الى الوقوف على حقيقة الاشياء المعروفة لديها من الذهن الغائبة عن العيان خصوصا اذا كانت هذه الاشياء من المستغربات ولا شك أن

قدرة الموجد لكل هذه العوالم والمخرج لها من العدم الى الوجود غريب لدى العقول فتندفع بعيلها الطبيعي المذكور الى الوقوف على حقيقته . ولما كان الوقوف على حقيقته محالا بلغ المعجز والاعياء بهذا العقول مبالغا عظيما طلبت الراحة بتمينه بأي كيفية كانت فهذا هو سبب الاختلاف .

* * *

قلنا ان العقول بهذا الاعتبار وهو الاختلاف في تعيين الخالق تنقلات في الكمال . فالذي يعبد القمر أرقى في التصور والادراك من الذي يعبد الصنم لان الاول رأي شيئا غريبا من الخلقه فقال هذا ربي . أما الآخر فهو داخل في حكم الحيوانات العجم كما قدمنا لانه عبد ما صنعت يده . وهذه وقاحة وحمق : وأرقى هذا العقول في التصور هو العقل الذي يهتدي الى معرفة الحقيقة بمقتضى القضايا التي يستنتج منها النتائج الصحيحة بفضل ما أتى من العقل الصحيح .

* * *

وفضية سيدنا ابراهيم عليه السلام شاهدة على ذلك فانه لما وجد هذين الكوكبين غير حائزين لكمال الاله الحقيقي . وعدم الكمال هو الافول الذي يقضى بالتغيير والانتقال والحدوث . لم يؤمن بهما . ولما كان اعتقاده بوجود وجود الاله كان آخر ما وصل اليه عقله لان الاله الحقيقي لا تراه العيون فأمن به واعتقد وجوده .

فعلى كل ما تقدم يمكثنا أن نقول لو سألنا كل من يدين بغير دين الاسلام عن الاسباب التي أجبرته ودعته الى هذا الاعتقاد لذهب بك كل مذهب في اقامة الدليل والحجة حتى يبرمك ويضجرك وأخيرا لا تجد نتيجة يحسن بها

الاتباع . وهذا الدين المسيحي مثال على ما نقول . فانك اذا أردت أن تعرف حقيقة هذه الديانة وعن الدليل الذي استدل به المسيحيون على ألوهية المسيح . وسألت أعلمهم بدينهم وكان أفصح الناس لسانا لوقفت معه موقف الحيرة من التناقض وتضارب القضايا حتي تباع الروح التراقي . أما اذا سألت المسلم عن حقيقة دينه وأصل معتقده فيكفي في ذلك انه يشير بسبابته . وفي هذه الاشارة معني التوحيد الذي هو أصل الايمان .

والخلاصة أن الانسان اذا خلق ونشأ في أرض بعيدة عن بني نوعه مع وجود العقل الكامل فيه فهو ولا شك يمتد بشطرته انه لا بد من وجود خالق لهذه العوالم وهذه الكائنات مغاير لها كل المغايرة . وهذا هو منبع الاسلام وأصل دينه .

ووجد من الناس من هداه عقله الى هذا الاعتقاد في غابر الزمان وهم الفلاسفة المشهورين كافلاطون وسقراط وغيرهما والذين أسلموا من الافرنج وهم أرقى الامم من حيث العلوم الآن وبختمهم فيها . ولولم يجدوا هذه المزية في الاسلام ما كانوا اعتنقوه .

وهنا دليل آخر وهو أن المسلم العامي في امكانه أن يعبر عن حقيقة دينه بتلك الاشارة أو ما يقوم مقامها من العبارة . أما غير المسلم فانه يوقفك موقف الحيرة ولو كان فصيحاً كما قدمنا .

القرآن

هو كتاب الله الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفيه أصول دينيه وفروعه وفضلا عن هذا فقد حوى من الحجج الدامغة على كل من

ارتاب في صحة الاسلام وأخبر عن سيرة المتقدمين وأخبار الامم السالفة مما فيه ذكرى وعبرة لقوم يعقلون. كما أخبر عن كل ما في الوجود من عناصر ومعادن إما تفصيلاً . وإما ضمناً وذكر المواعظ الحسنة والارشادات النافعة الى خيري الدنيا والآخرة ووصف الدنيا وصفاً ممثلاً لحقيقتها ووصف الآخرة وما أعد فيها من النعيم المقيم لمن آمن بهذا القرآن وما فيها من العذاب الاليم لمن لم يصدق به وكفر به . وكل ما نراه الآن من آثار الحضارة والمدنية المحمودة هو بعض ما تضمنه هذا القرآن في كثير من الآيات ولو جمعنا المتشرعين في كل أمة من يوم خلق الله العالم الى هذا اليوم وكافناهم بوضع قانون يسير عليه الناس في كل أحوالهم الاجتماعية ويكفل لهم كل أنواع السعادات . لو عملوا به لوقفوا عند حد العجز عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لم يفاد صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها كما قال تعالى (وما فرطنا في الكتاب من شيء) وكل ما جاء في القرآن مرجعه الى ثلاثة أقسام التوحيد والتذكير والاحكام فالتوحيد داخل فيه كل الآيات التي تضمنت معنى ثبوت الالهية والوحدانية وغير ذلك مما يتعلق بذاته جل وعلا وصفاته وكل ما يختص بالرسول والانباء عليهم الصلاة والسلام . والتذكير داخل فيه انذار العصاة وتبشير الطائمين وهذا يدخل فيه ما جاء من المواعظ الحسنة وضرب الامثال والحكم في جوامع الحكم وذكرى أهل العصور السالفة والتهديد والوعيد والزواجر والتبشير بالجنة ووصف ما فيها من الخيرات التي أعدت للذين يعملون الصالحات والاحكام داخل فيها كل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات وكل ما تقتضيه الحقوق من كل أنواع القضايا التي نراها الآن.

﴿ كيفية نزول القرآن ﴾

لما كان القرآن هو كلام الله تعالى المخاطب به رسوله صلى الله عليه وسلم كان الرسول الأمين على الفاظه ومعانيه سيدنا جبريل وهو الملك الخالص بالوحي الى الانبياء ، وكان ينزل ليبلغ الآية أو السورة الى هذا النبي في ظروف أحوال ذات حوادث ووقائع تنزل فيها وفي شأنها الآية سواء كان هذا الشأن أمراً دينياً أو دنيوياً . ولذلك أنزل القرآن مفرداً على حسب الحوادث والوقائع لهذا السبب . ولسبب آخر وهو التثبيت في هداية الامم الى الايمان وعدم خيرة القواد حيال هذا الحكم والاحكام التي تناوت كل شئ لان تاتي كل هذه الحكم والاحكام دفعة واحدة مع ما حوته من السر العجيب في المدلولات وهي حسن التركيب وجمال الاساليب التي تقف بالعقل عند حد الحيرة . وفي هذا تعليم للفخلق بأن يأخذوا كل أمورهم بالحزم وعدم الاندفاع عند مبادرة الخواطر . لان الترتيب في العمل من مصائد الفلاح

وكان أول آية نزلت منه في شهر رمضان المعظم في ليلة القدر وسميت بذلك تشريفاً لها على جميع ليالي هذا الشهر والشهور كلها . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى عن ربه بواسطة سيدنا جبريل هذا القرآن ويتلوه على أصحابه الذين خصصوا اناساً لحفظه وتدوينه فكتبوه كما أنزل . وقد بالغوا في الاعتناء بحفظه وتدوينه كل المبالغة ولذلك لم يحرف منه حرف الى الآن ولن يزال كذلك كما أنزل حتى تقوم الساعة بدليل قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وأول ما أنزل منه قوله تعالى (اقرأ) باسم ربك الآية) وآخر ما أنزل منه قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)

﴿ إعجاز القرآن ﴾

لما أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان من
العنصر العربي والعرب خصوا بفصاحة اللسان وحسن البيان مما لا يوجد
في أمة سواهم . كان القرآن من أعظم المعجزات التي بهرت عقولهم . ففي
أول الامر نظروا الى بلاغته فقالوا هذا قول شاعر لعلمهم أن الشعراء
منهم هم المالكون أزمة البلاغة . فحاجهم الله بقوله (وما علمناه الشعر وما
ينبغي له) وليست بلاغة القرآن في جمال تركيبه ومعانيه وآياته بالإعجاز في
موضعه والاطناب في مواعظه . واحكام مواضع الفصل وانوصل مما لا يمكن
لأفصح الناس الاتيان بمثله . بل إعجازه أيضاً من جهة أنه يقرأه ويتلوه
الانسان ألف مرة وهو لا يزداد الا حلاوة في السمع بخلاف كل كلام
غيره مهما كانت درجته في البلاغة فانه اذا أعيد ملته الاسماع ونفرت
منه الطباع .

وقد أقام الله الحجة على الذين لم يصدقوا أنه كلام الله القديم وقالوا
انه من كلام البشر بقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) وهذا
أكبر دليل على عجزهم

ومن إعجازه أيضاً انه اخبر عن الامم السابقة وحوادثهم بأوجز عبارة
مما لم يكن معروفاً لدى علماء ذلك العصر مع اجتهادهم في الوقوف على
حقيقته . ومن إعجازه آياته بالاحكام التي لو اجتمع كل أهل الشرائع لما

قدروا على وضع مثلها مما يلائم ويوافق حالة كل أمة من الأمم جمعا .
 هذا فضلا عن الحجج الدامغة في تقرير الوحدانية له تعالى في كثير من
 المواضع . وكل الفصحاء والكتّاب والشعراء من أهل الأديان الأخرى
 يقتبسون منه في إنشائهم ما به يحسنونها ويفضلونه على كلام العرب الذين هم
 أفصح الأمم منطقا

رسالة سيدنا محمد

ان نسب هذا الرسول الكريم يتصل بسيدنا اسماعيل ابن سيدنا
 ابراهيم وهو من أشرف قبيلة في العرب وقد أخبر بمبعثه الرهاب والكهان
 قبل أن يولد كما أخبر بهذا المسيح في الانجيل كما ورد في القرآن حكاية عن
 ذلك في قوله تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله
 اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه
 أحمد) ولكن الذين حرفوا التوراة والانجيل حذفوا هذا النبأ منه .

ولدهذا الرسول وربى يتيم حيث مات أبوه وهو صغير فتكفل به بعض
 أقربائه . وقد ظهرت عند ولادته آيات وعجائب لم تتفق لغيره . فمن ذلك
 خمود بيوت النيران في أرض فارس اذ كانت تمبد دون الله تعالى وتكسير
 الاصنام من فوق الكعبة اذ كان العرب يتخذونها وسيلة الى الله تعالى . كما
 أن كسري ملك الفرس رأى ليلة مولده رؤيا هالته فقصصها على الكهان فأخبروه
 بان رسول آخر الزمن قد ولد . ومن ذلك انه لما كان يشتغل بالتجارة وكان
 ذاهبا الى الشام كانت تظلمه غمامة دون سائر معاصره من التجار ولما رآه



الراهب بحيرا عرفه اذ كانت له علامات دالة على أنه النبي المنتظر .
وكانت اخلاقه في عهد شببته لاتعاد لها أخلاق أكمل الناس عقلا .
وبما أن الله اختاره لرسالته طهره من سفاح الجاهلية . فلم يفعل ما كان
يفعله العرب من الافعال التي نهى عنها القرآن كشرب الخمر وشرب الدم
ولعب الميسر وغير ذلك . بل نشأ على عبادة ربه وانمكف في غار حري يتعبد
على ملة أبيه ابراهيم عليه السلام حتى جاءه الامر من عند الله بدعوة الخلق
الى الاسلام وذلك في بلوغه الاربعين سنة فجاءه الملك وهو سيدنا جبريل
بأمر ربه اذ قال له (ياأيها المدثر قم فأذر وربك فكبر الآية) ولما بعث رسولا
أيده الله بالآيات البيّنات مما يطول شرحه . فمن الآيات أنشقاق القمر وتفجير
الماء من بين أصابعه ورد العين المنفوعة صحيحة وكلام الضب والجل واتيان
الجدع يسعي اليه . ومن هذه الآيات القرآن الذي أعجز فصحاء العرب
والعجم عن الاتيان بمثله أو بعضه . وهو الكتاب الذي جاء به حاويا لكل
أصول الدين الاسلامي وفروعه وقد بين الله مقدار فضله ومنزلته عنده
ومحبته له في كثير من الآيات القرآنية وبشر الذين يتبعونه ومدحهم وانذر
الذين يخالفونه وذمهم وذلك في قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وقوله
(محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا
سجدا يتنون فضلا من الله ورضوانا سيّاهم في وجوههم من أثر السجود)
وقوله تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله الآية) وقوله عز وجل
(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فكل هذه الآيات القرآنية
بيّنت فضله صلى الله عليه وسلم وفضل الذين يتبعونه ويتدينون بدينه . واول
من أمر بالابلاغهم الدعوة الى الاسلام هم أهله وعشيرته حيث يقول الله تعالى

له (وأُنذر عشيرتك الأقرين) فكانوا له اعوانا في الدعوة الى الاسلام ومن هذه اشارة خفية الى أن أهل الانسان أولى الناس بايصال الخير اليهم للحممة القرابة : وما زال صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الاسلام ويجاهد في هذا السبيل وهو محفوف بمعونة النصر والغلبة على الكفار حتى قبض وهو في الثالثة والستين من عمره الشريف على اصح الروايات صلى الله عليه وسلم .

﴿ جلسة من ضمن جلسات جمعيتنا ﴾

لما اثبتنا للقوم بالبراهين العقيلة صحة الدين الاسلامي وانه دين الفطرة والمدنية شرعنا نيين لهم الاسرار والفوائد الجملة المتعلقة بحياة المرء الدنيوية والأخروية المودعة في احكام العبادات والمعاملات التي جاء بها الدين مما لا يوجد في تعاليم أى مذهب ودين من الاديان سوي الدين الاسلامي وكنا نكتب ذلك لهم ببيان واف وسهولة تقرب فهم كل ما نذكره على العقول وكل شئ نقرره كان يترجم باللغة الانكليزية والفرنسوية كما تقدم وكانت الصورة الانكليزية تعطي للمسيو (جازنيف) لاجل ترجمتها الى اللغة اليابانية ويلقيها على القوم فكانوا يكتبون في مذكراتهم لديهم وأول ما بدأنا ببيانه في هذا الباب هو الصلاة . ونذكر هنا مجمل ما بيناه من فوائدها تخفيفا على القاريء واحترازا من الاسهاب في غير موضعه .

وأول ما قررناه هو الفائدة في جعلها خمسا في اليوم واللييلة وذلك أن اداء الصلاة في أوقاتها الخمس يدعو النفس الى نبذ الكسل والخمول وحثها على القيام بعمل الواجب في أوقاته وإعلامها ان التسوييف في أدائه أو تأخيره عن أوانه فيه خسران عظيم وضرر بمصلحته . ويدعوها أيضا الى مراقبة جانب الله اذ يقف المرء بين يديه جل شأنه خمس مرات في اليوم

والليلة خاضعا خاشعا متطلبا عفوا وغفرا لذنوبه مستمدا معوته . وفي ذلك من تهذيب نفسه ونفورها من المعاصي ما لا يخفى
 اما السر في تفضيل صلاة الجمعة على صلاة المنفرد فلما في الثانية من معني
 الانفراد وهو ضد الاتحاد ولما في الاولى من معني الاتحاد الذي هو اساس
 النجاح في كل الاعمال . وفيها أيضا معنى المساواة والعدل اذ يقف الغني الحسن
 البزة بجانب الفقير الرث الثن كتفا لكتف وهذا منه إشارة ناطقة بأن المسلم
 لا يفضل اخاه المسلم بالغنى والجاه وإنما يفضل بالتقوي وهذا نهاية العدل .
 ومنه أيضا إشارة الي أن اطاعة الرؤساء والاعتداء بهم من الصفات الجميلة التي
 يتحلي بها العقلاء .

ولما كانت صلاة الجماعة في هذه الاوقات تكون في الغالب قاصرة على
 اهل البيت الواحد أو الحارة الواحدة جعل الشارع الحكيم يوم الجمعة عاما
 لاهل البلد اذ يجتمعون في مسجد واحد فهذا يكون ابلغ في الاتحاد . وقد
 ارتقى الشارع في هذا الصدد فجعل صلاة العيدين وهي اعم من صلاة الجمعة .
 اذ يجتمع فيه اهل البلد والبلدين في ساعة واحدة في وقت واحد . واشترط
 الخضوع والخشوع والسكينة والتؤدة في الحركات البدنية والقولية فيه إشارة
 الي ان التأنى في العمل وعدم التسرع من اقوي اسباب الفلاح والنجاح
 وإشارة أيضا الى التأدب أمام من هو فوقك منزلة وصرف النفس عن الكبر
 المهلك لها بالانحناء ووضع الجبهة على الارض وفوق التراب الذي هو اخس
 الاشياء تذليلا لجماعها وكسرا من شوكتها والتزه عن النجاسة فيها إشارة الي
 تدريب النفس على النظافة ليكون المرء بعيدا عما تشتمز منه النفس من
 الأوساخ والإدران ولان نظافة الظاهر اذا اجتمعت مع نظافة الباطن كان

ذلك ادعي الي ميل القلوب اليه . وفي هذا فائدة لا يعرف مقدارها الاذو
اللب السليم .

وفي تحديد الاوقات وترتيب الصفوف اشارة الي أن الواجب على
العاقل ان يجعل لكل عمل وقتا محدودا وان يسير على نظام مخصوص يضمن
له النجاح والفلاح بخلاف ما اذا لم يرتب لأعماله اوقات ونظامات بل يجعلها
فوضى : فان ذلك تعطيل لها وضياع الأوقات بلا جدوي .

❦ الاصول الاسلامية التي اخذتها اليابان ❦

ذكرت في خطبة هذه الرحلة وفي غير موضع منها ما يفيد أنه ليس من
موضوعها أن تأتي بنص جميع الخطب التي كنا نلقيها في جلسات جمعيةنا .
لان هذا يخرج بنا عن موضوع كتابة رحلة الي موضوع تأليف كتاب ديني .
ولكن اقول اننا كنا نشرح للقوم معني كل قاعدة من قواعد الدين
وآدابه الشرح الوافي ونبين لهم الحكمة التي ارادها الشارع من هذه القواعد .
كما كنا نتكلم عن القرآن وكيفية نزوله وبيان درجة بلاغته كما تقدم في محله
وأنه قانون سماوي آتي بما يلائم احوال كل امة في كل زمان ومكان وغير ذلك .
وقد افضنا الشرح في قواعد الاسلام الخمس وان الاسلام دين الفطرة .
واعجاز القرآن وكيفية انزاله وأثبت الوجدانية لله تعالى وكل ذلك تقدم
تلخيصه في هذه الرحلة .

وكنا نبين لهم أن الله واحد لا شريك له في ملكه وأنه ليس بذات
مجسمة وليس له جهة تحده وأنه قادر على كل شيء الخ والدليل على وحدانيته
انه لو كان له شريك لفسدت الارض لما تقتضيه الشركة من وقوع الخلاف
بين الشريكين في كثير من المسائل ومع هذا فلا بد من حصول الشقاق

والشفاق يفضي الى غلبة احدهما على الآخر وهذا يفضي على المغلوب بالضعف وهو مناف لصفات الربوبية وهكذا من قواعد علم التوحيد .

❦ الصلاة ❦

وفي الصلاة كنا نبين لهم الحكمة في الوضوء وكل افعال الصلاة واحوالها كما تقدم ذلك في موضع آخر وكنا نقول لهم ما معناه . ان الانسان ان كان يريد مقابلة احد الملوك فلا بد له أولاً من ازالة ما يجسسه من الاوساخ والادران وما أشبهها . فكيف لا يفعل هذا وهو ذاهب الى المسجد يقف أمام الملوك وأحكام الحاكمين . كما أن الانسان يقف امام من هو أكبر منه وقوف الادب والاحترام والسكينة فكذلك يقف أمام مولاه الاكبر واضعاً إحدى يديه على الاخرى . أو مسلاً ياهما خاضعاً خاشعاً يخنوبرأسه احتراماً ويضع جبهته التي هي أشرف عضو في جسسه على أخس شيء وهو التراب في السجود وتذلل له مظهر آهية الذل والخضوع ليكون راضياً عنه سائلاً إياه أن يغفر له ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته .

❦ صلاة الجماعة ❦

وان الحكمة في صلاة الجماعة وتفضيلها على صلاة المنفرد هي الاشارة الى الحث على الاتحاد واجتماع الكلمة وان في وقوف الفقير بجانب الغني اشارة الى أن التفاضل بين المسلم واخيه ليس بحسن الزى والهندام ولا بالغني بل بالتقوي (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وفيه ايضا اشارة الى المساواة بين المسلم واخيه في كل الحقوق . وفي استقامة الصفوف . اشارة الى الانتظام المطلوب في كل الاعمال . وفي توجيه الوجوه الى القبلة اشارة الى أنه من اهل

هذا الدين . ومن بعد المسافات وقربها بين كل صلاة واخري اشارة الى أن الاعمال تؤدي في الاوقات المناسبة لها لان الوقت ما بين صلاة الفجر والظهر هو وقت اشتغال المرء بأمور المعاش . فاذا قضى نحو الست ساعات وهو يشتغل بالكسب . كان هذا الوقت كافيا لهذا الغرض فيصلى الظهر . وقرب المسافة ما بين صلاة الظهر والعصر وما بين هذه وصلاة المغرب اشارة الي ان هذه الاوقات يقل فيها عمل الانسان للكسب فيمكنه ان يؤدي الغرض . واطارة الى انه كما افتتح النهار بصلاة الصبح كذلك يختمه بصلاة المغرب . وفي بعد المسافة ما بين صلاة العشاء وصلاة الصبح اشارة الى أن هذا الوقت هو وقت النوم وأخذ النفس قسطها من الراحة كما قال الله تعالى (وجعلنا الليل لباساً والنهار معاشاً)

وكننا نين لهم الغرض الذي يريد الشارع من فريضة صلاة الجمعة والعيدين والاذان والامامة .

﴿ صلاة الجمعة ﴾

ففي صلاة الجمعة عرفناهم ما جملة . ان صلاة الجمعة رآها الشارع غير كافية بالمراد من اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم فجعل يوم الجمعة يوماً يجتمع فيه المسلمون القاطنون في البلدة الواحدة في المسجد لسماع المواعظ الحسنة من جميع ما يتعلق بحياتهم الاجتماعية وما يتعلق بأمور الآخرة . فيخطب الخطيب منهم مبيناً لهم أنواع البدع المستهجنة والمفاسد التي تضر بالاخلاق والآداب ويحثهم على التماسد وترك المعاصي والاقبال على خير الاعمال واقامة الشعائر الدينية وهم جراً .

ولا شك أن اجتماع المسلمين في كل أسبوع لسماع هذه المواعظ مما يشد ويقوى رابطة الأئمة والاتحاد بينهم ويجمعهم يدا واحدة في كل ما يهمهم أمره. دنيا وأخري لو كانوا يعملون بمضمون ما يلقي عليهم من الحكم والمواعظ والامور والنواهي

*
* *

وقد ارتقى الشارع في الدعوة الى الاتحاد الى درجة ارقى حيث أمرهم بصلاة العيدين ليتفرغ المسلمون في هذا اليوم من كل شغل ويتبادلون فيما بينهم المودة والائتلاف مصافحة وتهنئة بمرور العام وهم في أتم وفاق والتآم. فيصافح الغريب في البلدة أهلها مصافحة الاخ أخاه كأنه من عائلته أو أحد أقربائه. ويكون المسلمون في هذا اليوم فرحين مستبشرين يلبسون أحسن اللباس ويبدلون فيه ما يقدرون على بذله من الاموال مواساة للفقراء حتى يكون الشكل فرحا مسرورا .

ولما كانت صلاة عيد الفطر لا يجتمع فيها الأهل البلدة الواحدة تقريبا فرض الشارع صلاة عيد الاضحى ليجتمع المسلمون في الاماكن المقدسة من كل بلد وكل قطر يتبادلون المودة أيضا فيكونون جميعهم على اختلاف أجناسهم وبعد بلادهم عن بعضهم كأنهم أفراد عائلة كما قلنا في باب الحكمة المرادة من فريضة الحج .

{ الاذان }

أما الاذان فحكمته عظيمة جداً لان الناس لداعي اشتغالهم بأمر المعاش قد ينسون وقت أداء الفريضة . فجعل الاذان لاعلامهم بحلول الوقت

فيتروكون الاشغال ويقبلون على الصلاة . وفي لفظ الاذان اشارة الى أن الصلاة خير الاعمال حيث يقول المؤذن (جي علي الصلاة حي علي الفلاح) ومعني هذه العبارة أقبلوا على الصلاة التي هي فلاح لكم ولا شيء أفضل من اجتماع المسلمين لاداء الفريضة المتضمنة للحكم التي شرحناها وهي الفلاح بعينه .

ولاجل هذا الغرض لم يجعل الشارع شيئاً غير الاذان لهذه الصلاة لاجل اعلام المسلمين بحلول وقت الصلاة . والا لتاب عنه الناقوس أو أي شيء ينبيه الناس الي حلول الوقت . ولو كان الامر كذلك لاكتفى مسلمو مصر والهند مثلاً بمدفع نصف النهار الذي يضرب في وقت صلاة الظهر .

{ الامامة }

وفي الامامة اشارة الي أن الانسان يجب عليه أن يقتدي بأهل الدين والعقلاء في كل اعمالهم وزيادة على هذا فان الامام نائب عن الخليفة الذي هو نائب عن النبي صلى الله عليه وسلم . فاذا اقتدي المسلمون بالامام فانما هم في الحقيقة مقتدون بالرسول ولذلك اشترط في الامام شروط يدل مجموعها على انه يجب أن يكون الامام عالماً تقياً وربما كان سالماً من كل العيوب التي تشين الرجال وتزري بهم .

ومثال ذلك اذا اجتمع المسلمون للصلاة اختاروا أكبرهم واصلاحهم . واذا تساوا اختاروا أكبرهم سناً لانه يكون فطناً من جهة العقل والادراك . ولما كان الامام ممتازاً لهذه الصفات الكاملة امرنا الشارع بأن لا يقتدى الحر بالعبد وهكذا من المميزات الاخرى .

﴿ الزكاة ﴾

وفي الزكاة كنا نبين لهم ان الانسان اذا كان الواجب عليه أن يتفقد اقاربه وأهله ويواسيهم ويسأل عن الفقير فيهم فيساعده على المعاش ببذل الاموال والجاه فكذلك المسلمون جعلهم الدين كأهل العائلة الواحدة فيجب على الغني أن يجود على الفقير صوناً لـمـاء وجهه من ذل السؤال . ومن هذا فوائد جمة منها انها تقوى رابطة الجامعة الاسلامية لما يكون من المودة والمحبة المتبادلة بين المسلمين بسبب جود الغني على الفقير . ومنها انها سبب لحصول الأمن العام في البلاد فتمتنع السرقة لان أكثر وقوعها يكون من الفقراء الذين يندفعون اليها بعامل الفقر . ومنها نفي التجاسد الذي هو من اكبر عوامل فساد البلاد والعائلات . ومنها تطهير للمال فتحصل البركة وهي النماء والزيادة . ومنها الحث على الكرم وهو ملاك الفضائل والتنفير من البخل وهو اكبر الرذائل . ومنها الغلبة على النفس لانها تضن بالشيء العزيز لديها وهكذا من كل الوجوه التي تضمنها الزكاة

﴿ الصوم ﴾

هو الامساك عن الغذاء وما في حكمه مما يسد الرمق وعن الجماع . وكان الله سبحانه وتعالى يشير الى ان اذلال النفس منعها عن أهم شيء مقوم للحياة وهو الغذاء لكي يبعدها عن الشر ويدربها على احتمال الحيلولة بينهما وبين شهواتها . وفيه اشارة ايضا الى ان الجوع القليل مفيد للصحة . لان الشهوة في الغالب لا تتفق الا عند امتلاء البطن واكتظاظها بالاكل . وفي هذا من الضرر ما لا يخفى .

وقد فرض الصوم في شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وفي الصوم في هذا الشهر فوائد عظيمة اذ يترك فيه المسلمون ما كانوا يباشرونه من انواع المعاصي فيصلي تارك الصلاة ويحرم الكأس شارب الخمر ويخرج الصدقة البخيل ويطعم الطعام المسكين واليتيم والاسير وهلم جرا وهو احد اركان الاسلام الخمس

وقد اراد الشارع في الصوم حكمة اخرى . وهي حث المسلمين على أداء الامانة لاهلها . وكذلك ان المسلم اذا حبس نفسه عن الطعام اطاعة لامر الله تعالى كان ذلك بمنزلة ايداع الامانة . فاذا وجد المسلم في بيته منفردا وعنده الغذاء ومنع نفسه عن تناوله مع انه لو تناول منه لا يعلم به احدا كان ذلك بمنزلة حفظ الامانة في وقت لو لم يحفظها لما عرفه احد ولما اثبت عليه احد اختلاسها . وفي هذا ايضا مخالفة للشيطان لانه اكثر وسوسة للانسان بفعل المنكر اذا اختلى المرء بنفسه وآمن من ان يطلع احد عليه فانه في هذه الحالة يجتهد في الوسوسة والاعراء . فمخالفته مخالفة للنفس الامارة بالسوء فهذه الفضائل كلها يحث عليها الصوم ولا غني للمرء بالتحلي بها .



﴿ الحج ﴾

أما الحج فقد أفضنا فيه الكلام أزيد من غيره . وكنا نرى القوم معجبين بفضيلة الحج أكثر من غيره . لاننا بينا لهم أن الشارع لما وجد المسلمين الذين تجمعهم جامعة الدين هم كافراد العائلة الواحدة كما قال تعالى (انما المؤمنون اخوة) وكما قال عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وكان من شأن أفراد العائلة أن يتزاورا ويتمهد بعضهم بعضا

فرض الحج ليجتمع المسلمون من كل جنس في مكان واحد فيتعارف التركي بالصيني والهندي بالرومي والعربي بالأفريقي والمصري بالسوري والمغربي باليمنى وهلم جرا . ويتبادلون فيما بينهم التعارف والتوادد ويسأل كل واحد الآخر عن أحوال بلاده وما فيها من أنواع الحضارة والمدنية والتجارة والزراعة وغير ذلك . وبهذا يكون المسلمون كلهم كأنهم مجموعون في هذا أهل اذ كل واحد يمثل أمته وبلاده .

وفيما كنا نبين لهم ان الحج هو من أقوى الاسباب لتأييد الجامعة الاسلامية التي تتخوف منها اوربا . وكذلك كنا نشرح لهم الحكم المودعة في المناسك كالطواف والقداء والوقوف بعرفة والنزول من منى وغير ذلك . وفيما عدا كل هذا كنا نتكلم باسهاب عن الرسالة زيادة عما تقدم وكيف بدأت الدعوة الاسلامية وكيف ان هذا الرسول الامي يحيى بكتاب هو جامع لكل سعادة الآلام في الدنيا والدين

وأيضاً كنا نشرح لهم الآداب الدينية في التحية والسلام . والمعاملات بين الناس . وما في الحدود الشرعية من القود كالقتل والجلد والقطع الى غير ذلك من النصائح والمواعظ التي جاء بها القرآن الكريم .

والذي اراه ان اليابانيين لو كانوا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة ما كانوا يحتاجون في اسلامهم الى مبشرين او مندوبين بل كانوا يمتنعون الدين الاسلامي بمجرد اطلاعهم على الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

﴿ السبب في انعقاد المؤتمر ﴾

كأن الحرب الروسية اليابانية كانت بمنزلة المرأة لدى اليابانيين نظروا

فيها الى هياتهم الاجتماعية فأوا فيها المجد والفخار وسائر الصفات التي
تسمو بالرجال الى أعلى مراتب العزة والمنعة ولكنهم رأوا فيها شيئاً لم يرضوه
لانفسهم الا وهو الدين ، رأوا معتقداتهم الاصلية التي اتبعوا فيها آباءهم
واجدادهم ليست منطبقة على العقل فانفوا من أن يكونوا مع هذا الفخر
الباهر غير متدينين بدين يوافق رقيهم المادي والادبي

ولذلك اجتمع الكبراء والوزراء والعلماء منهم وتباحثوا في شأن اتخاذ
دين من الاديان يقبله العقل ويكون دينها الرسمي فكان ممن حضر هذا
الاجتماع البارون (سوتانغو) وزير الداخلية سابقاً فوافق على هذا الاقتراح
وقال ان أمة متمدنة مثلنا يجب عليها ان تتخذ لها ديناً مبنياً على قواعد
صحيحة وأصول لا تدع في النفوس ريباً . ولكن ادع الى غيري اختيار
الطريقة التي بها نصل الى المرغوب . فقال الكونت (كأسورة) رئيس
الوزراء سابقاً ان الرأي عندي هو اننا نرسل الى الدول المتمدنة خطابات
رسمية ليرسلوا الينا العلماء والفلاسفة من المتشرعين في دياناتهم ومتى وصلوا
الينا نقدنا مؤتمراً دينياً تدور فيه المناقشة والمباحثة في فلسفة الاديان
ويشرح كل أهل دين قواعده ومتى اهتمدنا الى الدين الصحيح اعتنناه
وجعلناه ديننا الرسمي . فصادق على هذا الرأي الكونت (جرافوش)
وصرح بأنه هو الرأي الذي كان يدور بخلده من قبل ان يفتح باب
الكلام في هذا الموضوع

ومما قاله الكونت (جرافوش) ان رجلاً من اهل الصين المسلمين
يدعي (حسان نيوس) حضر الى اليابان في شهر اغسطس سنة ١٩٠٥ ومعه
كتاب في الديانة الاسلامية ألفه وفيه بيانات كافية وادلة منصفة حتى اني

استحسننت هذه الديانة ولكن ظروف الاحوال حالت دون ان يسمح لهذا الرجل بنشر كتابه اذ الامة اليابانية لم تكن في هذا الوقت بحثت عن دين تمتنقه . اما الآن وقد عزتم على عقد مؤتمر ديني يكون جامعا لعلماء وفلاسفة كل دين فاني اوافق على هذا كل الموافقة كما اني اري ان الامة متى رأتكم شرعتم في امر كهذا فهي تابعة لرأيكم .

وبما ان حرية الاديان مطلقة فكل انسان منا يعتقد الدين الذي يرتضيه وهذا هو رأيي الخصوصي في هذا الموضوع .

ولم يكديفرغ المستر (جرافوش) من كلامه حتى أقر جميع من حضروا هذا الاجتماع على وجوب ارسال الخطابات الرسمية الي الدول لاجل انعقاد المؤتمر وفي مقدمة الذين صادقوا على هذا الاقتراح جناب الكونت (هيچيكان) والبارون (سون) والاول من اصدقاء الميكادو ويعول عليه في كل الامور الهامة ذات البال . والثاني هو وزير المالية سابقا ولا يقل عنه في الثقة لدي الميكادو والاثنان قد بلغا في الآداب والحكمة ومعرفة ضروب السياسة مبالغا عظيما بين سائر اكابر الامة اليابانية . وبعد هذه المداولة والمفاوضة عرض الامر على جلالة الميكادو فوافقهم على ذلك واصدر امره الرسمي بارسال الخطابات الي الدول العظمى وكان في مقدمة الدول دولتنا العلية ودولة فرنسا وانكلتر فايطاليا فالولايات المتحدة فالمانيا ولما ابلفت هذه الدول امر الميكادو ارسلت الوفود من رؤساء كل مذهب ودين وان كانت كل هذه الدول عدا دولتنا العلية تجتمع في الدين المسيحي ولكن السبب في ابلاغ كل دولة على حدة هو اختلافها في نفس الدين المسيحي من خصوص المذهب لان منهم كاثوليك

وارتودكس وبروتوستنت .

ولما حضر الوفود قوبلوا بكل حفاوة واجلال واول جلسة عقدت
من المؤتمر كانت في اول شهر مارس سنة ١٩٠٦

(الاعضاء المندوبون في المؤتمر)

لما حضر الاعضاء المندوبون من قبل دولهم لحضور المؤتمر على حسب
رغبة الميكادو الذي اصدر امره الرسمي بانعقاده . استقبلوا أحسن استقبال
واعدهم محال للسكنى لاثقة بكرامتهم وكرامة الدول المرسله لهم . واعدهم
كل ما يلزم لكل وفد الا الاطعمة فانها لم تكن على مصاريف الحكومة
اليابانية كغيره والسبب في هذا ليس البخل او الاقتصاد ولكن لعدم معرفة
ما يوافق كل وفد من أنواع المآكل فلذلك جعلوا لهم حرية اختيار الاطعمة
.. ولم يكند يستقر قدم هؤلاء الوفود حتى حدثت ضجة كبرى بين
المبشرين المسيحيين واضطربت أفكارهم أيما اضطراب سواء في ذلك
الكاثوليك منهم والارتودكس والبروتستنت وقد اجتمع بعض اعضاء
هذه الوفود من غير المسلمين بالمبشرين وسألوه عن نتيجة أعمالهم من
التبشير واخذوا فكريهم من جهة الدين الذي يميل اليه اليابانيون أكثر من
سواه من الاديان الاخرى . فاجابهم المبشرون بما معناه

اننا لا يمكننا ان نجزم جزما حقيقيا او نرى رأيا صائبا من خصوص
الدين الذي هو أكثر موافقة لليابانيين . وذلك أن منهم من اعتنق الدين
المسيحي وبعد ان أوضحنا لهم قواعده وتعاليمه وعيننا في ذلك ما عايناه من
المشاق رأيناهم رفضوا كل ما التى اليها رفضا تاما ولم نعلم السبب الذي الجأهم

الى هذا الرفض حتى كنا نجتهد في ازالة ما علق باذهانهم .
ومنهم من دخل في الديانة المسيحية ومكث مدة يتعبد ثم خالفها واتبع
شريعة (كونفوشيوس) ويدعون ان هذه الشريعة من مبادئها ان تؤلف
بين القلوب على اننا اذا تصفحنا تعاليمها نجدها كلها خرافات واوهام باطلة
واعتمادات فاسدة . ومهما كان فلا بد من وجود سبب دعاهم الي مخالفة
الدين المسيحي بعد ان اعتنقوه .

ولو كان رفضهم مبنيًا على ان الدين المسيحي غير مؤلف بين القلوب
فهذه ايضا دعوى منقوضة لان الدين المسيحي الذي يأمر بالاحسان الى
المسيء والصفح عنه لا يصح ان يقال فيه انه غير مؤلف بين القلوب .
واذا كانت دعواهم انه غير موافق للعقل فكان الواجب عليهم ان
يعربوا عن ما في ضمائرهم من وجوه النقد والاعتراض الدال على صدق
دعواهم . وبصرف النظر عن هذا كله فاننا نجد الذين يدنون بهذه الشريعة
على تمام الوفاق والاتحاد مع من اعتنقوا الدين المسيحي . وقد يجوز بل هو
الاقرب الى الصواب ان هذا التألف والتوافق الموجود بين الطائفتين
ناتج عن محبة الوطن الذي هم فيه سواسية على اختلاف المعتقدات وناهيك
يتفاني اليابانيين في محبة وطنهم . واننا في حالة ذهول واندهاش وحيرة عظيمة
اولا - من عدم ثبات اليابانيين على حالة واحدة من جهة الدين الذي يمتنعونه
ثانيا - من جهة الاتعاب والمشقات التي نعانيها في كل آن في سبيل ارشادهم
الى الدين المسيحي . ثالثا - على كثرة المصاريف التي نصرفها في هذا السبيل
وليست هذه المصاريف قاصرة على ما نحتاجه من مآكل ومشارب وملبس
ومسكن : بل اننا نساعد الفقراء منهم الذين يدخلون في الدين المسيحي .

ومن المصائب أننا بعد ان نساعدهم ونصرف عليهم المصاريف الفادحة
يتركون الديانة المسيحية.

وبما ان حرية الاديان في اليابان مستوفية كل مالها من شروط الحرية
ولم نفلح نحن مع مكثنا هذه المدة الطويلة فكيف بنا لو كانت هذه الحرية
مفقودة . والاغرب من هذا كله ان كثيراً من الذين اعتنينا بتربيتهم من
ابناء اليابانيين وادخلناهم في مدارسنا وصرفنا عليهم المبالغ الطائلة في وجوه
كثيرة غير المأكل والمشرب يخالفوننا تمام المخالفة. وهم ليسوا بالمدد القليل
بل يمدون بالآلاف وبذلك تكون المصيبة مضاعفة مصيبة ارتدادهم عن
الدين ومصيبة المصاريف الكثيرة ومصيبة تعبنا الذي ذهب ادراج الرياح
فنحن الآن في حيرة ما بعدها حيرة.

فلما سمع الوفود من المبشرين هذه الاقوال وعرفوا ما تقوه من الشدائد
مع عقم النتيجة صاروا في حيرة من أمرهم واعتزتهم الدهشة وقالوا: اذا كان
هؤلاء مكثوا مدة طويلة وصرفوا مبالغ طائلة وفتحوا مدارس عديدة والآن
لم يحصلوا على ثمرة اتابهم . فكيف بنا ونحن حديثو العهد بالقدوم الى
اليابان : فأجابهم المبشرون بما مفاده انكم لا تدعوا القنوط يأخذ منكم مأخذه
وداوموا على الثبات في جلسات المؤتمر ولا تضرعوا ولا تتخذوا ما لقيناه
من المتاعب والمصاعب باعثاً على احجابكم . فانكم ستحضرون المؤتمر الذي
يؤلف من اعيان واشراف القوم . وربما اختاروا جميعهم ديننا واستحسنوه
فاعتقوه . واذا كان هذا فان أهل الطبقة الوسطي منهم يتبعونهم وبالطبع
يتبعهم الفقراء . لانهم اذا رأوا الاكابر منهم والعقلاء فيهم فعلوا أمراً فهم

تأبعون لهم . وحسبكم أن يكون لكم حزب من الاعيان الذين يدينون بالدين المسيحي . فان هذا من اقوي الاسباب التي تكال مسعاكم بالنجاح حيث تكونون قد خدمتم دينكم ودولكم التي اختارتكم لهذه المهمة : فلم يقع قول المبشرين هذا لديهم موقع القبول والاستحسان وقالوا لهم : اذن انتم الآن لاتعرفون كيف تستمال قلوب عقلاء الامة وأمرائها مع انكم مكثتم هنا السنين العديدة ولم يكن في وسعكم أن تستميلوا قلوب البسطاء الذين لا قدرة لهم على المجادلة في أي مسألة دينية . ومن هذا يستدل أيضا على انكم جاهلون تمام الجهل بسياسة التبشير وجذب القلوب اليكم . هذا والذي أراه ويراها كل عاقل منصف ان المبشرين لم يدخروا وسعا في استمالة قلوب اليابانيين لانهم بارعون في هذا السبيل فلا حق للمندوبين في وصفهم بالعجز ولكن اليابانيين أنفسهم عاملوهم على مقتضى المثل المشهور عندهم وهو (اكرم الغريب ولا تجهل نواياه)

﴿ الجلسة الاولى من المؤتمر ﴾

لما وصل الوفود المنتدبون من قبل الدول الى عاصمة اليابان صدر أمر الميكادو بانمقاد المؤتمر وكان الحاضرون فيه من الاعضاء وغيرهم يبلغ نحو المائة وعشرين رجلا من أكبر رجال الدولة اليابانية بين عالم فيلسوف ووزير خطير وعالم اجتماعي وعظيم سياسي وغير هؤلاء ممن لهم دراية تامة بسائر العلوم والفنون . وكانت الجلسة تحت رئاسة الميكادو نفسه . واول ما فتحت الجلسة عرضت على الحضور القاعدة الاساسية لهذا المؤتمر : وهي ان الغرض من هذا المؤتمر هو البحث في اصول كل دين

ومذهب يريد أهله أن يعتنقه اليابانيون على شرط ان تكون كل الادلة التي
يؤتى بها على صحة كل دين مطابقة للعقل والا فلاحاجة الى البحث فيه. وبعد
ذلك قام احد الاعضاء المنتدبين من قبل دولتنا العلية وقال ما معناه: أما ما
يرمى اليه المؤتمر من انت الواجب على اهل كل دين ومذهب أن يبينوا
قواعد دينهم ومذهبهم بالادلة والبراهين المطابقة للعقل . فاقول اني كفييل
بان كل برهان ودليل اقيم على صحة الدين الاسلامي لا يخرج عن دائرة
المعقولات سواء ذلك في الامور النكالية والجزئية من امور دين الاسلام اذ
الشارع لم يضع قواعد الدين عبثا بل لا بد هناك من حكمة بالغة يريدها
بالاوامر والنواهي وكل انواع المعاملات والعبادات . واني زعيم ايضاً بان
اجيب عن كل اعتراض أو سؤال في شبهة ربما تعرض لاحد . بشرط أن
يكون السؤال او الاعتراض في الامور المتعلقة بجوهر الدين .

*
* *

وعلى أثر قوله هذا قام الكونت (هيجيكان) وقال ما معناه : حيث ان
جناب المندوب العثماني قال ما هو المقصود من عقد هذا المؤتمر واشترط
على نفسه أن يأتي بالادلة والبراهين على صحة دين الاسلام وكذلك اشترطه
بان يجيب على الاعتراضات والاسئلة فيما لو عرضت شبهة من الشبه بما
يطابق العقل فما عليه الآن الا أن يبدأ فيما تكفل به واشترطه على نفسه :
ثم جلس وقام بعده المندوب العثماني وقال ما ملخصه من الخطبة التي القاها
باللغة الفرنسية . اقتضت حكمة الله تعالى أيها الافاضل انه عند ما يرسل
الرسول الى الامم التي تعبد ما سواه انه يرسلهم بتعاليم ومعجزات مناسبة
لاحوال واطوار هذه الامم لتكون الحججة ابلغ والبرهان اقوى ولذلك اذا

اطلعنا على سيرة كل نبي وعلى كل ما ايده به الله من المعجزات نجد ان شريعة سيدنا عيسى عليه السلام ومعجزاته خلاف شريعة سيدنا موسى ومعجزاته وهلم جرا

وما ذلك الا لان امة كل نبي تغاير الاخري في المعتقدات والعوائد كما تقدم . ولاجل بيان هذا الاجمال اقول : لما ارسل الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى الى فرعون وهو احد ملوك الفراعنة الذين حكموا مصر كان هذا الطاغية قد زاد في طغيانه الى ان ادعي الربوبية في الارض وطمحت به نفسه الى ان يصعد الى اسباب السماء . وبلغت به درجة الكفر الى ان قال للمصريين (أنا ربكم الأعلى) كما حكى الله ذلك عنه وبلغت به درجة الغرور بالملك الى ان قال (أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي) فلما جاء موسى عليه السلام يدعوه الى الايمان بالله وحده لا شريك له كبر عليه الامر فلم يؤمن . فايد الله نبيه ورسوله موسى بالمعجزات وهي الامور الخارقة للمادة وليس في قدرة البشر أن ياتوا بمثلمها . فن هذه الآيات والمعجزات ارساله تعالى القمل والضفادع التي ملأت بقاع الارض ومنازل القوم حتى ضاقوا بها ذرعا ولم يقدر الههم فرعون على وقاية نفسه ووقايتهم منها وكذلك صيرورة ماء البحر والآبار الى دماء حتى كادوا يهلكون عطشا . وكل ذلك لاجل ان يظهر الله سبحانه وتعالى لفرعون وجنوده انهم ضعفاء لا يملكون من الامر شيئا وأن فرعون لو كان الها حقيقة لما عجز عن دفع هذه المصائب التي حلت به وبقومه .

ولما كان السحر في ذلك العصر فاشيا وكان العلماء منهم بارعين قالوا ان موسى ساحر فاجبهم موسى وطلب منهم المناظرة ليبرهن لهم انه نبي مرسل

لا ساحر ، فأمر فرعون بعتد مؤتمراً يحضره كل السحرة الماهرين في علم
السحر وفعلوا أرسل في المدائن حاشرين أن اثنوني بكل ساحر عليم . وكان
موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى : فلما جاء اليوم الموعود وحضر
السحرة وكان أغلبهم من مدينة (عين شمس) بمصر أمرهم فرعون بأن يعملوا
عملهم فألقوا سحرهم وهو عصي وحبال كانت معهم فصارت أفاعي ملأت
الارض حتي صار المنظر مرعباً من تلك الحيات . فأوحى الله سبحانه وتعالى
الى نبيه موسى بأن يلقى العصا فألقاها فإذا هي ثعبان التقف كبل الحيات
التي القاها السحرة ففزع فرعون وجنوده . أما السحرة فانهم اعتقدوا ان فعل
موسى خارج عن طاقة كل ساحر وانه لا بد وان يكون نبياً صادقاً فأمنوا
به وصدقوه وخروا لله ساجدين وقالوا آمنا برب موسى وهرون .

ولكن فرعون مع وضوح الدليل على عجز السحرة أخذته العزة بالاثم
فلم يؤمن وقال للسحرة انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا قطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف ولأصابعكم في جذوع النخل اذ آمنتم به قبل أن آذن
لكم فلم يرجعوا عن اعتقادهم في صدق نبوة موسى وصبروا على أذى فرعون
لما تبين لهم من الدليل القاطع والحجة الدامغة اذ العقل لا يقبل أن يعتقد أن
ما فعله موسى من قبيل السحر حيث افرغ السحرة جهدهم في القاء السحر
حتي لم يبق باب لديهم الا طرقوه . ولما لم يجد فرعون من طريقة بها يدحض
حجة موسى اعتمد على قوته فأمر الله سيدنا موسى أن يرحل من ارض مصر
هو وقومه الذين آمنوا معه من بني اسرائيل فرحل قومه فرعون حتي اذا
قارب اللحوق به على ساحل البحر الاحمر أمر الله موسى أن يضرب بعصاه
البحر ففصر به فانشق مصر به موسى وقومه فاتبعهم فرعون وقومه وبعد ذلك

نجا موسى ومن معه أما فرعون فإنه أدركه الغرق هو وقومه . ولما أحس فرعون بالهلاك قال اني آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فلم يقبل منه هذا الايمان لانه لولا خوفه من الغرق لم يقل هذه الجملة ولو كان مؤمنا حقا لكان صدق موسى من قبل لما أتاه بالآيات الاخرى السابقة .

وكذلك فعل موسى مع بني اسرائيل بعد هذه الحادثة من المعجزات التي يقبلها العقل والتي هي مناسبة لحالة قومه فانهم ارتدوا بعد الايمان واخذوا ينتقلون من حالة الكفر الى حالة الايمان وكان موسى يظهر لهم من الآيات ما ليس في طاقة البشر أن يأتوا بمثله .

ومثال ذلك أنه لما استسقاها قومه قال الله له اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفاق منه اثنتا عشرة عينا تجري منها المياه . هذه ايها الافاضل سيرة موسى عليه السلام مع فرعون والذين اتبعوه . فترون منها أن الدلائل والمعجزات التي آتى بها كانت مطابقة لحالة القوم في ذلك العصر . ولما ارسل الله سبحانه وتعالى عيسى بن مريم عليه السلام كان فن الطب في ذلك العصر راقيا جدا فايده الله بالمعجزات التي يعجز عنها أكبر الاطباء فكان يبصر الأكمه والابرص والاعمى باذن الله تعالى وكذلك كان يحيي الموتى وهكذا كان إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام الى الأمم السابقة . ولما ارسل الله تعالى نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام ايده بمعجزات باهرات وآيات بينات واكبر هذه الآيات واوضح هذه البراهين الدالة على صدقه هو القرآن الذي تحدى به فصحاء العرب لانهم كانوا في ذلك العصر على جانب عظيم من الفصاحة والبلاغة . فلما عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن قالوا انه قول شاعر . فقال لهم ان كان هذا قول شاعر وفيكم من يقول الشعر

فأتوا بسورة من مثله او أى آية من آياته فمجزوا جميعا .

وكذلك كانت المعجزة في نفس النبي عليه الصلاة والسلام اذ كان أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانا مع كونه أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة فجاءهم بالشريعة الاسلامية وقرر قواعدها وبين احولها . وكان يعلم العرب من امور الدين ما لم يقدر أن يأتي بمثله أكبر العلماء المتشرعين من يوم أن خاق الله العالم الى يومنا هذا .

فكون هذه المعجزات وهذه الآيات وهذا الدين الذي سأبين لكم قواعده يأتي بهما رجل أمي لم يعرف القراءة ولا الكتابة مع ما كان عليه العرب من الفصاحة والبلاغة لدليل على أنه النبي الصادق وأن دينه هو الدين الصحيح الذي يقبله العقل كل القبول : كل ما تقدم يا حضرات الافاضل أتيت به استدلالا على أن صاحب الشريعة الاسلامية وهو سيدنا محمد بن عبد الله نبي حقا ورسول صدقا .

جاءنا هذا النبي عليه السلام بأصل هذا الدين وهو الشهادة بان الله واحد في ذاته وفي صفاته لا شريك له في ملكه وانه قادر على كل شيء وانه ليس له شكل مخصوص محسوس بحاسة البصر حتي يحويه مكان بل هو بخلاف كل ما يتصوره الذهن وأنه لم يلد ولم يولد .

أما كونه واحدا في ذاته وفي صفاته فهذه قضية مقبولة عقلا لانه لو كان في هذا الكون آلهة متمدة لفسدت الارض لانه لو فرض ذلك لحصل الخلف فيما بينهم . والقاعدة المعروفة عقلا أن تعدد الروساء في مصلحة واحدة مخل بها مفسد لها . اذ ربما تكون ارادة هذا الاله اقتضت أن يخلق خلقا لم يرد خلقه الاله الآخر ولا يخفي ما في هذا من المنازعات وتضارب السلطات

وهذه أيضا يتناول الشركة اذ لو كان الاله شريك لفسدت الحال ايضا لانه لو اراد مثلا احد الشريكين أن يجعل المحيط الهندى ارضا يابسة والثاني اقتضت رغبته أن يبقى على ما هو عليه لوقع الخلاف بينهما. وعلى هذا إما أن يتفقا وإما أن يختلفا . فان اتفقا فلا بد من وقوع أحد امرين إما جعل البحر يابسا . وإما بقاؤه على ما هو عليه . وعلى كلا الامرين فالذي ينفذ مرغوبه دون الاخر يوصف بالقدرة ويوصف الآخر بالضعف لان العدول عن رغبته الى انفاذ رغبة الآخر يعد نقصا في قدرة الثاني . وهذا لا يجوز في حق الاله . وان اختلفا فلا بد من غلبة احدهما وهو أيضا داخل فيما تقدم من وصف احدهما بالمعجز والضعف أمام الآخر القوى . وهذا لا يجوز ايضا في حق الاله .

فنتج من هذا كله أن الاله لا بد وأن يكون واحدا وانه لو كان له شركاء نخر الكون ولم يدم يوما واحدا عامرا .

واما استحالة كونه معيناً محسوساً بحاسة البصر فهذا أيضا لا يقبله العقل لانه اذا كان كذلك يكون قد تميزته الجهة ومتى تميزته جهة مخصوصة تكون قد خلت منه باقى الجهات الأخرى وهذا يناهى العلم بكل شئ في الوجود اذ يكون علمه منحصراً في الجهة التى هو فيها وهذا لا يكون من شأن الاله الذي لا يخفى عليه شئ في السماء أو الارض : ورب قائل يقول قد يجوز ان يكون له علم بكل شئ في الجهات التى لم يكن موجوداً فيها . فردا على هذه الدعوى نقول وما هو الداعي اذن لوجوده في جهة مخصوصة دون الاخرى مع ان الكون كله ملك له يتصرف فيه كيف يشاء : وان قيل انه ينتقل من مكان الى آخر نقول أيضا وما هو

الداعي لهذا التنقل وهذه الحركة . ان كان لاجل تمهد الخلق فهذا أيضا باطل لان التنقل وتمهد الخلق يقضى بانه عاجز عن تمهد خلقه في وقت واحد وهذا أيضا من دلائل استحالة وصف الاله بالقدره . واما استحالة كونه والدآ أو مولودا فهذا لانه لو كان كذلك لكان مثل الحوادث . وعلى هذا يرد الاعتراض الآتي .

إذا كان الاله والدافو يقضى بانه كان مولودا قبل أن يكون والدا وبصرف النظر عن هذا الاعتراض فانه ان كان والدا يكون شبيها بخلقته ومتى كان الاله شبيها بخلقته بطل كونه الها لما يقتضيه معنى التنزيه عن التشبيه بالخلوقات شأن الاله الحقيقي : وإذا كان مولودا يرد أيضا الاعتراض الآتي إذا كان الامر كذلك ووالده إله قبله فهذا يقضي بالدور والتسلسل اذ هو يقضي بان والد الاله اذن كان مولودا لوالد آخر وهذا الوالد يكون الها أيضا وهم جرا . وهذا لا يقبله العقل البتة .

فنتج من كل هذا ان الاله لا بد وان يكون واحدا في ذاته وصفاته وانه لا يمكن له يحويه وأنه لم يكن والدا ولا مولودا .

* *

هذا هو ملخص الخطبة التي القاها المندوب العثماني . ولولا خشية الاطالة لذكرتها حرفيا . ولما تلا حضرته الخطبة كان الكل ملقيا اليه سمعه مصغيا الى ما يقوله . وفي أثناء ذلك كانت علامات الدهشة والاستغراب والاعجاب به ظاهرة من ملاحظات الميون . اذ كل واحد كان يأتي بلحظاته الى الآخرين . شأن المندهب المستغرب . ولكن هيبة الموقف

جمعت القوم كأن على رؤسهم الطير .

*
* *

وبعد ذلك قام أحد المندوبين الامريكان وقال مامعناه بالاختصار .
قام حضرة المندوب المسلم وقال في ضمن كلامه ان موسى ضرب اليصح
فانفلق الخ . وضرب موسى البحر بالعصا وانشقاقه له هذا أمر غير مسلم .
لان البحر لا يشق لانسان مهما كانت درجته . وانما كون موسى وقومه
اجتازوا البحر ونجوا وفرعون اجتازه ففرق . فهذا كما ورد في التاريخ المعول
عليه ان البحر كان في حالة المد والجزر . واجتياز كل منهما كان في حالة الجزر
ولكنهما لما توسطوا في البحر حصل المد ففرق فرعون وقومه . وموسى نجا
من الفرق هو وقومه لانه لم يدركه المد وزيادة على ذلك كان متقدما أمام
فرعون : ومكث المندوب الامريكانى يتكلم بنحو هذا الكلام . ولما انتهى
من سفسطته قام المندوب العثماني مفنندا أقواله بما معناه بالاختصار .

ليس للمعترض وجه في الاعتراض لاني قلت أولاً أن انفلاق البحر لسيدنا
موسى هو معجزة ولا شك أن المعجزة أمر خارق للعادة المألوفة . وذلك
أن موسى لما ألقى العصا وصارت ثعبانا والتفتت كل مافعله السحرة لم يصد قومه
وقالوا ان هذا أيضا من قبيل السحر فأمره الله بالمسير نحو البحر وضربه
بالعصا ليظهر لهم معجزة أقوى من الاولى . وأيضا قد كان أخبر سيده
موسى قومه بأنه ستظهر معجزة أخرى على يديه والمراد بها انفلاق البحر
وعلى فرض انه حصل مد وجزر في البحر فيبحر مثل البحر الاحمر معهم
كانت درجة الجزر فيه فلا يمكن لاي احد أن يمر منه لبعده عمقه اللهم الا اذا
كان سباحة . ولو كان سباحة فقير ممكن ذلك أيضا لانه كان فيمن معناه

النساء والاطفال والامتعة والجمال والدواب . فن الحال ان يمر البكل
سالمين .

وبصرف النظر عن هذا و هذا فلماذا حصل المد والجزر في هذا اليوم
المخصوص والساعة والدقيقة المخصوصتين .

لا شك ان الجواب عن هذا معروف بالبداهة لدى كل ذي مسكة
من العقل .

ولما انتهى المندوب العثماني من رد الاعتراضات أبدى كل الحضور
استحسانهم لما ألقاه وأعجبوا به كثيرا .

أما المعارض فانه صار كأنه ألجم بلجام من حديد حيث لم يجد في كلام
المندوب وجهاً للاعتراض مرة ثانية . وبعد ذلك قام المندوب الثاني
الامريكاني وتكلم في اصول الديانة المسيحية ثم تبعه آخر ايطالي فاخر الماني
والكل كانوا مثقفين في الموضوع الذي تكلموا فيه ولولا أن المقام لا يسمح
بسرده ما قالوه تفصيلا لكنك اتيت به كذلك . ولكني أرجي هذا الى الجزء
الثاني من هذه الرحلة . اذ الغرض الوحيد أن أذكر اعمال الجلسات مخصصة
تلخيصا نظرا لتشوف القراء الى الاحاطة بها اجمالا بادىء بدء .



هذا الذي ذكرته هو خلاصة ما دار البحث فيه في الجلسة الاولى من
المؤتمر . وبعد أن انتهى المندوبون من مباحثاتهم أرفضت الجلسة بعد أن حدد
لها ميعاد بعد يومين من تاريخ انعقاد الجلسة الاولى .

هذا وقد صارت خطبة المندوب العثماني حديث القوم في النوادي
العمومية والخصوصية وبلغ إعجاب القوم بها ايتا مبلغ معجيين بما أثبتته فيها من

المباحث التاريخية الدقيقة .

وبينما القوم في فرح وسرور اذ كان المرسلون المسيحيون في كندر زائد لانهم ما كانوا يظنون أن اليابانيين يحفلون بالديانة الاسلامية لحد هذا القدر . ولكن الحق غالب على أمره مهما حاول ابطاله المبطلون .

﴿ الجلسة الثانية من المؤتمر ﴾

في اليوم التالي لليوم الذي عقدت فيه الجلسة الاولى للمؤتمر اجتمع جميع الاعضاء مرة أخرى ولما انتظم عقد الجمع قام الكونت (هييجيكان) خطيبا وقال مامعناه : اننا نرجو منكم أيها الاعضاء الافاضل ان لاتدخلوا بنا في مضائق يمسر علينا الخروج منها وإلضاعت الفائدة المقصودة من عقد هذا المؤتمر . اذ الفرض الوحيد هو الوقوف عند دين نتخذه الدين الرسمي للحكومة اليابانية . واني أرى كما يري غيري ممن حضروا هذا الاجتماع من الامة اليابانية ان الوقت أضيق من ان يسع كل هذا التطويل في المناقشات . ثم جلس وقام بعده المندوب العثماني وبدأ بشرح بأوضح عبارة وبين الحكيم والآداب التي يرمي اليها الدين الاسلامي في كل تعاليمه من سنن وفرائض وغير ذلك من المعتقدات الاسلامية وأفاض في هذا الموضوع حتي استوفي المقام نصيبه من الايضاح والتبيين . ولا داعي لذكر مافاه به الآن حيث ان الوقت لا يساعد على ذلك . تم قام بعده المندوبون الايطاليون فالاماسيون وواحد أمريكي وكل واحد منهم خطب بما في وسعه في أصول وقواعد الديانة المسيحية . وبعد أن انتهى كل خطيب من كلامه جاء دور المناقشات فتناقش الاعضاء فيما بينهم . واني وان كنت قد دوت أغلب المواضع التي دارت

فيها المناقشات فاني أرى من اللائق عدم ذكرها كما هي خشية الاطالة
أولا . وخشية أن يتهمني بمض المسبحين بالتعصب الديني ثانياً الامر الذي
أتجنبه . وان لم يكن حذرا من هذه التهمة فلأجل ان في هذا الوقت الحالي
كثير القيل والقال في موضوع التعصب الذي أتهمت أوروبا به المسلمين ظلما
وعدوانا . وزورا وبهتاناً .



هذا ولما انتهى الاعضاء المتدبون من المناظرة والمناقشة قام جناب
الكونت (كاتسورة) وقال ما فاده : أيها السادة المتدبون الافضل اننا
الآن قد وقفنا على الغرض المقصود لنا ولا نرى حاجة الى إعادة البحث
والمناقشات . بيد أن الغرض الذي اشرت اليه متفرق بيننا فننا من استحسن
الدين الإسلامي واعتنقه . ومنا من استحسن الدين المسيحي واعتنقه . ومنا
من فضل شريعة بوذا . ومنا من بقي على شريعة (كونفوشيوس) وغير خاف
على حضراتكم أن حرية الاديان مطلقة في بلادنا فكل فرد من اليابانيين
يعتق الدين الذي يختاره بلا اكراه ولا اجبار كما أنه لا حرج عليه اذا اعتنق
دينا ثم عدل عنه الى غيره . واني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جلالة
امبرطورنا المعظم وسائر إخواني الذين حضروا هذا المجتمع أقدم لحضراتكم
جميل تشكراتنا وممنونيتنا على حسن عنايتكم بالقيام بما عهد اليكم . وكما اني
أخص كل فرد منكم بهذا الشكر وهذا الثناء كذلك ارجو ان تباغوا بالنيابة
عن جلالة الميكادو وسائر الامة اليابانية الى ملوكم الفخام الذين اختاروكم
لهذه المهمة كل عبارات الثناء والاطراء والولاء الخالص : ثم ان ارادة جلالة
الامبراطور اقتضت ان يرفض المؤتمر وقد اكتبنا الآن بما سمعناه من

الخطباء . واذا رأيت جلالته ان يمدد انعقاد المؤتمر مرة اخرى فملنا كما فعلنا
في هذه المرة وطلبنا رسميا من الدول والحكومات ارسال مندوبين . واني
أعلن ارفض المؤتمر باسم جلالته الميكادو كما أعلن افتتاحه باسم جلالته اولا :
وعلى هذا انتهت مهمة المندوبين ولم يمقد المؤتمر بعدها الى هذا الحين .

﴿ لماذا لم يسلم الميكادو ﴾

ان السبب في عدم اسلام جلالته (متسو هيتو) امبراطور اليابان ليس
اعتقاده في عدم موافقة الدين الاسلامي للعقل لان هذا يمكن أن يقال معه
لوصح أنه كان اعتنق ديننا غيره . لاسيما وان اعتبار الدين الاسلامي عنده
وعند باقي رجال المؤتمر من اليابانيين اعتباراً كسبه صفة الامتياز عن باقي
المذاهب الاخرى التي دار البحث والمناقشة فيها في جلسات المؤتمر . لان
الادلة والبراهين التي أتى بها المندوبون الثمانيون كانت كلها موافقة للعقل
كل الموافقة .

ولكن هذا الامبراطور بعيد النظر في الامور السياسية ومن بعد نظره
فيها هو انه يراعى حال الامة فلما لم يجدها وافقت على دين تتخذه كي يكون
الدين الرسمي لها . لم يصرح بالدين الذي يمتنقه . اذ ربما صرح مثلاً
بانه اختار الدين الاسلامي ولكن الامة لم توافقته على ذلك . فهنا يكون خلاف
بينه وبينها وهو مالا يرضاه ولا يسلم به مطلقاً : وهنا يلاحظ أن خضوع
الامة اليابانية للميكادو ليس منشؤه الرهبة والخوف بل الرغبة والحب .
فاذا فصل الميكادو مالا ينطبق على رغبات رعيته انتقلت من يده قلوبهم
وقالت ألسنتهم ماشاءت قلوبهم . والامة اذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل

ويلاحظ أيضا أن كل ما يبدو منها لو حصل ما لا ترغبه لابد وان يكون صادرا عن اجماع واتفاق كلمة . وأمة هذه درجتها في الترتي لا يمكن ان تنقسم عري اتحادها واتتلافها حيال أي أمر من الامور .

فالميكادو رجل عاقل يحكم أمة عاقلة تربت على الفضيلة ومعرفة مالها وما عليها وما يجب ان تفعله وما يجب ان تجتنبه في كل ظرف من ظروف الاحوال .

والذي يقارن بين الذين اعتنقوا الدين الاسلامي من اليابانيين والذين تمذهبوا بالمذاهب الاخرى منهم مع اعتبار المدة والعدد يجزم بانه لا يمضي عقد من قرن الا ويكون المسامون اليابانيون يمدون بالملايين . لان المبشرين من أهل تلك المذاهب وفدوا الى اليابان من منذ اعوام والذين تمذهبوا بمذاهبهم لا يتجاوز عددهم مليونين تقريبا .

وأما الذين وفدوا وبشروا بالدين الاسلامي فهم لم يفدوا الا منذ سنة ولم يمكثوا خمسة اشهر واسلم على يدهم نحو الاثنى عشر الفا واكثر من نصفهم اسلم على يدنا في مدة لا تتجاوز الثلاثين يوما . فهذه المقارنة يمكن ان يقال ان الدين الاسلامي يكون دين اليابان الرسمي في المستقبل .

﴿ ما ذا يترتب على اسلام اليابان ﴾

ذهب الناس مذاهب شتى في الحكم على النتيجة التي تكون من اسلام الامة اليابانية . فمنهم من يقول ان اسلام هذه الامة يحدث انقلابا هائلا في كيان العالم الاسلامي بأجمعه وهذا الانقلاب لابد من أن يؤثر تأميرا سيطما في الاسلام . ولا حاجة بنا الى تفصيل العلل التي استند عليها أهل هذا

الرأى . ومنهم من يقول ان اسلام اليابان يميد ماضى مجد هذا الدين الذي طوته الايام والليالي . ويحيى ما اندثر من معالم عزه وتمكينه ويفرس في نفوس الامم جماء هيبية الاسلام كما كان في تلك العصور السالفة . ويعملون هذا القول بان الامة اليابانية هي الدولة الشرقية التي انفردت بسمو المنزلة وعظم الجاه والمهابة في نظر كل الدول والحكومات في الشرق والغرب فاذا أسلمت فلا بد من أن ينضم اليها مسلمو الصين والهند أيضا لداعي الجوار فيتألف من هذه الامم الثلاث قوة اسلامية كبري في البر والبحر وبذلك يمتز العالم الاسلامي بأجمعه ويكون الميكادو في هذا الحين كصلاح الدين الايوبي ومن مائله من ملوك الاندلس الذين أيدوا مركز الخلافة ولم يؤثر استقلالهم فيها تأثيرا يذكر . وتكون كل الممالك الاسلامية المستقلة متحدة الكلمة باسم الدين وان كانت لم تجتمع تحت جامعة الحكم وتكون طوكيو قبلة مسلمي الشرق الاقصى كما أن دار السعادة قبله مسلمي الشرق الاذني .



ولقد حادثت كثيرا ممن لقيتهم من أهل الصين والهند في هذا الصدد . فكل قال بهذا القول ولم يقل بما اعتقده الفريق الاول .
وأكبر دليل على أن اسلام اليابان لا خطر فيه بل فيه كل الخير للجامعة الاسلامية هو

اولا - ان الامة اليابانية انما بلغت هذه الدرجة من الاستعداد للاخذ
باسباب العلم والرفعة .

ثانيا - ان الدين الوحيد الذي تضمنت أحكامه من العبادات والمعاملات
كل ما به سعادة الامم على تباين الاجناس والعوائد فهو بلا ريب يزيد في

استعداد القوم الي الرقي المادى والادبي . والذي ~~يهد هذا منهم~~ ~~يحتوي عن~~ الدين الموافق للعقل . فهم اذا قاموا بالشعائر الدينية لا يقومون بها بصفتها عبادات او اوامر او نواهي فقط بل ينظرون الى الحكم والمقاصد المودعة في هذه العبادات والمعاملات ويعملون بها كما يودونها بصفتها شعائر دينية .

فذا حيج منهم اناس كثيرون مثلا واجتمعوا في تلك الاماكن المقدسة بنيرهم من المسلمين سألوا كل اهل قطر عن احوالهم الاجتماعية وعن كل باقى بلادهم من اسباب الحضارة وغير ذلك مما يزيدهم معرفة باحوال اخوانهم المسلمين . وفي هذا من النفع العام ما لا يحصيه قلم وينفذ دونه مداد المحابر .

وقس على هذا كل ما يتعلق بتأييد الجامعة الاسلامية . فاذا كانت اوربا تتخوف من اسلام الامة اليابانية فما بالك اذا انضم اليها الصين والهند وتصبح قوة عظمي في الشرق الاقصى تقف أمام العرب . لاشك ان اوربا تكون في هذه الحالة كالكريشة المعلقة في الفضاء من هذا الخطر الاصفر التي تعبر عنه بذلك . خصوصا وأنه في هذا العهد الاخير ظهر في عالم الوجود شيء يقال له الجامعة الاسلامية التي لا تخلو افكار الساسة من الجولان في امرها وكل يوم نسمع في الصحف شيئا كثيرا عن الكلام فيها . هذا وان المسلم العمور على دينه المتغالي في سبيل اعزاز جامعته يود بكل قلبه ان يصبح الدين الاسلامي هو الدين الرسمي لهذه الامة الشرقية الحية ليتز بها جانب الدين وتقوي بها شوكة المسلمين وما ذلك على الله بعزيز .

منزلة مولانا السلطان في اليابان

ان المركز الذي اصبح فيه جلالة الخليفة الاعظم ازاء المشا كل السياسية التي تولدها اوربا من حين لآخر هو المركز الذي لا يقف فيه الا من وهب من الحكمة ومن السياسة ما يمد من خوارق العادات : ومن اطلع على ماجريات السياسة الحميدية في الظروف الحاضرة وفيما مضى من عهد توليته الخلافة لا يمد هذا القول منا مبالغة وغاوا عن كنه الحقيقة . ولسنا الان بصدد شرح الحوادث التاريخية السياسية التي ظهرت فيها آثار سياسته الفاضلة . فان هذا شيء ملكت به بطون الدفاتر واسفار المؤرخين .

وانما الغرض الوحيد هو ان نذكر شهادات اساطين السياسة الذين حكموا الامم واسندت اليهم مراكز سامية من الحكومات الدستورية وغيرها ليقف الجاهل بالتاريخ على الحقيقة التي حجبتها عنه سحب الاضاليل والاراجيف التي يبديها كل يوم اعداء السولة والملة ويزداد العارف بها يقينا على يقين ولسنا أيضا بهذا الاعتبار نسردها كل الجمل الماثورة التي فاه بها أولئك الاساطين ونقلتها الصحف والرواة الى سائر أنحاء المعمورة كقول بسمرك داهية الالمان عند احتضاره (وددت لو مدلى من حياتي لاقف على نهاية ما ترمى اليه سياسة سلطان آل عثمان) بل نذكر هنا شهادة امبراطور اليابان وهي في شرعة الانصاف توازي الف شهادة كشهادة بسمرك وغيره من اكابر رجال السياسة الغربيين وتقديرنا شهادة الميكادو هذا التقدير مسبب عن اعتبارات ثلاثة . اولها كونها شهادة سلطان لم تحتك مصالح دولته بمصالح الدولة العلية حتى انه للان لم توجد سفارة في طوكيو للدولة العلية لانه اذا كان الميكادو بمجرد اطلاعه على مقدار حكمة جلالة السلطان

بواسطة الاخبار التي تنقل والعلم المجرد عن احتكاك المصاحتين فبالك اذا كانت هناك علاقات بين عرش الخلافة الاسلامية وعرش دولة اليابان.
ثانيا ان الميكادو ملك شرقي وهو ولا شك أكثر اعتناء بمعرفة احوال الممالك الشرقية منه بالممالك الغربية . فاذا حكم على ملك من ملوك الشرق بصفة من الصفات فلا بد وأن يكون حكمه نتيجة قضية صحيحة المقدمات .

* *

ثالثا ومع هذا الاعتناء فان اعتناؤه باستطلاع احوال الدولة العلية حائز صفة الامتياز بالزيادة لان جلالة الخليفة الاعظم هو أكبر سلطان شرقي لانه ممثل لامة الاسلامية بأجمعها ولانه الرابع والثلاثون من ملوك العائلة العثمانية الذين كانوا ولم يزالوا سياج الاسلام المنيع وحصنه الرفيع .

* *

هذا ولما دارت رحى الحرب الروسية اليابانية تمت جلالة مولانا السلطان سمادة برتو باشا أحد قواد الجيش العثماني مندوبا حربيا كما تفعل باقي الدول الكبرى في مثل هذه الحرب . فلما وفد برتو باشا الى اليابان صدر أمر جلالة الميكادو بان يمتثل به احتفالا عسكريا جامعا اسكل ضروب الحفاوة والاجلال ثم دعاه الى مأدبة خصوصية به وأظهر له مزيد العناية وهو على مائدته ولاطفه ملاطقة فائقة ورحب به ترحيبا بالغاية الشرف وحادثه في شؤون عديدة بعبارة تدل على جليل احترامه لجلالة الخليفة . ومما قاله في حديثه مامعناه : انني أحتفل بك الآن بصفتك ممثلا للخليفة الاسلامي الذي انا أجله كل الاجلال وأشهد له بسمو المدارك وبعد مراميه السياسية الامر الذي يجعل الشرق يفتخر بهذا السلطان : فاذا وضع السيامي المخنك

هذه الحادثة أمامه عرف منها مقدار ما تؤثره الملائق الودية بين أمراء الشرق وملوكه بصرف النظر عن الأديان والعقائد والموائد . لأنه كلفة امتيزان الأخرى عن هذا هو الوجود الحي .

وليس الخطر الأصفر الذي تتوقمه أوربا من حين لآخر النتيجة مثل هذه المجاملات الودية بين ملوك الشرق .

ونعرف أيضا أن أول خطوة يخطوها الشرق في هذا السبيل هو اتصال أسباب المودة بين دولة اليابان والدولة العلية لانهما الدولتان اللتان من شأنهما أن تكونا قابضتين على الشرق . هذه في الشرق الأدنى . وتلك في الشرق الأقصى . لاسيما إذا اعتنق الميكادو دين الإسلام الذي استحسنته في جلسات المؤتمر كما قدمنا . فإن الحالة تكون كما كانت في عصر صلاح الدين الأيوبي حينذاك النعل بالنعل .

وهذه الفكرة لم تكتب عن الفاتيكان البابوي . أو بمباراة أخرى عن قبلة المذهب الكاثوليكي . فإن البابا بيوس الثالث عشر لاحظ هذه الملاحظة وتوقع اليوم الذي فيه يمتنق الميكادو دين الإسلام . فيقف أمام النصرانية موقف المناظر . فلما احتفل الميكادو بالندوب العثماني ذلك الاحتفال الشائق وشافه بتلك العبارات الرقيقة بعث هو أيضا بندوب من قبله يدعى الميسو (أو كونا) وزوده بما يقوله للميكادو . فلما حضر وقابله مقابلة رسمية قال له المندوب مامعناه : إن قداسة البابا يشعر نحوكم ونحو أمتكم بشعور الانمطاف وهو يعجب كثيرا بهمة اليابانيين وشهامتهم وحبهم لوطنهم ويروقه كثيرا ما وصلت إليه من المدنية ويخص جلالتم بزيد الانمطاف وأنه يرغب كثيرا في أن يؤكد الملائق الودية بين الفاتيكان وبين عرش دولة اليابان بتقديم

خدمة دينية : وغير هذا الكلام مما يناسبه مقام من يخاطب الود من آخر
وكان جلاله الميكادو تذكر المثل الياباني عندهم وهو (أكرم الغريب ولا تبجل
نواياه) فشكر للمندوب انعطاف البابا وجامله بما يليق بان يجامل به من يظهر
الود بغير اخلاص ولم يطالب ادنى شئ مما قدم البابا نفسه لادائه .

ومثل الميكادو لا يخفى عليه نوايا أوروبا في الشرق ولا يصدق المجاملات
التي تظهرها ملوك أوروبا في الشرق . وهو وان كان حالف دولة انكلترا فان
مرجع هذا الى السياسة فقط . اذ هي في كثير من الاوضاع تقضى بان
يحالف ملك شرقي آخر غربيا .

وهذا معنى سياسي دقيق لا يخفى على البصير وهو ان مركز البابا في
أوروبا سياسي كما انه ديني . لان تقرب رئيس ديني من رئيس سياسي يعلم
منه ان الرئيس الديني له حظ في السياسة . والا لما وجدت المناسبة الرابطة
لتحالف اثنين مختلفان في الامر الذي يدعو في الغالب الى التحالف وهو
اتحاد جهة الملاقة .

والخلاصة من هذا كله ان جلاله الخليفة الاعظم له منزلة كبرى في
نفس الميكادو ورجال دولته لاتغيرها زخارف السياسة الاوربية في أى يوم
من الايام .

✽ هم اليابانيين ووطنيتهم في زمن الحرب الروسية ✽

من نظر في ناموس هذا الاجتماع الانساني وتأمل في ارتباط كل فرد
من بني الانسان بالآخر من حيث الحاجة الى التعاون وتبادل المنفعة في
معتك الحياة ، عرف جليا أن الاغنياء من كل أمة هم أولى الناس بان لا يدعوا

الدرهم والدينار في خزائهم لانهم بذلك يكونون قد جنوا جنابة كبرى على المجتمع الانساني . لاننا اذا عرفنا ان الغاية من اكتساب الدرهم والدينار هي سد العوز وقضاء ما يحتاج اليه الانسان من ضروريات المعاش لوجدنا ان مثل رو كفلر . وكارنجي . وروتشلد وغيرهم ممن تمد ثروتهم بالملايين يكني أحدهم من ثروته جزء من الف الف من مجموعها فاذا لم يكن ان يكون الباقي بعد هذه الكفاية وقفا على منفعة بني الانسان . إما بلائثار أو لزراعة وغير ذلك من الاعمال التي تقضى بان يعمل فيها غيره بكسب ما يقوم بحاجته . وقد حذر الله سبحانه وتعالى الاغنياء من اكتناز المال وعدم استعمالها في كثير من المواضع وانذر الذين يكتزون الذهب والفضة بأنها ستكوني بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة .

هذه المقدمة أتينا بها لبيان أن الغنى لم يكن ليمطي هذا الغنى لاجل ان يختص به دون غيره من بني جنسه . وكما يكون استعمال المال في الوجوه النافعة بين الافراد فكذلك الامر في مجموع الامة لان الامة التي يبلغ تعدادها الالف والمليون من النفوس اذا احتاج مجموعها الى المال كان الواجب على كل غني فيها ان يبذل من ماله ما يؤدي به هذا الواجب نحو وطنه وأمه والايدي خائنا عاقا وكفى بهذا الوصف حطة من قدره . وهو في هذه الحالة يكون دون الفقير في النفع لبلاده بل لا يصدق في حقه هذا الوصف . لان الفقير قد يكون أنفع منه . لانه لو كان يكتسب في اليوم درهما واحدا ويبذل في سبيل نفع أمته وبلاده جزء من هذا الدرهم فهو الكريم حقيقة . اذ حقيقة الكرم أن يجود المرء وهو في شدة العوز . هذا واننا كثيرا ما نقرأه في الصحف ونشاهد بأعيننا الاغنياء يجودون بالاموال الطائلة في سبيل نفع

أمتهم ووطنهم ونعجب كثيراً إذا سمعنا أن فلانا حبس كذا من الاعيان مما يبلغ ريمه كذا من الجنهات . وفلان وهب كذا من آلاف الجنهات في سبيل ارتقاء العلوم أو اعانة الفقراء . ولكن ما فعله اليابانيون في ابان الحرب الروسية يدعو الى الاعجاب أكثر والى القاريء البيان



لما حدثت هذه الحرب رأت الحكومة اليابانية ان تقترض مبلغ ٦٠ مليوناً ينامن بمض البنوك فلما علم بذلك أغنياءهم هزتهم الاربحية ودعتمهم الوطنية الى أن يتبرعوا بما يعجز عنهم سواهم من اغنياء الامم الاخرى ولست في هذا بمبالغ لاني عرفت ذلك حين وجودى في تلك البلاد معرفة ممن باشر هذا التبرع بنفسه وراه بعيني رأسه لا كما يرى الانسان الاشياء بالمنظر المجسمة .
فاول ما ذاع خبر هذا القرض عمل ا ككتاب عام اشترك فيه الآلاف من الموسرين وفي قليل من الزمن جمع مبلغ ١١٢٠٠٠٠٠٠٠ عبارة عن ١٢٠٠٠٠٠٠ رجبنيها مصريا ولم يقف الا ككتاب عند هذا الحد بل فتحت ا كتتابات أخرى في سائر البلاد اليابانية . واننا الآن نذكر أسمائهم على سبيل الفخر بهذه المهمم الشماء التي قلت ان لا توجد في غيرهم من أغنياء الامم الاخرى وهالك البيان

ين	عبارة عن جنيه	
مليوناً	١٠٠ الف جنيه	البارون تانسيدوا
»	»	المركيز شانتو مالو
»	»	البرنس فالتادوار
»	»	البرنس موري

ين		عبارة عن جنيهه	
مليوناً	١٠٠	الف جنيهه	المركيز مايبدا
»	»	»	المركيز شيمادتبرون
»	»	»	المستر فوروكاوا
نصف مليون	٥٠٠	الف	المركيز دانثومار
»	»	»	المركيز هوسوكاوا
»	»	»	المستر وانانابي
»	»	»	المستر هاراتوميتاوا
٤٠٠ الف	٤٠	الف	المركيز جابالوني
»	»	»	المستر دانثيرفوش
٣٠٠ الف	٣٠	الف	المركيز توكوجاوا
»	»	»	المستر ايويا
»	»	»	المستر جيمون
»	»	»	المركيز انشاناو
٢٠٠ الف	٢٠	الف	المستر هوريكوشي

٠٠٠ ر ٢٠٠ ر ١١ ين عبارة عن ٠٠٠ ر ١٢٠ ر ١ جنيهها مصريا

هذا هو جميع المتبرع في ذلك الوقت ولاشك أن القارىء الكريم عند ما يجد ان مبلغا مثل هذا جاذبه ثمانية عشر رجلا من القوم يجب جدا لهذا المكرم وهذه الوطنية. ولكن يكون استغرابه أكثر اذا علم بما جاد به المسيو اداكاروا فان

هذا الرجل كان عنده متحف جمع فيه من غريب الآثار القديمة ما تقدر قيمته
بخمسة وثمانين الفا من الجنيهات فباعه بهذا المقدار وقدمه الى الميكادو الذي
امتدح له وطنيته وقال اني اود ان يكون في بلادي المئات من أمثلك في الوطنية
وهذا العمل الجليل لا يقل عما فعله المسيو (فيدون بيس) فان هذا الرجل جاد
بالنفس والنفيس . وذلك انه كان يملك منزها جميلا وعنده ولدان لم يرزق
سواهما من البنين فلما علم بأمر عزم دولته على اقتراض المبلغ للتقدم ما كان
منه الا انه باع اثني المنزه بمبلغ ٥٠ الف ين عبارة عن ٥٠٠٠٠ جنيهها مصريا
وأخذ هذا المبلغ ونجمله الاكبر وتقدم الى الميكادو وقال له ايسمح لي سيدي
ومولاي بقبول هذا المبلغ وبقبولي أنا وابني هذا متطوعين في العسكرية
لاني ابتعت بهذا المبلغ اثني منزهي وأبقيت الثلث ليكون مورد معاش زوجتي
وابني الصغير . فاعجب الميكادو به كل الاعجاب وشكر له هذه الاريحية .
هذه هي سرورة أهل اليابان نحو وطنهم وشعورهم لدي الظروف التي تقضي
بان يؤدي كل واحد منهم هذا الواجب لبلاده وأمته . ومن العجب انهم
لا يمدون هذا من باب الامور التي يمدح عليها الانسان لانهم يمدون هذا
التبرع فرضا لازما لا يجب شكر القائم به . لان المرء لا يمدح على فعل
الواجب . وهذا أيضا من الامور التي يمدحون عليها .
فليحك معنا الفاري الكريم على شهامة هؤلاء الرجال . وكأني به يقول
ان سيرتهم هذه لا تسطر بالمداد بل تكتب بماء الحياة والتبر . أو باطراف
المدى على رفاق الاكباد .

شهادة اليابانيين في زمن الحرب الروسية

لنا نقرأ في كتب سيرة من تقدم من الشجعان وخطباء حومة الميدان في عصر الجاهلية كمترة الفوارس والحارث بن عباد وعمرو بن معديكرب والحارث بن ظالم وغيرهم فيقف الفكر موقف المندعش من تلك الشجاعة التي تضرب بها الامثال من سائر الاجيال . وقد يخيل للمقاري ان الزمن لا يسمع بوجود اناس كهؤلاء في النجدة والشجاعة وقوة البأس . ولكن الذي شاهد حالة اليابانيين أثناء حروبهم مع الروس يقول ما أشبه الليلة بالبارحة اذ آلاف منهم يمثلون هؤلاء الشجعان في حماسهم وقوة بأسهم . ولم يقتصر الامر فيهم على الرجال بل اشترك النساء معهم في هذه الفضيلة . اذ كان الموت عندهم في سبيل حب الوطن أشهى من الماء العذب في الهجير . وصوت المدافع لديهم ألد في اسماعهم من رنات المثالث والمثاني وشجي الاغاني . والدماء المملوطة بها أجسامهم أبهى في نظرم من الدياج وفلخر الثياب .

لما دارت رحى هذه الحرب كانت محال الملاهي ومماهد التمثيل في بلاد اليابان اندية ويجمع فيها الرجال والنساء من كل الطبقات وتاتي فيها الخطب الحماسية وتمثل الروايات التي تبعث في القوم روح الفيرة على الوطن الى غير ذلك من الاناشيد الوطنية التي تجري دم الشجاع في العروق وتحجب الموت الى النفوس في سبيل الذود عن الوطن والحمامة عن الجامعة القومية . وكلما أنشدت أنشودة أو مثلت رواية أو عمل أي مظهر من هذه المظاهر كان الحضور يصيحون بقولهم (بنزاي بنزاي) ومعنى هذه ان الحياة في الموت في سبيل الدفاع عن شرف الوطن .

ومما حدث في ذلك الوقت وتناقلته جرائد العالم معجبة بهمة وشجاعة

اليابانيين انه مثلت رواية في أحد المراسح وموضوعها ان الروس قبضوا على
أثنين من اليابانيين وحكموا عليهما بالاعدام رهيا بالرصاص : فلما مثلت هذه
الرواية كانت احدي النساء ضمن الحضور فأثر فيها المنظر تأثرا عظيما وتخلل
الحماس بين الدم واللحم منها . وقالت على . لأ الحاضرين لو كنت أستطيع
الذهاب الى الحرب لكنت أشارك ابناء وطني في حومة الميدان ولكن
سأفعل . ايديني هذه الأربعة . ثم بعد انقضاء وقت التمثيل كلفت ولدها الوحيد
البالغ من العمر نحو الخمس وعشرين سنة بأن يذهب الى نظارة الحربية
ويتطوع في الجيش فأجاب ابنها طلبها وتوجه الى نظارة الحربية وقدم تطوعه
فلم يقبل منه لان قانون العسكرية عندهم لا يجيز قبول الوحيد في الجيش
سواء ذلك في زمن الحرب أو غيره فعاد الى أمه كاسف البال حزينا واخبرها
بالأمر فلم يكن منها الا أنها أخذت بيده ودخلت غرفة في البيت وتنازلت
سكينا وقالت له اذهب الى الحرب حيث لأم لك تكون وحيدها وبقرت
بطنها بالسكين . وهذه الحادثة وقعت في شهر ابريل سنة ١٩٠٤ فكذا تكون
الوطنية وهكذا يكون حب الوطن ويمثل هذه المرأة فليقتد القواد والابطال
ولو كان النساء النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال

فما التأييد لاسم الشمس عيب ولا التذكير بغير للهلال
فليقارن القاريء بين هذه المرأة وبين المرأة الروسية التي ارادت
ان تظهر بمظهر المدافع عن وطنه في نفس هذه الحرب فكان فعلها ينطبق
عليها (ليتها لا تزني ولا تصدق) وذلك ان احدي الفتيات الروسيات
لما بلغها خبر تدمير الاسطول الروسي في بورت آرثر خلعت عذار الحياء
والعفاف واخذت تبيع عرضها للفساق فلما علم بها البوليس وقبض عليها

قالت إنني فعلت هذا لاجل ان اجمع شيئاً من المال اكتب به ضمن
المكنتيين في انشاء الاسطول .

ولو انها ماتت كمنا ولم تفعل هذا الفعل الذميم لكانت حقيقة خدمت
الوطن خدمة تذكر فنشكر .

واذا كانت شهامة نساء اليابان باغت هذه الدرجة فكيف اذن تكون
شهامة الرجال . لاشك ان الرجال يكونون في هذه المزية اقوى من النساء
وعليه نورد هنا ما وقع لاثنين قبض عليهما الروس وحكموا عليهما بالاعدام
رميا بالرصاص فكتب كلاهما خطابا الى اهله يعزيهم على فقده . أما الاول
فكتب الى والده والثاني كتب الى اولاده وهذا نص الخطاب الاول
بعد الديباجة .

« انك يا والدي العزيز قد ادبتني احسن التأديب وريبتني افضل
التربية واعتدبت بي كل الاعتناء مند ظهوري في هذا الوجود الى هذه
اللحظة التي انا اخطبك فيها . ومع اعترافي لك بهذا الفضل الذي لا يقاوم
بشكران . وان بذلت فيه جهد استطاعتي فلا ازال واقفا عند حد المعجز
والتقصير . بل كلما تقدمت أنا في العمر وانت في الشيخوخة زدت في
التقصير ولم ا كافئك على حسن عنايتك بي لانك كلما لم بي شئ من نوب
الزمن تشمر بمثل ما شعر به من الالم ويقع بقلبك أسوأ وقع فأنا دائما
سبب تعبك وافتراق خاطرك . فاغفر لي يا والدي هذا التقصير واجعله منة
لاحقة بمنك السابقة . واني الآن يا والدي لأجد وسيلة توصلني الى رضاك
عني سوي هذا الموقف الذي أنا واقف فيه الآن . انت تعلم يا والدي أنني
ذهبت الي منشوريا لأؤدي واجبا نحو وطني وامبراطوري المعظم وأداء

هذا الواجب هو الفخر الباقي مدي الاعصار . فاعلم يا أبت اني اليوم واقف
موقف الاعدام اسيرا لدي الروس وفوهات البنادق مصوبة نحوي . واني
ليسرني كثيرا ان أموت وانا فائم بجمتي التي انتدبني اليها وطني واني ايضا
اشعر بل أوقن ان هذا الموقف يسرك أكثر اذ تري لك نجلا لابسا حلة
ارجوانية من الدماء هي حلة الشرف الذي البسنيها وطني المحبوب كما لاشك
في انك تقول مفتخرا ان لي ابنا يموت موت الاشراف في سبيل الدفاع عن
كرامة وطنه وامبراطوره الجليل . وهذا هو اكبر معز لك علي فقدي كما نه
اعظم تسلية لي علي تقصيري في خدمتك جزاء عنايتك بي وحببتك اياي
فاذا تصورتني بعد هذا الحين فتصورني وأنا في أسمى درجات الفخار .

*
* *

وهذا هو الخطاب الثاني بعد الديباجة « اعلموا يا ابنائى الاعزاء اني
لم احتمل ألم فراقكم ولم اذهب الي منشوريا إلا لاجل ان ادافع عن الوطن
وافديه بنفسى وامثالاً لامر امبراطورنا المعظم . وليكني آسف كل الاسف
اذ لم اتمكن من اتمام واجبي لانى أسرت ووقفت موقف الاعدام وجنود
الروس محيطة بي وليكني لم احفل بهم وبنادقهم المصوبة نحوى بل انا ثابت
الجاش لم يتزعزع لي قدم ولم يرتعد منى عضو . وكنت اود ان اعود اليكم
بعد ان اتمم واجبي مكلاً با كاليل النصر ولكن حال القدر دون ما أريد
فلا يحزنكم موتى بعيداً عنكم لان أبأكم مات ميتة الفخر والمجد . فافخروا
بأبيكم الذى قضى عليه وهو يحامى عن اوطانه واتخذوه قدوة لكم ولا
تهملوا فى دروسكم وبروا بوالدتكم واقاربكم واعملوا بما فيه خيركم وغير
الوطن ورضاء امبراطورنا المحبوب »

فإذا كان هذا مبلغ ما وصل اليه اليابانيون في حب الوطن العزيز فنعلم القوم ونعمت وطنيتهم .

أما الامر الذي كان يأسف عليه هذان الرجلان هو انهما كانا يودان من صميم قوادها ان يمشا وينظرا الروس مدحورين في ساحة الوغي ويعودان الى بلادها حاملين راية الانتصار وان يقفا أمام امبراطورها مهئين اياه بالفوز المبين . وهذان الخطابان تفاقتهما أغلب الصحف اعجابا بشهامة اليابانيين

ذي المال فيعلمون من تمالي هكذا هكذا والا فللا

﴿ المرأة اليابانية ﴾

اذا كان علماء العمران يمدون المرأة عضوا عاملا في الهيئة الاجتماعية ويوجبون تعليمها العلوم والمعارف لجلال مركزها . واذا كانوا يجمعون تمدن الامم التمدن الحقيقي متوقف على كمال تربيتها فان المرأة اليابانية هي المثال الصحيح على هذه الدعوى . واذا كانت المرأة اليابانية وصلت الي هذه الدرجة في التربية الصحيحة والآداب الفاضلة على قرب عهدا بالمدينة فكيف بها اذا مرت عليها القرون وهي تجمد وتجتهد في هذا السبيل .

تولد اليابانية ولا تصل الى الخامسة من سنين حياتها حتى يدخلها ولي امرها المدرسة ومهما كان فقيرا ذا خصاصة في العيش فانه يكد ويكدح في سبيل الانفاق عليها ويقدم الاهتمام بها على كل امر يهمله في الحياة حتى بلغت بهم درجة الاعتناء بتربية البنات الى أن يعد من لم يدخل ابنته المدرسة من أخط الناس منزلة واسفهم عقلا ويعصونه بوصمة العار .

وهم ولا شك لم يقدرُوا المرأةَ هذا القدرَ إلا بعدَ علمهم بشعبها في المجتمع الانساني وتحققهم ان أول خطوة يخطوها الانسان في التقدم انما هي نتيجة ما وصل اليه في تربية أمه وتلقاها عنهما من المبادئ الادبية التي غرست في نفسه بذور الفضيلة بكل انواعها . ولو اخترنا احوال المرأة اليابانية في ادوار حياتها من يوم دخولها المدرسة الى اليوم الذي تصير فيه زوجة للبل ومربية للأبناء نجدها عنوان الكمال والفضيلة وحسن الآداب . فالتى في مهد التربية المدرسية فهي تعرف مقدار محبة الوطن معرفة تامة كأن حب الوطن علم من العلوم التي تتلقاها في المدرسة فهي تطبق العلم على العمل .

والتي حصلت منهن على العلوم ونالت شهادتها عمل وتشتغل بما يفيدها ويفيد عائلتها في الامور المادية والادبية معا . والتي تقترن منهن تكون في بيتها مدبرة محسنة حالتها وحالة بلها المعاشية بفضل ما تلقاه من العلوم والاداب وأنواع الكمالات . والتي ليس لها بدل ولها اولاد تقوم بتربيتهم احسن تربية حتى تؤهلهم الى أن يكونوا سندا في الحياة . وهكذا تجد المرأة اليابانية في كل احوالها وأطوارها مثالا للمفة وكرم النفس وغير ذلك من الصفات الممدوحة .

وقد ظهرت آثار تربية المرأة اليابانية في الحرب الاخيرة فانها اظهرت من محبتها لوطنها ما لا يظن ان امرأة في العالم غير اليابانية تظهره معها كانت منزلتها في التربية والتعليم .

ومثال هذا ان التلميذات منهن لما كن يفرغن من دروسهن يشتغلن الاكسية والاربطة وكل ما يقدرن على صنعه من الملابس العسكرية ويقدمنه الى جمعية الصليب الاحمر التي كانت يوجد فيها اطباء لمسداواة جرحى

الحرب. وقد قدم من كثير من صنع ايدهم عند سقوط بورت آرثر واهتممن بذلك كل الاهتمام حيث الجرحى في هذا الواقعة كانت تعد بالآلاف. هذا فضلا عن اشتراكهن مع الرجال في كل احتفال او مظاهرة بخصوص الانتصار على الروس مما لا يفوقهن فيه الرجال بشيء من الاشياء .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع خبر المرأة اليابانية التي امرت ولدها الوحيد بالتطوع في الحرب ولم تقبل منها الحكومة تطوعه. لكونه وحيدها قتلت نفسها بالسكين أمامه حتى لا يكون هناك عائق يمنعه عن التطوع في خدمة الوطن التي هي من الواجبات المفروضة عليه

*
*
*

هذا ماوصلت اليه المرأة اليابانية بفضل التربية والتعالم. والمراد الشرقيه قد امتازت بمزية السبق في ميدان الحضارة علي غيرها من نساء الامم الاخرى. ولكن اذا صادفت من يعتني بشأنها . اذ الاستعداد موجود فيها والقابلية لتأثير التربية الفاضلة متوفرة عندها. وهي اذكي من المرأة الغربية بحسب الفطرة ولتتخذ مثالا على ذلك نساء العرب في العصر الاول فأنهن كن على جانب عظيم من حيث ادب النفس وكمال العقل ولهن محاورات ومخاطبات مع الملوك والامراء وكن يظهرن فيها من البلاغة وحسن البيان ما لا يقدر على الاتيان بمثله في هذا العصر اعلا البغاء كعبا وأكل الناس عقلا .

والذي يطالع سيرة الوافدات منهن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سيدنا معاوية بن أبي سفيان يتحقق صدق ماقلناه .

فلو اعتنى المصريون الاعتناء الحقيقي بتربية الجنس اللطيف لما كنا نرى من هذه المفسد والامور الموجبة للانسف شيئا يذكر .

ومن الخرق والحق والجهل العميق ان تعتقد أن تعليم المرأة مفسد
لاخلاقها معرض عرضها للابتذال . فان العلم وحسن التربية يكفلان نفي
هذه الاوهام بل هذا هو الضلال المبين .

واوسلمنا جدلاً بأن تعليم المرأة المصرية العربية العلوم يسهل لها طرق
الفساد فان فسادها وهي متملمة اخف ضرراً من فسادها وهي جاهلة . لان
علمها يعرفها كيف تحسن الفساد ويحضرها على عدم ارتكاب هذه المفسد .
والقاعدة أن الجاهل اذا سلك سبيل النبي جاب لنفسه الضرر من
حيث لا يشعر . أما المتعلم فانه ينهج هذا النهج على نموذج به يحفظ من كرامته
بمقدار ماتعلم . والله در القائل

قالوا البنون عليهم مدار ساعد الحياة
فقلت كيف نسيتم يا قوم حظ البنات

* *

وليس مرادنا بتربية المرأة الشرقية هو مجرد تعاليمها العلوم المصرية
والفنون اليدوية بل مرادنا ان تكون تربيتها بحسب أصول وقواعد الشريعة
الاسلامية لان آداب الدين الاسلامي اذا اضيف الى هذه العلوم كانت المرأة
الشرقية في عداد الطبقة العالية من حيث طهارة النفس وتنزيهاها عن ارتكاب
الدنيا واكتساب المحامد والتخاق بالاخلاق المرضية . لاننا نشاهد غيرها
من النساء التي تلمن العلوم خاليات من هذه الفضائل التي جاءت بها الشريعة
الاسلامية التي من ضمنها الحجاب .

ولا يخفى ان الدين هو أساس كل فضيلة وتعليم العلوم اذا لم يكن شاملاً

للتعاليم الدينية فلا يفيد الفائدة المقصودة من تربية المرأة التربوية الحقيقية
وتهديتها التهذيب الحسن .

هـ وطنية اليابانيين هـ

ليس المراد من ذكر هذا العنوان أن نسطر عبارات المدح والاطراء
للأمة اليابانية فإن هذا من ذكر في غير هذا الموضع من هذه الرحلة . وإنما
المراد هو أن نذكر بعض ما تفعله هذه الأمة من الافعال الدالة على تفانيهم
في حب وطنهم الى درجة لم تكن تهمد في سواهم من الأمم الاخرى

*
*

كنت ذات يوم جالسا في إحدى المحلات العمومية قريبا من البلاط
الامبراطوري فرأيت أحد باعة الصور يمرض صورة في الشارع فتأملت
في لوحة من الانواع فرأيت مصورا فيها سبعة من قواد اليابانيين وجنودهم
وأمامهم عساكر من لروس كثير و العدد موجهون نحوهم فوهات البنادق
والمدافع كأنهم يريدون منهم التسليم وهؤلاء يابون أن يسلموا أسلحتهم
فوجهت نحوهم المدافع .

فلما عرف الجنود اليابانيون انهم ميتون ولا محالة أخذ كل واحد منهم
قطعة من الخشب وصاروا يضربون على البنادق كما يضرب المغني على المود .
كما أنهم أمسكوا بيدهم اليمنى سيوفهم واضعين أطرافها في بطونهم ففهمت
من هذه الصورة البسيطة معنى جليلا وهو أن الياباني عنده الموت في
سبيل الدفاع عن وطنه أشهي من الحياة . وإن اصوات المدافع التي توجه
نحو هؤلاء الجنود اشهي عندهم من نعمات الاوتار ان لم تماثلها .

فليُنظر العاقل الى هذه الافعال وليقارن بينها وبين الصور التي تعرض في مصر وغيرها من البلدان المصرية للمبيع . تلك الصور التي تمثل الوقاحة والسفه بمعناها الحقيقية .

وبالجملة فان الصور التي تباع في اليابان أفضل من الجرائد الاخرى المصورة . ووجه الافضالية ان هذه الصور تبعث في النفوس الشجاعة لعظم التأثير . بخلاف الجرائد المصورة التي قد تصور صوراً سياسية لا نصيب لها من هذه المزية البتة .

﴿ البوليس الياباني ﴾

البوليس الياباني من أرقى بوليس في العالم في الادب ومعرفة الواجبات . ومن غريب ما رأيت في نظام البوليس هناك ان كل عسكري يحمل معه . مذكرة غير التي يذكر فيها اوقائع والحوادث وهذه المذكرة قتها أسئلة وأجوبة مطبوعة . وهذه الاسئلة والاجوبة كلها فيما يتعلق بالوطن ومكارم الاخلاق كأن يذكر في السؤال مثلاً ماذا استفدت من هذه الحرب الروسية اليابانية وماذا يجب على الفرد من الجنود اذا طرقت الحرب أبواب البلاد . وماذا يجب على القائد ان يفعله ووالح . وهذه من الاختراعات البديعة في نظام البوليس وفي تربية نفوس القوم على حب الوطن .

ومما يوجب الاعجاب بحرص القوم على الامن أن البوليس اذا وجد غريباً يشري بعض الاشياء يراقب حركاته وسكناته في حالة الشراء ويعرف مقدار المشتري ان كان بالوزن أو الكيل أو غير ذلك ويصرف مقدار الثمن ثم يعد النقود التي مع المشتري وهكذا .

وذلك اني ابتمت بمض الفواكه من حانوت فكهانى فجاء البوليس وعد
النقود التى أخذتها بمد خصم ثمن المبيع . وكنت أعطيت البائع قطعة ذهب
قيمتها نصف جنيهه افرنىكى وعرف ثمن مقدار ما اشتريته من الفواكه .
فتذكرت في الحال بوليسنا المصري وودت أن يكون عنده بمض الشئ من
هذه الفضائل بدلا من أن يجعل سلطته منحصرة في معاكسة الخوذية
وصغار الباعة في الشوارع والارتشاء من المحال التي تحوى المقامرین وغيرهم
من عوامل الافساد في البلاد . وقته الله على سنن الاستقامة وأخرج رجاله
الجهلاء الخونة ليسود الأمن في البلاد .

﴿ عوائد اليابانيين في جنازتهم ﴾

ان اليابانيين على اختلاف مذاهبهم ما بين بوذى ووثنى ومسيحى يدفنون
موتاهم في مقبرة واحدة ولكنهم يضعون علامات مخصوصة على كل قبر بها
يعرف المدفون فيه ان كان من الوثنيين أو البوذيين أو المسيحيين كما سيأتى
بيانه . ولكل أهل مذهب صفة مخصوصة في جنازتهم .
أما البوذيون فلم صفة غريبة في جنازاتهم فاذا مات أحدهم يضعون
النعش على عربة يتقدمها رجال يحملون قطعة من الشجر بأيديهم وهذه
القطع مربوط فيها قطع صغيرة من الغاب مزدوجة وعلي كل قطعة مكتوب
عليها اسم من كان صديقا وخلا للميت في حال حياته بحروف واضحة بحيث
يمكن كل أحد ممن يمشون في الجنازة من أهل البلاد قراءتها . ومقدار عدد
هذه القطع يكون عدد الذين كان الميت صديقا لهم . ويقصدون بذلك اظهار
محبتهم للميت كما كانوا يظهرونها له في حال حياته . وهذه عادة قديمة لديهم
ليست محدثة .

وتوجد جمعية للبوذيين يقال لها حملة الشجن ومن وظيفة رجال هذه الجمعية انهم يمشون في الجنازة أمام النعش ومن بينهم رجل يحمل فوق رأسه قبة عريضة مزينة وهذه القبة يسمونها قبة الميزان .

وهذا الرجل يحمل فوق كتفيه علبتين كبيرتين يزعمون ان احدهما مجموع فيها اعمال الميت الحسنة والاخرى اعماله السيئة . ووجود هاتين العلبتين ضروري في الجنازة لا يمكن التغلف عنه بأية حال من الاحوال . ولو كان الميت عندهم من المفق عليه انه من الصالحين الذين لم يفعلوا سيئة قط في حياتهم .

ثم يقب رجال جمعية حملة الشجن بعض الكهنة . وهؤلاء لهم لباس مخصوص يفاير لباس رجال الجمعية المذكورة . ومع هذه المغايرة فان لون لباس كل واحد منهم يفاير للون لباس الآخر حيث يختلف بين اسود واخضر واصفر واحمر ورمادى ماعدا البياض . ولعل السبب في عدم لبسهم اللباس الابيض هو أن هذا اللون لون الفرحة لا الحزن .

وهؤلاء الكهنة يركبون العربات في سيرهم أمام الجنازة كل اثنين في عربة خاصة بهما .

وفي آخرهم عربة فيها رجل منهم شكل لباسه مغاير للباقيين ولونه عنابي ويظهر أن هذا الرجل هو الرئيس عليهم . وبعد هؤلاء المتقدمين النعش . فأهل الميت فأصحابه ومعارفه .

والكلام عندهم في أثناء سير الجنازة ممنوع قطعيا كأنهم يعدون الصمت من قبيل التفكير والاعتبار .

أما الوثنيون فانهم يقدمون النمش اولا محمولا على عربة ثم يليها اهل الميت واقاربه ثم اصحابه واصدقائه . وهم مخلفون لكل اهل دين ومذهب في لباس الحداد . اذ العادة ان السواد هولون الحداد ولكن هؤلاء يلبسون الثياب البيضاء خصوصا اذا كان الميت عزيزا . وهم لا يمنعون الكلام في الجنازة بخلاف البوذيين . لان من مبادئهم المذهبية ان العاقل لا يظهر حزنه وجزءه . حيث ان الموت واقع على كل انسان . واذا كان احدم عنده شيء . من المكدرات يعمل جهده في ازالته ويبدلها بالفرح والسرور حتى لا يظهر عليه أثر الحزن .



أما المسيحيون فانهم كغيرهم من سائر المسيحيين في البلدان الاخرى حيث يتقدم الجنازة رجال من القسيسين وبعض تلامذة يحملون المباخر ويرتلون بعض الاناشيد الدينية المعتادة في مثل هذه الحلة . ثم بساط الرحمة . ثم النمش موضوعا على عربة سوداء يجرها اربعة من جياد الخيل . وبعد النمش اقارب الميت فالمشيعون . وبعد الصلاة عليه في الكنيسة يذهبون به الى القبر لدفنه .



أما العلامات التي بها يعرف قبر البوذي من الوثني من المسيحي فهي ان الوثنيين يحملون هيئة ميتهم في القبر كهيئته وهو جنين في بطن أمه بحيث يضعون يديه على وجهه وركبتيه ملتصقان بصدرة ويضعونه في صندوق مربع على مقتضى هذه الهيئة ويدفنونه . في قبر مربع لا يزيد شيئا من اتساع حجم الصندوق . وكانهم يفعلون هذا لاجل ان يشبهون الميت بالجنين

والقبر بالبطن وعلى هذا ينتظرون ولادته مرة اخرى يحى بمد هاجياة ابدية .
أما البوذيون فهم كالمسيحيين يضعون الميت في صندوق على قدر طوله
ويضعونه في صندوق مربع على مقنضى هذه الهيئة ويدفنونه في قبر
على قدر الصندوق في الاتساع الا ان المسيحيين يضعون فوق القبر صليباً .
وبهذه الصفة يعرف البوذي والوثني والمسيحي .



أما المسلمون فائناً علمناهم كيفية الغسل والسير في الجنائز وتكفين الميت
على الطريقة الشرعية مما لا حاجة الى ذكره هنا

✱ التعليم في بلاد اليابان ✱

ليس مرادنا من عقد هذا الفصل هو أن نبين أن أصل تقدم اليابانيين
المادي والادبي وعلو كمهم في مضمار الحضارة هو نشر التعليم المصري .
فان هذا من الفضايا المسلمة . اذ العلم هو أساس كل سعادة الامم وانما المراد
أن نبين كيف اعتناء القوم بأمر التعليم . هذا الاعتناء الذي لم تشاركها فيه
أمة أخرى شرقية كانت أو غربية فضلاً عن أن تسبقها فيه .

ان اليابان كانت قبل هذا القرن كباقي أمم الشرق من حيث الجهل
السائد فيها ولم تكن تعرف من المدنية شيئاً يذكر . ولكنها حين شعرت
بهذا التأخر وعرفت مزية السلم ونشرها في البلاد وتمميمها بين الافراد
اندفعت اندفاع الشره الجوعان الى لتيذ الطعام . وفتحت المدارس على
اختلاف أنواعها . وفي قليل من الزمن خطت خطوات كثيرة في سبيل
التقدم والمدنية لم تكن لتخطوها أمة غيرها في اضماف هذا الزمن القصير .

اذ يمكن لو عملنا نسبة بينها وبين آية أمة متمدنة غيرها أن نقول ان ما كانت تخطوه اليابان في هذا السبيل في يوم تخطوه غيرها في أسبوع وما تخطوه في أسبوع تخطوه غيرها في شهر وهكذا . حتى لقد عد بعضهم هذا التقدم الباهر من خوارق العبادات ومن القوي التي هي فوق طبيعة البشر . ولما كان القصد من نشر التعليم في الامم هو نشيخ العقول وتهذيب النفوس واستعداد الافراد لان يكونوا رجالا يخدمون أوطانهم ويفيدونها بفضل ما تعلمون . لا مجرد الحصول على نفس العلوم والاكتفاء بان المرء يكون عالما بغير ان يظهر أثر هذه العلوم اتبعوا القوم طرقا في التعليم بها يفرسون في نفوس الناشئة حب الوطن وما يجب عليهم نحوه حتى أنهم يحملوه ذلك في المسائل العلمية والقواعد الموضوعية في اصول كل فن . هذا وقد كتبت رسالة بينت فيها طرق التعليم في بلاد اليابان وبعثت بها الى جريدة المؤيد الغراء ونشرت في تاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٠٧ عدد ٥١٤٣ حين كانت الجرائد تشغل اعينها بالكتابة سلبا وإيجابا في موضوع تعليم العلوم باللغة العربية كما ان المباحثات دارت بين اعضاء مجلس الشوري بعد ان اقترحت الجمعية العمومية وهذا نصها :

ان كل من يتحدث بحديث عن الامة اليابانية وما وصلت اليه من الرقي المادي والادبي فانه يسند كل شيء في ذلك الى العلوم والمعارف التي اقبلت عليها منذ ثلاثين عاما اقبال الشرح الحريص على لذيذ الطعام ونفيس الكنوز واقتدائها باصر يبين في الاخذ بأسباب المدنية . ولكن اذا اراد أن يعرف الشرقي سرعة ترقى هذه الامة تلك السرعة الغربية التي لم توفى اليها أمة من الامم في الماضي والحاضر وقف وقفة الحائر . لان الدرجة التي وصلت

اليها في الرقى لا يكفي لها قرن من الزمان . ومبالغ ما يقف عنده جهد الفكر من التعليل هو الرغبة الزائدة والاقبال الفائق من سائر طبقات الامة واهتمام الحكومة والاهالي مما ينشر العلوم .

ولكن كل هذه المال وان كانت قريبة للصحة فان هناك سببا آخر يبادل كل هذه المال . بل يمكننا أن نقول أن تلقى العلوم بدون التأثير الذي يؤثره هذا السبب يمد ناقصا نقصانا عظيما ان لم نقل أنه لا يجدي نفعا الا مجرد الاتصاف بالمعلم فقط مع فقدان الاتصاف بالمعمل به وحصول النتيجة المقصودة في تلقيه . واني اکتفی في إيضاح هذا السبب بذكر حادثة حدثت في اليابان في أثناء الحرب الاخيرة بينها وبين الروس وتقلتها الصحف الروسية وغيرها من الصحف الاخرى السيارة فيما تسطره لقراءها من غريب الاخبار وعجيب الحوادث .



اتفق في ذلك الحين أن أحد مكاتبي الجرائد الروسية زار إحدى المدارس اليابانية الابتدائية وطلب من رئيس المدرسة مشاهدة التلامذة في فصولهم فادخله في أحد الفصول وكانت حصة الجغرافيا فسر من حالة التعليم وأعجب بنجاسة التلامذة وحسن أسلوب المعلم في التدريس . وفيما هو كذلك اذ أبصر خريطة تمتاز عن جميع الخرائط برسم اناس في زوايا اليابانيين فدنا من الخريطة وشاهد مرسوما فيها منشوريا وكوريا مبينا فيها المواقع والبلدان وجميع المرتفعات والمنخفضات والارض الصالحة للزراعة وغير الصالحة والسهول والحزون والمضائق والجبال والوهاد والمناجم والانهر

والبحيرات والغابات . وهؤلاء الاشخاص المرسومون في الخريطة رجال من اليابانيين يقيسون المسافات بين كل بقعة واخرى ومقادير ارتفاعها عن سطح الماء وانخفاضها وغير ذلك من المسائل التي تجعل الطالب كأنه يري منشوريا وكوريا رأي العين بحيث لا يغيب عنه منها قيد شبر . فعجب من هذه الصدفه الغريبة وزاد عجبهم من ذكاء اليابانيين وفضل اختراعهم الاساليب المؤثرة في نفس الطالب كأنهم يقولون لهم بلسان الحال ان امتياز رسم منشوريا وكوريا عن باقي الرسوم انما نقصد به تفهيمكم اننا سنطرد الروس من هذه البقاع . واسكن قبل أن نعرض جنودنا للخطر في محارمها وجناحها بشنا رجالا يعرفون المواعع الصالحة لمرور الجيش منها بحيث يأمن فيها من الاخطار وتسهل عليه اسباب الانتصار .

ثم زار فصلا آخر وكانت حصه الرسم فوجد الطلبة يرسمون والخريطة أمامهم . فلم يبدأ باختبار الطلبة بل نظر الى الخريطة اذ ربما يكون مرسومها فيها ما يماثل الرسم الاول في الفصل الاول . فوجد بورت آرثر مرسومها وائمة دموية بين الجنود اليابانية والروسية قرب هذا الرسم . ولكن الجنود اليابانية مهاجمون من الجهة التي تمكنهم من الدخول في القلعة . كما رأي أشلاء القتلى والدماء قدملات الفضاء والسنة النيران تخرج من فوهات المدافع والبنادق . والدخان قد انمقد مع القبار المثار . وحجب الغبراء عن الخضراء . فكاد يطير لبه من الاعجاب والدهشة والمصادقات الغريبة اذ تصور انه لا بد من انتصار اليابان على الروس وأخذ بورت آرثر عنوة وقهرا .

ثم زار فصلا آخر فرأى مثل مارآه في الفصلين السابقين وهو أن التلاميذ يشتغلون بحل مسائل حسابية أتى بها شواهد على القواعد المتعلقة

بجوهر الفن ولكن صورة المسئلة مركبة من جيش من اليابانيين يريد أن يجتاز مضيق (موتو) في كذا من الساعات فكيف يمكن من الرصاص لكل جندي وهو يجاز هذا المضيق اذا كان ما يطلقه في الدقيقة الواحدة كذا منها ولم يكن من الرصاص اذا كان عدد جنود الجيش كذا وهنا مرسوم أمامهم طول المسافات بين مواقعه الحربية .

هذا ولما رأي المكاتب كل هذه الاحوال الغربية في طرق التعليم دهش دهشا أداه الى أن يمتد أن القوة العقلية التي تودع في مثل هؤلاء التلاميذ سنا وحادثة لا تؤهلهم الى فهم المغزي من هذه الصور السياسية العالمية . وكاشف الناظر بهذا الاعتقاد . فما كان جوابه له الا أن قال : ان عندنا مثلا مشهورا وهو أن الياباني الصغير يفعل فعل الرجل الكبير : فكان هذا الجواب عنده أغرب لما وقع في نفسه من أن هذه الامة بلغت من العزة مبلغا ضرب به المثل : وفيما قاله له ناظر المدرسة اننا نلقى في قلوب الناشئة حب الوطن بهذا الاسلوب لنضمن له رجالا في المستقبل يتقاربون في المناصب فيجب ان يكون كل فرد منهم ملما بالفنون التي تؤهله لان يملأ كرسى المنصب كفاءة واستحقاقا .

فبمث المكاتب في الحال الى جريدته بوصف ما شاهدته وبين مقدار دهشته واستغرابه .



هذا ولما كنت في اليابان أردت ذات يوم أن أقف على عدد المدارس هناك وعدد المعلمين والطلالين ومقدار ما تصرفه الحكومة في هذا السبيل . فأطلعت جناب المسيو (جازنيف) على ارادتي هذه فقال لي اني كنت اريد أن

أدعوك الى زيارة نظارة المعارف قبل أن تخاطبني في هذا الخصوص. وفي الحال توجهنا الى النظارة وكان في صحبتنا حضرة الفاضل السيد حسين عبد المنعم. ولما وصلنا الى دار النظارة وجدناها دارا مشيدة البناء جميلة الرواء بابها صنع ادق صنعة واجملها حيث هو كناية عن شبه قوصرة قائمة على أربعة أعمدة بديمة الشكل متينة البنيان. ولما اجتزنا الباب رأيت ساحة أفسح من صدر الحليم شرفت بالرخام المختلف الالوان مما يروق الناظر ويسر خاطر والشرفات بارزة بمنظر بديع دل على ترقى فن البناء في هذه البلاد. ثم وصلنا الى غرفة جناب المسيو (تاراويزى) ووظيفته تعادل سكرتير النظارة في مصر. فاستأذنا بالدخول ولما دخلنا غرفته قابلنا ببشاشة تامة ولطف دل على كرم أخلاقه وكمال تربيته وجميل آدابه وحادثنا أحسن حديث فكان بحسن التسكلم والاستماع. وكان حضرة السيد حسين عبد المنعم يترجم بيننا. ومن العجب أنه مع هذا الاكرام والاحتراف الفائق لم يطالب لنا قهوة ولا شاي ولم يقدم لنا السيكارة كما هي العادة عند أمم الغرب والشرق. ولعل هذا عادة عندهم والعادة يجب الوقوف عند حكمها. وهذا لا يمد تقصا من آداب القوم لان الاكرام بتقديم مثل ذلك ليس كما كرام حسن الاستماع والكلام والمقابلة باللطف والبشاشة.

وبعد برهة اطلعننا على رغبتنا في معرفة ما قصدنا لاجله الزيارة فامر أحد مستخدمي النظارة بأن يذهب معنا الى حيث نريد. فادخلنا في غرف بعض الكتاب والعمال فاذا هي مقروشة بأغفر الفراش مزينة بالنقوش كاحسن ما يوجد في قصور الاغنياء والامراء وبها الكراسي والمقاعد الغربية الصنع الى غير ذلك مما تزين به الغرف في أحسن القصور وأغفر الدور.

ولما دخلنا في غرفة بعض المكتبة وهي الغرفة التي فيها دفاتر الاحصائيات طلبنا الدفتر المرصد فيه تعداد المدارس والمعلمين والطالبين فأحضره لنا فوجدنا في اول ورقة منه الجدول الآتي

اسم المدرسة	عدد التلامذة	عدد الفصول	مقدار المعلمين	نوع المدرسة
-------------	--------------	------------	----------------	-------------

هذا هو الجدول ثم هالك التعداد

٢٥ جامعة كبرى تدرس فيها كل العلوم ٩٤ مدارس عالية كالطب والحقوق والمهندسخانة والزراعة والمعلمين والصيدلية والولادة والبيطرية ٢٣٦٥ مدارس صناعية عالية ٥٢٥٠ مدارس صناعية درجة ثانية ١٧٦٥ مدارس تجهيزية أما المدارس الابتدائية في اليابان فهي تنقسم الى ثلاثة درجات فنها ٩١٥٤

مدارس ابتدائية درجة اولى و ١٥٢١٦ درجة ثانية و ١٦١١٢ درجة ثالثة فيكون مجموع المدارس كلها ٤٩٨٩٩١ هذه هي المدارس الموجودة في اليابان على اختلافها وان مجموع عدد المعلمين والمتعلمين فيها فهو ٨٨٦٤٨٦٠ متعلمون ذكورا واناثا وعلى هذا فنسبة المتعلمين من الذكور هو ٨٥ في المائة ومن البنات ٥٧ في المائة وعدد المعلمين في المدارس الابتدائية ٢٤٢٢٨٩٢ والمدارس الثانوية ١٢٤١٢ والمدارس العالية ٧٨٧٣٤

ومقدار ما تصرفه الحكومة على المعارف مليونين ونصفا من الجنيهات على ان اجرة المعلم لاتوازي نصف قيمة اجرة المعلم في مصر وليس هذا من بخل الحكومة عليهم ولكنهم يعاون اخذهم القدر الزهيد في سبيل الاجر هو لاجل ان يسدوا عوزهم من خصوص المداش ويقولون ان عدم اخذنا المبالغ الباهظة في سبيل اجر التعليم هو خدمة اخرى للوطن يجب علينا اداؤها . ولما كانت المعارف في بلاد اليابان مقتبسة من الغرب كان المعلمون فيها من بادئ الامر من الاوربيين ولما أخذ القوم فيها بنصيب وافر انشؤوا الكليات التي تخرج منها الاساتذة الكفاء من كل انواع العلوم اخذوا يقللون من المعلمين الغربيين ويستخدمون بدلهم من الوطنيين حتى أصبح المعلمون في كل المدارس من الوطنيين . وكأنهم في هذه الحالة يقولون اننا أمة شرقية خالفت كل امم الشرق حيث اكتفت برجالها الذين تعلموا واكتفت عن جانب المعلمين من الاجانب ولهم الحق في هذا الفخار لان ثمرة العلم هي أن تكون الامة قائمة بذاتها غير مستعينة بسواها في بلوغ الدرجات العالية من الحضارة والمدنية .

ومن غريب ما وقع في بلاد اليابان ونقلته الصحف معجبة به ومستغربة

له ايما استغراب فيما يتعلق بنتائج التعليم الراقى في بلاد اليابان ويدل على أنهم أخذوا حظا وافرا في الصناعة. أن احد الغربيين كان يحدث الكونت (كأتسورة) رئيس الوزراء سابقا وتطرق في الحديث الى الانتقاد على اليابانيين في أنهم لم يصنعوا سرا كبهم الحربية في معامل اوربا بحيث لو صنعوها فيها لتكاثرت بحريتهم على الاقل تعادل بحرية دولة من دول الطبقة الاولى بين العالم. فقال الكونت كأتسورة : ان هذا اللوم يجب أن يوجه منا الى اوربا التي لم تصنع سرا كبتها الحربية واسلحتها في معامل اليابان التي تعد بالمآت لانها لا تفضانا في شيء من خصوص العلوم والفنون والصنائع. ثم لم يكتف بهذا القول حتى اطلع هذا الاوربي على المعامل التي تصنع فيها المراكب الحربية والاسلحة والاحواض التي اعدت للبوارج فرأى ما لم يكن يمتقد وجوده من قبل ا وقد حدا بهما الحديث الى ذكر الحرب فقال الكونت كأتسورة مامعناه : ان من الظلم البين أن يتهمنا انسان بان هذه الحرب لها ادني تعلق بالدين أو بتفضيل جنس على جنس لاننا نعتقد ان بنى الانسان هم اخوة وكل فرد منهم محتاج الى الآخر في معترك الحياة وان المنافع المادية والادبية يجب ان لا تقتصر على جنس دون آخر . بل كل انسان يتبادل هذه المنافع مع الآخر بلا نظر الى الجنس والدين . واننا حين اعلنا الحرب رسميا جمعنا رؤساء الاديان وامرناهم بان يخطبوا في الناس بان هذه الحرب سياسية وانها بين اليابان والروس فقط وغير ذلك مما ينبغي عن الاذهان ماعساه يعلق بها من ان هذه الحرب غير سياسية

وان محاربتنا الروس لا محرك لها في الحقيقة الا كوننا نظرنا الى هذه الدولة بعد ما وضعت قدمها منشوريا فرأيناها أشبه شيء بالوحش المهاجم الذي

يريد ان يفترس الشرق فاعملنا كل قوانا في صد هذا الوحش ومحاربه بكل ما أمكن من وسائل الدفاع . وان اوربا مدينة لنا بهذا الجليل لان توطيد قدم روسيا في الشرق واستيلائها على مثل منشوريا خطر على دول أوربا باجمعها لان الروس لاحد لمطامعها تقف عنده ، فن كلام الكونت كانسورة هذا يعلم مقدار ما وصل اليه سواس اليابان من التنور ومعرفة ضروب السياسة وهذا كله راجع الى العلم الذي بذلوا وبيذلون فيه كل ما في وسعهم ليل نهار .

هذا الذي ذكرته بالنسبة للتعليم واما بالنسبة للفنون الاخرى مثل الطب وغيره فهو قد بلغ مبلغا يحق ان نجعله درسا أمامنا ولا أريد أن أذكر هنا من فن الطب عدد الصيدليات والمستشفيات . وانما أذكر ما قد وقفت عليه من اعتناء القوم بامر الصحة مما يدل دلالة واضحة على أنهم قد أخذوا نصيبا وافرا من صناعة الطب لم تمالهم فيه أمة من الامم الاخرى . وذلك انه توجد حبوب يأمن من يتماطأها من اخطار داء الدستارية وهذه الحبوب تستعمل عند كل الطبقات من الامة حتى ان الحكومة جعلتها من الاشياء الضرورية للجنود وهي مفيدة ايضا من حيث البرد فان من يتماطأها يقوى على احتمال البرد القارس والزمهرير الشديد التأثير . وكل جندي كان في زمن الحرب يحمل معه علبة فيها عدد وافر من هذه الحبوب وكثيرا من العقاقير الطبية حيث الجو في منشوريا وحالة الطقس فيها مهلكة خصوصا في زمن الحرب الذي كانت تتولد فيه لامراض المختلفة فكانوا يحملون من العقاقير ما يلائم كل مرض يخشون وقوعه . وبسبب تماطي القوم هذه الحبوب تجد صحتهم متوفرة واجسامهم سليمة صحية وقواهم تامة . والجندي

يتعاطى من هذه الحبوب في كل يوم ٢٦ حبة وجملة ما ينفق منها في طوكيو في اليوم الواحد نحو ٣٢٥٠٠٠٢٦٠٠ تقريباً .

*
* *

هذا ولما نظرت امم الشرق الى هذه الامة التي بلغت من الرقي الهائل مبلغاً عظيماً اخذت ترسل اليها الشبان ليتلقوا العلوم في مدارسها وكتابتها ومصانمها حتى انه يوجد عدد عظيم من ابناء الصين يزاحمون الطلبة اليابانية في المدارس هناك .

وقد ألفت لجنة في الهند في حيدرآباد الدكن تحت رئاسة حضرة المولوى المهام عبد القيوم افندي وهو من التابغين الذين عرفوا مزية المدنية الحاضرة وحنكتهم حوادث الايام وقد جمعت الاموال اللازمة للانفاق على الشبان الذين تريد أن ترسلهم للجنة الى اليابان وهي سائرة بكل اهتمام ونشاط .

فانظر أيها القارئ الكريم الى هذه السعادة التي منحتها أمة اليابان وارفع معي صوتك باخلاص الى الله سبحانه وتعالى داعياً راجياً أن يلهم الامة الاسلامية ما ألهم هذه الامة المتقدمة التي اعتنت بشأن العلوم والمعارف وبذلت جهدها في تعليم الناشئة حتى تخرج من مدارسها من رفعوا شأن أوطانهم وصاروا يمدون في مصاف الرجال العالمين على سعادة أمتهم وبلادهم .

وليس هذا مقام تقرير اليابانيين فان الايام وحدها وصفحات التاريخ

قد سجلت لهم الفخار الباقي بقاء الاعصار وتوالي الليل والنهار .
ومما نستشهد به الآن على تعلم اليابانيين الترسخانة الحربية التي قل ان
يوجد مثلها في بلاد المالم .

*
* *

صحبت ذات يوم جناب المسسيو جازيف والسعيد حسين عبدالمنعم في
زيارتي دار الصناعة الحربية (الترسخانة) فتوجهنا اليها فاذا هي ليست بدار
بل هي بلدة كبرى لكثرة ما فيها من العمال الذين يعدون بالآلاف . وناهيك
بمكان فيه الآلاف ممن يشتغلون في صنع الآلات الحربية لدولة كدولة
اليابان .

دخلنا هذه الدار فاستقبلنا بعض الرؤساء وقد غاب عني حفظ اسمه
واسم وظيفته فاطلمنا على محال صنع المدافع والبنادق والاسلحة البيضاء
وعمل الديناميت والبارود والرصاص فاذا حركة العمل في جد فائق ونشاط
مابمده نشاط . وليس استغرابي من حركة هؤلاء العمال بأقل من استغرابي
لحركة العمال الذين يصنعون السفن الحربية من مدرعات وبوارج ومراكب
التورييد . اذ دخلنا في غرف ولا أقول انها غرف لاتساعها بل أقول انها
صالونات اذ الغرفة على قدر حجم السفينة وارتفاع سقف غرفها يماثل ارتفاع
سقف محطة العاصمة ووجدنا تسع مراكب تصنع في تسع غرف وهي
تصنع بالفولاذ ففرت أنها مدرعات . ومازلنا ننتقل من مكان الى آخر
حتى عجبت كل العجب . وفي الوقت نفسه تذكرت حديث المسيو كاتسورة
مع ذلك الاوربي الذي انتقد على اليابان حيث لم تصنع آلاتها الحربية في
المصانع الاوربية وما أجابه جنابه من الجواب المسكت المفهم . وفي الحال

رفعت أ كف الضراعة الى الله سبحانه وتعالى أن يرفع من شأن دولتنا العلية
وان تكون هي الدولة الاولى في العالم أجمع ذات الطول والحول والقوة.

﴿ السائحون الوافدون الى اليابان ﴾

عرفت الحكومة اليابانية ان السائحين الوافدين اليها لم يفسدوا
الا لستفيدوا منها الفوائد العظمى فضربت ضريبة عليهم تختلف قيمتها بحسب
درجات الوافدين . وأقل ما يؤخذ على الفرد الواحد (ين) والين عشرة غروش
بالعملة المصرية .

وقد بلغ عدد ما أخذته من السائحين في سنة ١٩٠٣ (١٨٢٧٠٨٢٠٠٩)
ين وفي سنة ١٩٠٤ (١٢٢٩٠٠٢٥٤٥) ين وفي سنة ١٩٠٥ (٢٥٢٣٥٤٢٠٠٠)
ين وفي سنة ١٩٠٦ (٢٥٢٩٤٢٢٦٠٧) ين وهذا ولا شك باب من ابواب
الايادات في الحكومة اليابانية التي بها ترقى مآليتها بالنظر لمصرها . فلو ان
حكومتنا جعلت ضريبة على السائحين (ولو غير الانكاي) لحصلت منهم على
مبالغ طائلة لاسيما وان الفوائد التي يتحصل عليها السائحون من مصر اكثر
منها في اليابان . ولكن شتان بين أمة عرفت كيف ترقى بلادها وأمة الى
الآن تجود على الغرباء وهي في اشد الحاجة الى ما تجود به هداانا الله الي سبيل
الرشاد ومواضع السداد .

﴿ الصحافة في اليابان ﴾

اذا كانت الصحافة في كل أمة هي عنوان تقدمها ودليل ارتقاها فان لها
في اليابان التأثير الاقوي في تقدم هذه الامة . وقد عرفت ممن عرفهم من
الصحافيين هناك ان اليابانيين زاد اعتناؤهم بامر الصحافة من عهد الحرب

الصينية الاخيرة التي انتصر فيها الجيش الياباني انتصارا باهرا و سطرت الصحف في العالم عبارات الثناء عليه و عدته من ارق جيوش الدول دربة و انقواهم بطشا و اضافت الي ذلك مدح الامة باسرها فزادت رغبة القوم في قراءة الصحف و اقبل الكتاب و الادباء على الاحتراف بحرفة الصحافة .

والصحف في اليابان كما هي في سائر الامم الراقية من حيث النوع و المشرب فنها اليومية و الاسبوعية و المصورة و الهزلية . ولكن المشارب وان كانت مختلفة فان هذا الاختلاف كله راجع الى مصلحة الوطن بحيث لا يسمع بمجرد مشربها المطاعن الشخصية . ولا يوجد صحفي دخل السجن بسبب الظمن الشخصي الا القليل و القليل لا يحكم له .

اما المجالات فهي عديدة هناك منها الشهرية و النصف شهرية و الاسبوعية . والذي نظرتة ان اغلب الجرائد السياسية الكبرى تصدر في طوكيو عاصمة المملكة و اشهر الجرائد اليومية في اليابان هي جريدة . دجي دجي شعبو و جيجي شيمون . كوكومن . ياماتسو ستمبون . يوروزو . ساهي شعبون . جه جوبان . شعبون كاري . المورتنن يوستن . طوكيو نتشي . اخبار طوكيو . تيمس اليابان . و الجرائد الهزلية كثيرة . الي درجة فوق العادة و الاقبال علي مطالعتها عظيم من سائر الطبقات . وقد عرفت أيضا أن اخبار المؤتمر الديني كانت بعيدة عن علم أصحاب الجرائد أيام انعقاد جلساته . فمجتبت من ذلك ولكن التمسث المنذر للحكومة لان من اليابانيين من اعتنق الدين الاسلامي و منهم من اعتنق المسيحية و منهم البوذيون و الوثنيون . فاذا نشرت المحاورات و المناقشات التي دارت بين اعضاء المؤتمر المتديين من الدول لا يؤمن من تولد الاحقاد في نفوس أهل المذاهب الدينية و هذا غاية ما يصل اليه الفكر

في معرفة السبب . وكل ما كان يصل إلى علم الناس من أخبار المؤتمر انما هو مما يصل الى غلمهم عادة من أخبار الدوائر الخصوصية وهي لا تخلو من بعض الحقيقة ان خلت من جملتها . ومن الغريب أن الجرائد لم تلاحظ على الحكومة أدنى ملاحظة في هذا الخصوص مع الحرية التامة المعطاة لها في القول والانتقاد . وهذا قاصر على سكان العاصمة وأما سكان باقي الجزائر اليابانية فلم يكن عندهم أدنى علم بما حصل في المؤتمر لبعده المسافة بينها وبين العاصمة ولعدم نشر الاخبار في الصحف . وقد تقابلت مع بعض أصحاب ومحرري الصحف الكبرى وزرتهم ودارت بيننا مباحثات سياسية وأدبية فبهرتني ما وصل اليه الرجل الياباني في الذكاء والفطنة والاخلاق الفاضلة وسعة المدارك وكان أحدهم يحسن الحديث اذا حدث والاستماع اذا حدث . وافضل من عرفته منهم الموسيو بريازن سان صاحب جريدة شمبون كاري والموسيو هاريكوجاوا مدير جريدة دجي دجي شيمبو وهما من الكتاب البارعين العارفين بضروب السياسة أتم المعرفة

وقد سئلت عن أشياء كثيرة منها علاقة الامة المصرية بسمو الجناب الخديوي المعظم في مثل هذه الظروف وأمور أخرى تتعلق بسياسة البلاد فكنت أجيب بما أعلمه ولا حاجة الى ذكره هنا .

﴿ الخطباء في اليابان ﴾

ان للخطابة في كل أمة تأثيراً عظيماً في كل الاوضاع سياسية كانت أو دينية فالخطيب هو كالتقائد لزام قلوب الامة وأجسامها الى حيث الغرض الذي يرمي إليه في خطابه وعلى قدر بلاغة الخطيب يكون التأثير .

وانى لم أشاهد خطبا سياسية في مدة اقامتى في اليابان ولكن شاهدت
خطب البوذيين الذين يلقونها للوعظ والارشاد . فكنت أثار التأثير العظيم .
وان كنت لم أعرف اللغة اليابانية ولكن التأثير حصل من حركات الخطيب
من جهة صوته علوا وارتفاعا وانفعالاته النفسية في الالقاء حيث وجدت في
مجمع لهؤلاء فرأيت الخطيب ممسكا بيده قطعة من الابنوس الاسود طولها
ثلاثون سنتيمتراً تقريبا يشير بها الخطيب عند علو الصوت وانخفاضه ورأيت
القوم وهم سكوت كأن على رؤوسهم الطير منصتين إلي قول الخطيب والتأثر
ظاهر عليهم ظهورا جليا .

وقد عرفت ان البوذيين لهم مدارس خاصة بهم يتلقى فيها الطلبة أصول
المذهب البوذي ويتمنون على الخطابة حتى اذا حصلوا على الشهادة وزع
بعضهم على القرى والبلدان للوعظ والارشاد . أما هذه المدارس فهي أشبه
شيء بمدارس الاكليروس في الديانة المسيحية والذين يتخرجون منها لا وظيفة
لهم في الغالب الا الوعظ والارشاد .

ولا شك في ان خطبهم في المواضيع السياسية تكون أعظم منها في
المواضع الدينية . لانهم مع اختلافهم في المذاهب متفقون في حب الوطن
والخطابة فيه تؤثر في الجميع تأثيرا أعظم وتبعث في نفوسهم الحماس والحمية
والهمة والغيرة على الوطن .

﴿ القصاصون في اليابان ﴾

ان كثيرا من العواند المستهجنة في الامم التي لم تعرف للمدينة معنى
لو كانت عند الامم المتمدنة لظهرت بخلاف المظهر الذي تظهر به عند تلك

الامم . ومن هذه العوائد القصص التي ياقبها القصاصون . ففي مصر اذا صررت بالشوارع الوطنية تجدد في قهاويها القصاصين الذين يحدثون العامة بسيرة عنتره وسيف بن ذى زن وأبو زيد والملك الظاهر بيبرس وغيرهم ولكن هذه القصص وان كان لها في الاصل حقيقة ولكن الزيادات التي تضاف اليها تدخاها في دائرة الخرافات ولذلك تري السواد الاعظم في الامة المصرية وان شئت قل في الامة الاسلامية يمتقدون اعتقادات باطلة في حوادث تاريخية وهم ممدورون لانهم يرون ان كل حكاية يحويها كتاب هي حقيقية واقعية . وقد علل بعضهم هذه الافعال من قلب الخفائق الى أمور لا دليل عليها .

ولكن كل هذا راجع الى شيوع الجهل في هذه الامة . ولو كانت مترقية لألفت في سيرة عنتره وسيف بن ذى زن كتباً لا تحوي الا الخفائق ليكون للعامة والخاصة اعتبار بهذه السير . ولأخذ عادة اليابانيين مثالا على ما نقول .

ان القصاصين في اليابان هم أناس متخرجون من مدارس أنشئت لهذا الغرض فتراهم لا يقصون على القوم الا السير الحقيقية التي لها في التاريخ ذكر . فاذا وجد القصاص في محل عمومي وأخذ ياتي قصته لا يكاد يفرغ منها حتي تري القوم نفحوه بالدراهم الكبيرة ولكن ماذا يفعل بهذه الدراهم وماذا يكون عقب فراغ القصاص من حديثه .

*
* *

اذا فرغ القصاص من قصته تجدد في الحال هذه القصة مطبوعة وموزعة علي الحضور لانه توجد مطبعة في كل محل يوجد فيه القصاص . ثم توزع

القصة على الحاضرين بصفة البيع فيشترونها والقيمة التي تجمع يعطى منها القصاص قيمة أتمامه والباقي يحفظ في صندوق خاص بالكنيسة لاجل أن يوزع على الفقراء وعلى الاعمال الخيرية .

فلينظر المقلاء الى قصاصين اليابان والى قصاصين مصر . ثم ليحكم على كلتا الامتين ليعرف الفرق بين من تشربت عوائدها بالمدينة وبين من تشربت عوائدها بالهمجية

﴿ الاعياد في اليابان ﴾

ان لليابانيين اعيادا سنوية يجلبونها ويحترمونها ويحتفلون بها اجمل احتفال ويتظاهرون بالمظاهرات الدالة على وطنيتهم ويبدلون قصاري الجهد في الافتنان من ضروب الزينات الفاخرة ويلبسون فيها احسن الازياء ويتبادلون كؤوس الصفاء والمودة والاخاء ويبدلون فيها الخيرات لذوي الحاجات الى غير ذلك من صنوف الاحسان لبني الانسان

واجل هذه الاعياد عندهم هو عيد مؤسس العائلة المالكة اول امبراطور في اليابان وهو الامبراطور «جيمو» الذي ارتقى الى عرش الامبراطورية في سنة ٦٦١ قبل الميلاد وموعد الاحتفال به في يوم ٨ مارس من كل سنة ثم عيد تذكار جعل مدينة طوكيو عاصمة للمملكة وذلك في عهد جلالة متسوهيتو الميكادو الحالي وموعد الاحتفال به في ١٠ ابريل من كل سنة حيث في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٦٨ جعلت طوكيو عاصمة لليابان بدل مدينة كيوتو وقد تقدم انه كانت لليابان عاصمتان طوكيو وكيوتو وكانت طوكيو مقراً لعائلة الشجن التي كانت تنازع الامبراطور في الملك . ولهم اعياد اخري بمكان من

الاعتبار عندهم لم أر حاجة الى ذكرها الآن

(يةظة الحكومة اليابانية حيال افعال مبشري المسيحية)

من المعروف لدي كل سياسي خبير بدخائل السياسة الاوروبية ان الغربيين يتخذون الدين وسيلة توصلهم الى مقاصدهم السياسية وقد كانت حوادث الصين وثورة البوكسر اعظم درس لليابانيين في هذا الخصوص لان ثورة البوكسر اصلها ناثي عن الارساليات الدينية المسيحية التي تجاوزت حد الاعتدال في التبشير بالدين المسيحي حتي اخرجت صدور الصينيين فكان ما كان .

وقد حصلت أوروبا على اغراضها بهذه الوسيلة فصار لها نفوذ في الصين بل امتلكت فيه بقاعا لم تكن تملكها بأية وسيلة غير الوسيلة لدينية .

* * *

ولما جعلت دولة اليابان الديانات حرة في بلادها ووفد اليها المبشرون استعملوا نفس الطرق التي كانوا يستعملونها في الصين ولا حاجة الى ذكرها هنا . بل غاية ما يقال هو انهم لم يتبعوا طرق الاعتدال في دعوة اليابانيين الى اعتناق الدين المسيحي . وأيضا فانهم اخذوا ينتشرون في الجزر اليابانية ويفتحون المدارس لاجل نشر العلوم في الظاهر . وفي الحقيقة ونفس الامر أنهم جعلوها متجرا لكثرة المصاريف التي يتكبدونها وهم في هذه البقاع . فلما رأت الحكومة اليابانية منهم انهم لم يتبعوا الخطة التي من شأنهم أن يتبعوها انذرتهم انذارا رسميا ونقلت الصحف اخبار ذلك على اختلافها

كما نقل الى سائر أنحاء المعمورة ومما جاء في هذه الانذارات ما معناه . انكم أيها المبشرون لما قدمتم الى بلاد اليابان لاجل نشر تعاليم الديانة المسيحية وفتح المدارس لتعليم الناشئة العلوم العصرية حمدنا قصدكم وشكرنا لكم غيرتكم على النوع الانساني وقابلناكم بالترحيب وسهلنا لكم كل الوسائل التي بها تتمكنون من الاقامة بيننا اقامة الراحة والامان على الارواح والاموال والاعراض شأننا مع كل غريب يفد الى بلادنا لاجل نفع ابن جنسه . ولكننا لم نلبث الا قليلا حتى رأيناكم خالفتم سنة الاعتدال في هذه الاحوال . ورسمنا لكم الخطة التي تسيرون عليها وابلغناكم اياها رسميا عساكم تكونون جاهلين باخلاق وعوائد البلاد وحتى لا يكون لكم عذر فيما بعد اذا عاملناكم بخلاف معاملتنا الاولي نلم تلتفتوا الى هذه الخطة ولم تعملوا بها ونبذتم رسمناه لكم وراء ظهوركم .

اما الآن وقد فتمت هذا فان الحكومة تنذركم انذارها الاخير وتحذركم عواقب الخروج عن حد الاعتدال . فان عمائم بما رسمناه لكم أولا فيها ونعمت والاحل بكم ما حل بأمثالكم في بلاد الصين :

*
*
*

والذي يطلع على هذه الانذارات ويدقق النظر في لهجتها يعلم مقدار ما وصل اليه المبشرون من الضيق في بلاد اليابان لان من شأن المبشرين في غير هذه البلاد أنهم يفعلون ما يشاؤون مع الامم التي يوجدون بين ظهرانيها وهي عريقة في الهمجية لا تدرى الضار من النافع . ولذلك تجد كل بلاد احتلتها أوروبا في البلاد العريقة في الهمجية قد وطئها اقدام المبشرين قبل جنود الدولة المحتلة . فهم حسبوا أن كل أمة لم تكن متدينة بالدين المسيحي

يجوز عايتها ماجاز على غيرها ولو كانت على نصيب من العلم والمدنية وهذا من الخرق في السياسة بمكان .

✽ تجول في بعض بلاد اليابان ✽

بعد ان اتقنا في مدينة طوكيو نحو الاسبوعين أردت ان اتجول في بعض بلاد اليابان ووافقني على ذلك حضرة الحاج مخلص محمود والسيد حسين عبد المنعم واخترنا الذهاب الى مدينة كيوتو عاصمة اليابان القديمة لانها المدينة الوحيدة بين سائر مدن اليابان بعد طوكيو من حيث جودة هوائها واستكمالها انواع الحضارة والمدنية ولما فيها من كثرة المنزهات الجميلة والمسافة بينها وبين طوكيو نحو الست ساعات تقريبا لراكب السكة الحديدية .

ركبنا القطار وفي اثناء الطريق كنا نطل من نوافذ العرببة على الجانبين فنرى الغابات الكثيرة والاشجار والارض المكسوة بساطا سندسيا من النباتات والزراع يفلحون الارض ويتمهدون الزرع الى غير هذا من المناظر التي تروق العين وتسرع الخاطر .

ولما كان من شأن المسافرين صحبة أن يتجاوزوا أطراف الحديث كان حضرة الحاج مخلص محمود يحدثنا عن احوال روسيا وما يلاقيه الرعايا هناك من انواع الظلم والاستبداد مما لم يسمع بمثله الا في عهد الرومانيين وعلى الخصوص الرعايا المسلمون الذين كان يقص علينا من أحاديث اضطهاد الروس لهم وظلمهم إياهم مايجري شؤون العيون بدل الدمع وما يدع القلب الذي كأنه قد من الصخر إلى الرأفة بهم والتوجع لهم الامر الذي دعانا الى

تصديق كل ما تنقله الصحف السيارة عن المظالم التي يمانها المسلمون هناك
وقديتسع بي مجال القول اذا سردت كل ما قصه علي من هذا القبيل ولكن
أذكر بمضها على سبيل الاستشهاد على أن الروسي لم تجر على السياسة
الفاضلة حيال رعاياها المسلمين .

فن ضمن هذه المظالم كثرة الضرائب التي تضربها عليهم وعلى باقي
الرعايا يكون المسلمون فيها مخصوصين بالزيادة . فمثلا اذا كانت الضريبة
على غيرهم قرشا على الفرد الواحد تكون على المسلم قرشين أو قرشا ونصفا
على الأقل . وكذلك اذا اراد المسلمون أن يفتحوا مدارس لتعليم ابنائهم
العلوم بلغتهم التتيرية الاصلية تحظر عليهم تلك الحكومة وتأبى الا ان يكون
التعليم باللغة الروسية وهذا ولا شك يمد من الاستبداد الذي لا تأتية دولة
تدعي أنها نصيرة السلم وحليقة المدنية . وما زال الحاج مخلص محمود يقص
علينا أمثال هذه الاحوال وعلامات التأثير بادية في وجهه . فكنت ألاحظه
في تفرج همه وازالة غمه وكذلك كان يفعل السيد ساجان الصيني في تهدئة
روعه وبل غليله الذي جعله كانه شعلة من نار تشتد ومما قاله الحاج مخلص
هذا : إن الله سبحانه وتعالى لما علم أن دولة الروس تمادت في الفطاسة
وهدم المبالاة بأية دولة أخرى وبلغ بها ضرر بني الانسان مبلغه أراد أن
يخذلها ويكسر من شوكتها ويقال من اعتبارها في أعين الناس وسائر
الدول والامم على يد هذه الامة اليابانية التي خذلتها في ميدان القتال
وجعلت أرض منشوريا مقابر لرجالها ودمرت اسطولها وطردها من منشوريا
وأخرجتها مرغمة مقهورة بمد تلك الأنفة والعظمة . وأبطلت قول القيصر
وووزراءه وقواده « لأؤدين اليابان مائة صرة » اذ انقلب هذا المعنى إلى

الروس فأدبتها اليابان الف مرة ومرة على نهر اليالو واضعاف ذلك في مياه
تشويسيا واضعاف اضعاف ذلك في بورت ارثر .

*
*

هذا وبعد أن قطعنا بعض محطات في سيرنا احسنا بالجوع واخترنا
أن لانأكل غير الخبز والسمك فلم يتيسر لنا ذلك فرأينا بعض الباعة في
إحدى المحطات يحملون علبا أشبه شيء بصناديق صغيرة الحجم مربعة من
الخشب يبلغ حجم الواحدة منها عشرين سنتيمترا وعلمنا أن بداخلها شيئا من
المأكولات فاشترينا ست علب لكل منا علبتان يساوي ثمن الواحدة
أربعة أخماس القرش الصاغ ، فتحناها فإذا فيها الارز المفلفل اللذيذ الطعم
في جانب من العلبه وفوقه قطعة من العجة المنخدة من بيض الدجاج وفيها
لقمة من الخبز ومن الجانب الآخر قطعة من السمك المقل في الزيت وشيء
قليل من الخضراوات لم نعرف اسم نوعه . ويفصل الارز عن غيره قطعة
من الخشب الرقيق وبأسفل العلبه شيء من الحمص الكبير الحبات مطبوخ
ومماح وكل هذه الاطعمة اللذيذة تسمى « بنتو » كما يسمى الترك انواع
الخضراوات المطبوخة مع بعضها « طورلي » ولكن الفرق بين المصنفين
كبير في الطعم واللذاعة فاستفدنا بشراء هذه العلب أكلنا لذيذا واكتشفنا
مجهولا لم نكن نعرفه .

ومن الغريب أن الملعقة التي يؤكل بها الارز قطعان من الخشب صغيرتان
احدهما لليد اليمنى والاخرى لليد اليسرى والتي لليد اليمنى مجوفة عريضة
والتي لليسرى أقصر منها وأقل في العرض ووظيفة هذه تهيئة الارز لتلك
بحيث يسهل عليها تناوله

والعالية الواحدة منها اشبهت كلا منا على جوع شديد. ولما فرغنا من الأكل رأينا الوابور يسير بين فضاء من الماء شبيه بالبحيرة يشبه لون أرضه القبة الزرقاء يذبت في وسطه العشب فكأنه بساط بديع النقوش أجاد صنعه الصانع. ووسط هذا المتسع جبال تكسوها الغابات التي جمعت هذه الجبال ذات منظر جميل يجبس عليه نظر العيون وهذه الغابات غرسها الوثنيون في الزمن الغابر حيث كانت لهم منازل ومما بد في هذا المكان وبجوار هذه البحيرة مدينة كبيرة جميلة المنظر لم نستطع النزول فيها واسمها مدينة (انسو) ولهذه البحيرة ذكر في التاريخ اذ كان يأتي اليها الشعراء والكتاب والفلاسفة للتريض فيها ويحملونها ميدانا تتسابق فيه جياذ قرانهم وأقلامهم. ولذلك حفظ التاريخ لها ذكرا بين صفحاته كما حفظه للرصافة والجسر من ذلك العصر



وبعد ان اجتزنا هذا الفضاء من الوابور بين متسع آخر ولكنته مكسو بالاشجار والدوحات الكبيرة والغابات البديمة المنظر أكثر من الأول . وبعد نحو العشرين كيلو مترا تقريبا وصلنا الى مدينة (أواوسكا) وهي واقعة على نهر مسمى بهذا الاسم وتتخللها الخلجان كما كان الخليج في القاهرة . وفي هذا النهر جزيرة صغيرة في هيكل ضخمة البنيان بناه الوثنيون لآلهتهم في الزمن الغابر . وهذه الجزيرة وهذا الهيكل أشبه شئ بجزيرة أنس الموجود الموجودة في النيل المصري عند اصوان . .

أما مدينة (أواوسكا) فهي ذات شهرة في التاريخ لأنها كانت عاصمة (السيكون) وهو احد الملوك اليابانيين الذين اخضعوا كوريا لحكمهم

وسلطتهم . ولما كان هذا الملك مشهورا في تاريخ ملوك اليابان بنواله في هذه الجزيرة تذكارا كالبرج ضخيم البناء . وكل هذه المنظر الجميلة كانت داعية ارتياح النفس . فكنا نتناول أحاديث الفكاهة والنوادر المستظرفة والادبيات الشعرية وغير ذلك من الاحاديث اللطيفة والناس ترمقنا بعين الاستغراب لاننا اغراب وأصحابي مختلفي شكل الاثواب . ومن أغرب ما رأيناه في مسيرنا أن الوابور مر في سيره على كوبري فوق نهر وهذا الكوبري كان قبل ان يصل الوابور معلقا في الفضاء بواسطة اعمدة منصوبة لرفعه ووضعها بمهارة غريبة فلما وصل القطار انزل هذا الكوبري على النهر وبعد مرور القطار رفع ثانيا وهذا دليل على ما وصلت اليه امة اليابان من الرقي الصناعي بواسطة العلوم التي تلقوها واجتهدوا في نشرها .

﴿ مدينة كيوتو ﴾

وصلنا الى هذه المدينة فاذا هي بين رياض موقنة في داخلها وضواحيها مع نظام ابنتها وسعة طرقاتها وطيب هوائها وجمال موقعها الجغرافي الطبيعي فضلا عن كثرة المعامل الصناعية والفابريكات التي تعد بالآلاف . وهي واقعة على شاطئ بحيرة ينبت فيها الاعشاب والشجيرات مما اكسبها منظرا دعاهها لاجله اليابانيون بحنة اليابان .

وإذا كان يوصف المأدب ذو الاخلاق الفاضلة بالملك (بفتح اللام) فيكون اهل هذه المدينة من افضل الاجناس لان اخلاقهم وآدابهم خصوصا مع القرباء في الدرجة القصوى من الاعتبار .
والذي استلقت نظري كثيرا تأدب البوليس فيها بحيث اذا سأله واحد

عن اي مكان وكان قريبا منه وداخلها في دائرة اختصاصه يدلك بنفسه عليه ويسير معك حتى تصل الى المحل المقصود لك واذا كان بعيدا أوصلك الى الجندي الذي بجانبه في نقطة أخرى وهذا يوصلك للآخر حتى تصل الى المحل الذي تريده .



وبما ان شكل الملابس التي علينا لم يألف رؤيتها اليابايون كنا نمر في الشوارع والعيون شاخصة اليها محذقة بنا . وبينما نحن في المسير واذا برجل هندستاني مسلم اعترض طريقنا وصاحنا مصالحة الاوداء وخاطبنا بلسان لم يعرفه غير حضرة السيد سليمان الصيني ومعناه أنه رجل مسلم هندستاني حضر للاتجار وله سبع سنوات متغرب عن أهله وهو يريد أن نكون ضيوفه في شرب الشاي اذ الرابطة الدينية جذبتة اليها فهو يريد الاقتراس بنا ساعة من الزمان فشكرنا له شعوره وغيرته الدينية واجبتنا الى رغبته وفعلنا توجهنا الى منزله فأحضر لنا الشاي وأخذ يلاطفنا ونؤانسه مدة من الزمن .

وبمدها انصرفنا على وعد منه أنه يجيء الينا في طوكيو اذا سمحت له ظروف الاحوال . وهذا الرجل من الذين أدبهم الدين الاسلامي فاحسن تأديبهم ثم ان ظروف الاحوال لم تساعد على ان نحظي به مرة ثانية في طوكيو . وبعد ان اقتنا في هذه المدينة نحو اليوم والليلة رجعنا مرة ثانية الى طوكيو سالمين

﴿ العودة الى الاوطان ﴾

اني ادع الى القاري الكريم تقديرشوق الغريب الى اوطانه بمس دان

طرحته النووي عنها مطارحها الى ابد بلاد الله نحو بلاده لاني كنت لا يهنا
 لي طعام ولا شراب حينما كنت أفرغ من العمل الذي لاجله غادرت اوطاني
 واختلي بنفسى مفكرا في الاحوال والاطوار التي تطرأ على المرء في حياته .
 ولكن كانت تسليتي هي الخدمة الدينية التي قمت بها وتحملت المشاق لاجلها .
 هذا ولما قضينا في بلاد الشمس المشرقة نحو اثني وثلاثين يوما عزمت
 العودة الى وطنى ومستقط رأسي وكان بصحبتى رفيقى فلم يكذب يسمع بهذا
 النبأ من عرفهم من أهل اليابان خصوصا الذين اسلموا منهم على يدنا حتى
 حضروا الينا يوم الوداع وكلهم آسف على فراقنا رغبين في بقائنا بين ظهرانيهم
 اياما عديدة . ولكن بينا لهم وجه العذر وعرفناهم اننا لا ندع فرصة تمكننا
 من العودة اليهم الا اغتمناها ولما جاء ميعاد السفر صحبنا جناب المسيو جازنيف
 والمسيو ارانتيدور واخوته الى يوكوهاما ولما وصلناها كان الاسف الشديد
 تبدو علاماته على وجه كل من المسيو جازنيف والمسيو ارانتيدور واخوته
 وحينئذ تحققنا من صحة اسلامهم . ولما جاء ميعاد اقلاع الباخرة ودعناهم
 والقلب ملؤه الاسف الشديد .

غادرنا بلاد اليابان بعد ان قضينا بها نحو اثني وثلاثين يوما وبعد ان
 عرفت من احوال هذه الامة الراقية ما لم يكن يخطر على بال وبعد ان قمت
 بمهمتي . وبعد ان صرفت من جيبى الخاص ما قدرنى الله تعالى عليه بدون
 التماس ملهم واحد من احد من الناس سواء كان في مصر أو الخارج وهذه
 يدي شهيدة على ذلك . وقتنا على باخرة من بوأخر الشركة الصينية ومكثت
 تمخر في عباب اليم نحو احدى وعشرين يوما حتى رست في مياه كلنكتة . وقد

صرت في طريقها على جزر وبلدان كثيرة تقدم وصفها والاطناب فيها في غير هذا الموضع مما لا داعي لذكره الآن .

﴿ شذرة من تاريخ الهند ﴾

اذكر هنا باختصار شيئاً من تاريخ الهند اتماماً للفائدة فاقول .
ان لاهند تاريخاً مملواً بالحوادث العجيبة البعيدة عن تصديق العقلاء من خصوص عوائد ومعتقدات أهل هذه المملكة وما جري فيها من الوقائع مما لا طائل تحته لو ذكرته هنا ولكن اذكر بعض الوقائع والحوادث التي تتعلق باحوال الهند السياسية



كان الملك سيزوستريس احد ملوك الفراعنة قد غزا بلاد الهند بالجنود المصرية وحصلت بينه وبين جيوش الهند وقائع دموية تغلب فيها على بعض ولايات ومقاطعات وحمل من الغنائم والاموال شيئاً وافراً . ثم اعقبته المملكة سميراميس وفتحت عدة مدن واستولت عليها وفعلت كما فعل سيزوستريس من أخذ الغنائم وغير ذلك . ومن هذا يعلم أن الجندي المصري وصلت به شجاعته وإقدامه الي أن وطئت قدمه ارض آسيا الكبرى .

ثم قصده الهند بعد ذلك الملك داريوس هستاسب ملك فارس وأوغل فيها وفتح عدة ولايات وأدخلها في أملاكه . وجاء بعده اسكندر المقدوني الفاتح العظيم وغزا بلاد الهند بجيش جرار يبلغ زهاء المائة وعشرين ألفاً واخذ يغزو البلاد والمدن ويفتح الممالك الهندية ويستولي على الغنائم حتى فتح عدة ممالك وكان يريد أن يستولي على الهند كلها بحيث لا يترك شبر

أرض لم يدخل تحت حكمه . ولكن جنوده وقواده لم يوافقوا على ذلك
فقفل راجعا بعد النصر الباهر . والفتوحات العديدة .

*
*
*

ولما ظهر الاسلام في الوجود واخذت فتوحاته تمتد في شرق البلاد
وغربها ذهب جيش من المسلمين الى الهند تحت قيادة رجل يقال له محمد
قاسم أحد قواد بني أمية في خلافة الوليد وذلك سنة ٧١١ للميلاد . وكان
هذا القائد شجاعا مقداما خواض غمرات بطل غارات والجيش الذي غزا
به الهند من العرب لم يتجاوز عدده الستمائة آلاف مقاتل ممن ولدتهم الحروب
ورضعوا ثمدي الوقائع . فأخذ يلاقي بهذا المدد القليل جيوش الهند فيزمرها
ويفرقها في الآفاق ويمجدل الأبطال حتى أوغل في داخلية البلاد والنصر
حليفه والفوز ظهيره انما سار . وكان كلما فتح بلدا يعرض على أهلها الاسلام
فمن أسلم وكان سنه فوق السبعة عشر عاما سلم ونجا ومن أبي قتله . أما النساء
والاطفال فكان يأخذهم سبيا ويستعبدنهم .

ومن الوقائع الشهيرة التي أحرز فيها المسلمون النصر الباهر وهي من
الغزاة بمكان . أن هذا القائد الباسل التقي بجيش من الهنود عند مدينة
حيدرآباد الديكن يباغ الحسين الفاتح تحت قيادة رئيس يقال له الراجا الظاهر
فاشتبك الجيشان في القتال ودارت رحى الحرب ومع قلة عدد المسلمين
استظهروا على جيش الهند وقتل الراجا وابنه ولجأ المنهزمون الى المدينة
فحاصرهم المسلمون حتى ضاقوا ذرعا ونفذت من المدينة الاقوات وصاروا
في حالة سيئة . ولما يسوا وأيقنوا بالهلاك جمعوا النساء والاولاد وودعهم
الوداع الاخير . وجمعوا الحطب وأحرقوهم عن آخرهم خوفا من وقوعهم

في يد العرب المسلمين . وبعد ذلك خرجوا لقتال المسلمين وهم مستميتون فلاقاهم المسلمون لقاء الابطال وما زال القتال متواصلا حتى أفنواهم عن آخرهم وكانت ابنة الراجا فيمن اخذ في السبأ وهي على جانب عظيم من الحسن والجمال . فأرسلها محمد قاسم هدية الى الخليفة الوليد ولما مثلت بين يديه أعجبه جمالها وأراد التسري بها فقالت له : لا تفعل ذلك أيها الملك لأنني لست أهلا لما تريد ولا يليق بملك مثلك أن يأكل فضلة أحد رعيته فلما سألتها عن السبب قالت له : ان القائد الذي حاربنا قعد مني مقعد الرجل من المرأة ففضب الوليد وارسل من يأتي له بمحمد قاسم لينتقم منه فلما ذهب الرسول واستدعي محمد قاسم أجاب بالطاعة ولكنه مرض في الطريق ومات . فحملت جثته الى الخليفة ولما وضعت بين يديه أحضر الفتاة وقال لها كيف ترين من فعل معك تلك الفعلة الشنعاء فقالت أيها الملك اني لم أقل ماقلته الا لاجل أن أنتقم لابي منه والحقيقة انه لم يفعل شيئا مما اخبرتك به ففرح الخليفة وتسري بها .

وبعد موت محمد قاسم جمع الهنود قواهم واستمدوا لقتال المسلمين وفعلا حاربوهم واخرجوهم من بلادهم واستخلصوا منهم كل البلاد التي أخذوها .



وفي سنة ٩٦٧ ميلادية غزت الاعاجم بلاد لاهور الهندية تحت قيادة رجل فارس يقال له سويكتاجي ساكم ولاية كندهار والآن هي ولاية فارسية عاصمتها غزنة فقهر ملك لاهور واستولي على عدة مدائن ضمها الى ولايته التي هي الآن حكومة افغانستان وكانت في ذلك العهد إحدى ولايات

المعجم . ولما مات هذا الحاكم خلفه ابنه محمود الغزنوي وذلك سنة ٩٩٧ ميلادية وكان محمود هذا على الهمة فحدثه نفسه بالاستقلال وفلا استقلال بملكه وحارب الاعجاب وانتصر عليهم . ووالى الغزوات في بلاد الهند واستولى على بلاد عديدة ضمها الى مملكته ومكث ماكنحو خمسة وثلاثين سنة ثم توفي ونقل خلفاؤه عاصمة السلطنة من غزنة الى لاهور . ثم خلف العائلة الغزنوية العائلة الغورية ومن أشهر ملوكها السلطان محمد الغوري الذي امتدت الفتوحات الاسلامية في عهده في بلاد الهند امتداداً عظيماً . ثم اعقب هذه العائلة شعوب المغول ومن أشهرهم تيمورلنك الذى له ذكر في التاريخ خصوصاً في عهد ابتداء تأسيس الدولة العلية

*
**

وهكذا استولى ملوك من المغول والفرس على بلاد الهند حتى وطئتها قدم الافرنج . وأول من دخل فيهم في هذه المملكة البرتغاليون وذلك سنة ١٤٩٧ وم الذين اكتشفوا رأس الرجاء الصالح ودعوه بهذا الاسم وفي مدة خمسين سنة صارت لهم أملاك ومراكز تجارية في بنكال ثم انهم لم يحسنوا معاملة الاهالي فأبغضوهم وتمعدوا الأذى معهم . ولما دخلت البورتوغال في حكم الاسبان وكانت اسبانيا مضطربة من خصوص املاكها الاميركية تغسرت املاكها الهندية تدريجاً . ثم جاء بعدهم الفلامنكيون الذين مكثوا في بلاد الهند حتى دخلها الانكايز فحلوا محاهم وامتلكوا الهند نهائياً .

*
**

وأول تداخل الانكايز في الهند كان سنة ١٦٠٠ م اذ شكلت شركة انكليزية تجارية للمتاجرة في الهند الشرقية وأول بلد اتخذتها هذد الشركة

مركزا لتجارتها هي مدينة سورات. ومكثت هذه الشركة إلى سنة ١٦٤٠م. وفي هذه السنة وهبها أحد الولاة قطعة أرض تبلغ مساحتها خمسة أميال مربعة فبنت الشركة فيها منازل. ومركزا للتجارة ثم اشتروا من وال آخر قطعة أخرى وبنوا فيها مراكز أشبه بخانات من حيث التجارة وأشبه بالمراكز الحربية من حيث أنهم كانوا يضمون فيها الاسلحة خوفا من اغارة الاهالي عليهم. وأول مرة ظهر فيها طالع سعد انكترا أن ابنة الشادجهان صاحب مدينة دلهي أصيبت بحروق كادت تقضى عليها لولا أحد الاطباء الانكليز الذي أرسلته الشركة لمعالجتها ونالت الشفاء على يديه فسأل الشاد هذا الطبيب أن يطلب ما يريد في مقابلة اتمابه واطهر له سرورا وارتياحا. فطلب الطبيب منه ان يصدر أمره باعطاء الرخصة للشركة في ان تثنى مراكز تجارية في كل أنحاء المملكة بدون أخذ رسوم غير التي تدفعها في سورات. فأصدر الشاه أمره بذلك وفي سنة ١٦٦٢ على عهد الملك كارلوس الثاني ملك انكترا تنازل الشاد للشركة عن جزيرة بوميياي نظير مبالغ معلوم جاءلا هذا التنازل هبة منه لانكترا فنقلت الشركة مركزها في سورات وجعلته فيها واقامت حاكمها انكليزيا عليها فصارت هذه الجزيرة قطعة من أملاك انكترا.

وفي هذه الاثناء دخل الفرنسيون بلاد الهند للتجارة وفي زمن قليل صار لهم نفوذ فوق نفوذ انكترا ولكن نجم سعدم أقل حيث حظ انكترا كان أخذنا في الصعود وقد حصلت عدة وقائع بين الانكليز والفرنسيين بسبب المنافسات فاز فيها الجندي الانكليزي على الفرنسي. وهكذا أخذت الشركة الانكليزية تقوي نفوذها حتى عوضت انكترا

بالهند ما فقدته من املاكها الامريكية وهي تحت حكمها الآن حتى يفعل
الله ما يشاء .

* مدينة كلكتة *

هذه المدينة هي عاصمة الهند الانكليزية بل هي أكبر مدينة في سائر
الاقطار الهندية واذا أردت أن اصف الى قراء هذه الرحلة بالتفصيل كل
ما حوته هذه المدينة من ضروب المدنية وصنوف الحضارة لحدا في هذا الى
الاسهاب الممل . اذ وصف مدينة هي عاصمة البلاد ومملكة لها في التاريخ
ذكر يجيد من يوم أن خلقت الارض الى هذا العهد لا يكفي لاجله الا مجلد
ضخم يكون سفرا على حدته لأن يكون موضوعا في المواضيع التي تكتب
فيها مثل هذه الرحلة . ولهذا أذكر عنها ما لا بد من ذكره ملتزما خطة
الايجاز .

* * *

هذه المدينة واقعة على ضفة نهر هو جلي الشرقية ويقابلها على الضفة
الغربية محطة هورا وهي المحطة الكبرى التي تنفرع منها سائر الخطوط الحديدية
الرابطة سائر العواصم الاخرى بالعاصمة الكبرى . ولا تكاد تمضي
ساعة حتي تري القطارات ذاهبة وآية بين قطارات البضائع والركاب
مما يؤخذ منه أن الحركة التجارية في كلكتة هي كأعظم ما يكون في العواصم
والمدن الاوروبية .

أما انتظام الطرقات والشوارع ومنظر الاينية فيها فحدث ولا حرج .
وناهيك بمدينة يقطنها نحو ١٣٠٠٠٠٠ من النفوس هي قاعدة الامبراطورية
الهندية كيف تكون حالتها العمرانية من هذا القبيل . وأعظم الشوارع اناسا

وأجملها منظرا وأكثرها عمارة هو شارع سيتهورود . وفي هذا الشارع يوجد المسجد الجامع وبه أيضا اغلب محال الاوروبيين التجارية ومنازلهم الفاخرة والتياترات ومحال الملاهي . ويليه في الاهمية شارع هريبن رود فشارع درام تلد فشارع بوبزار . وكل هذه الشوارع عامرة بالمحال التجارية والعمارات ذات المنظر البديع والرواء الجميل .

وبمدينة كلكته كثير من الاسواق الحافلة بأنواع البضائع الثمينة وام هذه الاسواق واكبرها السوق المسمى « باربازارا » و « ناي بازارا » بحيث اذا مر الغريب بأحد هذه الاسواق يصير موزع النظر لما حوته من الخانات والمحال التجارية الكبرى التي تبهر العقول وتأخذ بمجامع القلوب أما معامل النسيج فهي تمتد بالمئات ومنها تصدر الاقشنة الحريرية والغير حريرية الى سائر الاقطار الهندية والى غيرها من البلاد الاخرى .

أما هواء كلكته فهو معتدل وقد اخبرت ان هذا الاعتدال حصل بعد ان زالت المستنقعات التي كانت تذبث منها الروائح النتنة المسببة لكثير من الامراض والابوثة . وبعد ان وجدت المنزهات وغرست الاشجار الملطفة للهواء وبالجملة فان مناخ مدينة كلكته كأحسن مناخ يوجد في اعظم بلد متمدنة

✽ سكان كلكته ✽

أما السكان في هذه المدينة البالغ تعدادهم نحو المليون وثلاثمائة الف فهم من أهل نحل ومذاهب متعددة . والمسلمون منهم يبلغ عددهم نحو المائتي الف نسمة . والباقون من البنغالية والهندوس والملاوية . وعوائد القوم هناك

وازياتهم وصورهم تختلف باختلاف الاجناس . فالبنغاليون يلبس عليهم السواد
وضخامة الجسم وهم يلبسون نوعا من اللباس يقال له « لنفوته » وهو عبارة
عن ازار طويل يلف على الخصر ويؤخذ طرفه ويدخل من بين الرجلين
ويرشق عند منتهي سلسلة الظهر وما بقي من سائر الجسم يبقى في الغالب
عاريا . وهذا الشكل من اللباس لا يكون الا عند الامم التي لم تعرف للحضارة
معنى وهو قبيح لا يليق بالآداب . وهذا الذي شائع في السواد الاعظم
من هذه الطائفة . او بعبارة اخرى الطبقة الوسطى منهم . من أخلاق
البنغاليين أنهم سلم لمن سلمهم وحرب لمن حاربهم . ولا يالفون الذل الاقرا
وبعد نقاد جلد هم . وبما أن البنغاليين هم أكثر الاهالي عددا فان اغلب
مستخدمي الحكومة لعمال التجارية والمصانع منهم . وهم كاليهوديين
الجهل في جمع الدرهم .

ومشهم الكفرة وغالب العامة منهم ولكن املاكهم على كثرة عددهم
كثيرة . أما الملاويون فهم في الزي اقرب الى البنغاليين ولكنهم يخالفونهم
في ارخاء الازار وستر باقي الجسد ووضع منديل أو قلنسوة على رؤوسهم
ولونهم أبيض مع اعتدال القامة وتشي من تقاسيم الحسن والجمال . وليس
لهم اهتمام بالشؤون السياسية ولهم ولع لا يزيد عليه في جلب الدرهم ولذلك
استغواهم البنغاليون بدعوى أنهم سيربحون في وراء الثورة مالا كثيرا أما
المسلمون سواء كانوا من الهندي أو غيرهم فانهم يلبسون السراويل والقميص
والسدريات الطويلة والعلماء منهم يلبسون الجبة والفرجيات وبالجملة فان لباسهم
أحسن لباس اهل الهند جميعا فقراء كانوا أو أغنياء .

حالة التعليم في الهند

انا اذا عملنا نسبة بين تعداد اهل الهند وبين حالة التعليم في هذه البلاد نجد درجة التعليم فيها منخفضة والمدارس الموجودة في كلكتة وغيرها من المدن الاخرى غير وافية بالحاجة المطلوبة وان ماتقله الجرائد من اخبار انشاء المدارس لا يؤخذ منه ان المهندخت في سبيل التعليم الخطوات الكافلة لان يتخرج من اهل البلاد رجال ينهضون بها الي حيث الدرجة التي تصيح بها البلاد الهندية في مصاف الامم الراقية .

*
*
*

ان في الهند مدارس تابعة للحكومة واخرى تابعة للاهالي ولكن نسق التعليم فيها ناقص بالنسبة لما تقتضيه حاجة الاهالي من التعليم الراقى . اذ ليس هناك مدارس للمعلمين كما يوجد بمصر وكل الذين يعدون من الطبقة المنورة من اهل البلاد انما هم متخرجون من مدارس انكلترا .

نعم وجدت كلية عليكرة وهي وان كانت مدرسة عالية ولكنها حديثة عهد الوجود . ولذلك لم تظهر لها نتيجة . على أن الاهالي في حاجة شديدة الي أمثال هذه الكلية . وقد يعمل بعضهم عدم كثرة المدارس العالية بلعل قد يكون لها نصيب من الصحة عند من لهم الملم بحل الطلاسم السياسية وذلك ان الحكومة الانكليزية تري من صالحها ان لا يترقي الاهالي لان في ترقبهم نهوضهم وفي نهوضهم نزوع الي طلب الاستقلال وهو ملا ترضاء دولة انكلترا ولو كانت هذه الدولة تريد ان ترقى الامة الهندية لساعدت على انشاء الكليات والمدارس العالية وهي قادرة على ذلك

وقد كان للحكومة مدرستان في كلكتة لتخريج القضاة والمحامين ولكنها فصلتهما عنها لما وقع بين الحكومة والبنغاليين في الخلاف إحداهما مدرسة «تسمن ريش كالج» وناظرها يدعي سنبذروبنرجي بابو» وهو زعيم ثورة البنغاليه وصاحب ومدير سياسة جريدة «بنغالي أخبار» اليومية التي تصدر باللغة الانكليزية . والمدرسة الاخرى تسمى «سنتي كالج» وناظرها يدعي «هرنبوميت» وهو ايضا من زعماء الثورة البنغالية . وقد يمكننا ان نلمس العذر للاهالي في عدم مقدرتهم على ترقية حالة التعليم لانه لا يوجد فيهم من يوف الطرق الموصلة الى ذلك بغير واسطة الحكومة . وكان انكارتا وفرنسا تماهدتا على امانة الامتين التونسية والهندية مية اودية للفرض المتقدم .

هذا وان هذه النهضة الحديثة التي نهضها الاهالي من الهند من جهة التعليم تبشر بمستقبل حسن زاهر رغم العوارض السياسية . وذلك راجع الى شعور الذين نبغوا وتعلموا في مدارس انكارتا وعرفوا مقدار حاجة البلاد الى التعليم الذي من ورائه استقلالها وسعادتها . وهم وان كانوا يلاقون مايلاقون ممن يتماقون الى رجال الحكومة من الانكليز ويمملون بما يوافق أغراضهم فقد تمسكوا بعري الصبر والجد ومن كان كذلك لا يحرم من ثمر اجتهاده ولكل مجتهد نصيب .

﴿ شعور مسلمي الهند نحو الخلافة العظمى ﴾

لا يوجد مسلم في الارض وفي قلبه مثقال ذرة من الايمان الا وعنده شعور حي وانمطاف نحو عرش الخلافة الاسلامية . لان حب المسلمين

خلقيتهم أمر طبيعي غرسه الدين في قلوبهم . ولكتهم يتفاضلون في هذا الشعور وهذا الانعطاف قلة وكثرة . وان هذا التفاضل يظهر بأجلى مظاهره بين المسلمين الذين تحكمهم الدول الاجنبية عنهم ديننا ودينا لانهم في هذه الحالة يكونون اشبه شيء بالغريب عن وطنه الذي بينه وبينه عقبات وموانع لا طاقة له على اجتيازها حتى يصل اليه وتقر عينه بمنظره وتنتعش روحه بنسيمه وطيب هوائه . فهو ابداء يحن اليه وان كان في خصب من الارض وسعة من العيش . ويزداد عنده هذا الحنين كلما صادف انواع المتاعب في غربته . وهذا خير مثال للمسلم الذي يمدش تحت سلطة غير سلطة الخليفة .

هذا وان لمسلمي الهند شعورا نحو عرش الأمامة الكبرى هو اكبر دليل على أنهم أشد مسلمي الارض تعلقا بهذا المقام وقد ظهر أثر هذا التعلق في ظروف احوال ليس العهد منها ببعيد .

ففيها اكتبناهم بالمبالغ الوافرة لسكة حديد الحجاز واحتفالهم بالهجرة لهذا الغرض واللقاء الخطب الحماسية حشا على الاكتتاب حتى انهم في مدينة كلكتة جعلوا الكحل حارة صندوقا توضع فيه الاعانات كما انهم جعلوا لها جباة خصيصيين كما أن الاغنياء جاد كل واحد منهم بما لم يجديده احد من اغنياء المسلمين من الاقطار الاخرى . وقد ذكرت في جريدتي «الارشاد» اخبار الاحتفالات ونص الخطب التي كانت تلقى فيها والمبالغ التي جاد بها المونرون وارباب الغيرة منهم .

ومنها اظهروا الاستياء المتنامي بان مشكلة العقبة حتى انهم بمشوا بتلغراف الى البرلمان الانكليزي يظهرون به مقدار ماخالج أديبتهم في تحمل انكسار على الدولة الغالية الامر الذي لم يفعله غيرهم من باقي المسلمين .

وبما ان الكبراء في كل أمة هم مثال لكل الافراد المكون منها بمجموعها فاني اذ كررنا بمض الافاضل الذين هم دعاة هذا الانعطاف السامي غير مفضل واحدا على الآخر لانهم فيه كالحلقة المفرغة التي لا يلم طرفاها . وهم حضرات الافاضل المولوى شرف الدين القاضي في محكمة العاصمة العليا المعتبر عنها « بهيكوت » وجناب القانونى البارع شرف الدين عمر . وهو من الشبان المتخرجين من مدارس لوندرة وقد بلغ في الذكاء والفطنة مبلغا يقبط عليه . وحضرة الاصولي المتفنن أبو الحسن خال القاضي في محكمة العاصمة الابتدائية وحضرة المولوي عبد الجبار الذي خدم البوليس اجل خدمة . وحضرة المفضل بدر الدين حيدر . والسيد زهر الدين . والمولوي شمس الهندي . وحضرة المفضل الحاج نور محمد زكريا زعيم المسلمين بالعاصمة . وخلق هذا الرجل قل فيها ما شئت وشاء لك المدح والثناء . وحضرة المفضل جناب شمس العلماء العلامة المحقق المولوي احمد المدرس الاول بالمدرسة العالية وجناب الفاضل المولوى ولاية حسين المدرس الثانى بهذه المدرسة وحضرة الشهم الاديب الشيخ على حسن جوهر من كبار تجار العاصمة وهو وحيد العصر في كلكتة أدبا وظرفا وذكاء وله باع في الشعر البليغ يدل على سبقه في هذه الصنعة . وحضرة العلامة المفضل القوي الشهير الذي حاز علوم المعقول والمنقول المولوي عبد الحميد المرادبادى المدرس الاول بالمدرسة الصالحية وحضرة الاستاذ العلامة الدكتور نور محمد الشندي مدرس الطب والرياضة في المدرسة الاسلامية بالعاصمة وسعادتلو المفضل محمد بك العمري البيروقي ابن محمد افندي رشيد وهو من اشهر التجار في الهند كما انه من أشهر علماء التاريخ والجغرافيا ولاياس بامله في الفقه ذكركم باهر وحياء كامل

لا يميل الى اللغو حرا الضمير . وهو لاء الافاضل المتقدمين تلقوا العلوم والآداب على أكابر علماء الهند وفضلائهم عدا حضرتي الفاضلين الشيخ حسن جوهر وسعادة محمد بك العمرى فان الاول تلقى العلوم في مكة المشرفة والثاني من متخرجي مدارس الدولة العلية التي يحبها ويتفاني في الاخلاص اليها .
 وكلهم قد اتفقت قلوبهم وانعقدت خناصرهم على محبة حضرة العلامة الشيخ احمد موسى المنوفي وإجلاله واحترامه نفع الله بهم الامة الإسلامية والشبيبة الهندية .

﴿ الصحافة في الهند ﴾

اذا بحثنا بحث المدقق في أحوال واطوار الامم في هذا العصر نجد أن الامة التي تكثر فيها الاحزاب السياسية أو ماشاكلها في الاختلافات في العوائد المذهبية تكون الصحافة فيها رائجة . ومثالنا على هذا رواج الصحافة في الامم التي فيها الحكم الذاتي او المجالس النيابية أما اذا كانت الامة مخالفة لهذه الحالة فان الصحافة فيها تكون بطيئة الترقى . وان كانت على جانب من الحرية . أو يكون ترقيا من حيث كثرة العدد لا من حيث التأثير .

وقد توجد هذه الاسباب الباعثة على ترقى الصحافة في أمة لم تبلغ مبلغا عظيما من الرقي العلمي فيكون التأثير بنسبة هذا الرقي العلمي الادبي وهو الخاصل في الهند . فانه يوجد الخلاف بين اهل المذاهب هناك مع وجود التأخر الادبي . فلذلك كانت الصحافة لها تأثير بحسب النسبة المتقدمة إذ توجد جرائد يومية واسبوعية بعضها باللغة البنقالية واللغة الهندية والبعض الآخر باللغة الانكليزية ولكن نسبة عدد هذه الجرائد الى عدد الاهالي

قليلة جدا ومع هذه القلة فان من هذه الجرائد ما يصدره البنقاليون وكلها ترمي الى غرض واحد هو تنفير الالهالى من الانكاييز واغراء المسلمين الى الانضمام اليهم. ومنها ما يصدره الانكاييز وكلها ترمي الى غرض واحد وهو تحذير المسلمين ونصحهم بان لا تغتروا بأقوال تلك الصحف. أما الجرائد التي للمسلمين وهي قليلة نخطتها معتدلة ومطالبها التي تطلبها من الحكومة هي نفس المطالب التي تكون من امة شمرت بحاجتها إلى الترقى الادبي مع الاعتدال في اللهجة والتزام خطة الادب. وقد يطول بنا المقام في وصف خطة كل جريدة على حدها ولذلك نسكتفي بذكرها مجردة عن كل ملاحظة اذ في ما اجملناه بلاغ للعامل السياسي.

فمن أشهر الجرائد الوطنية هناك جريدة « اديتر بنقالي » وجريدة عمبريتا بازار تبركا « وجريدة « اندين مرر » وجريدة « بندامترام » وهذه الجرائد يومية وتحرر باللغة الانكليزية.

ومن أشهر الجرائد الانكليزية أي التي يدير سياستها الانكاييز جريدة « انكليشان » وحريدة « استبتمان » وجريدة « ديلي نيوز » وجريدة « ايبالي » وغير هذه الجرائد وكلها أيضاً يومية واعدلهم خطة وميلا إلى المسلمين جريدة انكليشان.

ويؤخذ من ميل الجرائد الانكليزية الى المسلمين أن الحكومة تنظر اليهم نظر الاحترام بخلاف غيرهم لان هذه الجرائد الانكليزية هي بالطبع لسان حال الحكومة.

وان نظر الحكومة الى المسلمين هذا النظر لا يؤخذ منه أنها تفعل هذا عن اخلاص لان السياسة خصصها عند الانكاييز تقضي بان يحترم المرء

غيره وهو في الحقيقة لا يريد له الخير . ولو كانت الحكومة أو بمباراة أخري
دولة انكثرا تريد بهم الخير لمحتهم الحكيم الذاتي .

*
*

أما المجالات العلمية فلا تكاد تذكر هناك لقلتها ولذلك لا أقول
عنها شيئاً

﴿ ترجمة حياة الشيخ احمد موسى ﴾

هو ذلك العالم العامل . والاستاذ الفاضل . بحر العلم الذي ليس له ساحل .
وطود العرفان . الموفي على جبلي نمان . رضع افويق الموم صيبا . وجني
ثمر الآداب فتيا . حتى أصبح قدوة فضلا وأدبا . واتخذ سبيله في بحر المسكارم
عجبا . دين أبده عن الشبهات . وطهارة نفس جلته باجل الصفات . وورع
حال بينه وبين الشهوات . وعلم طبقه علي العمل باخلاص نية . وصدق طوية .
غيور على حرمة الدين . حريص على مصالحة المسلمين . اذا تكلم يزين
كلامه التبيان . واذا صمت كان صمته من البيان . يطرب سميره كأنه يسمع
الالخان . أو مثل بينت الخان . هو النواصي الا أنه طاهر الذليل . عفيف
الميل . والاصمى في النواذر المستظرفة . والنسكت المستظرفة

وتخطيب لوقام بين وحوش علم الضاريات بر النقاد
هو «الذرة» التي لا تعرف قيمتها الا بعد ظهورها من الحار ونخروجها من
قاع البحار . كريم يرى النيل عند المواهب . لا يكفي لشارب ووطاني يمدابن
وطعنه اقرب الاقارب .

حقوق النفس الانبي المعالي . فذو طمع عظيم أشعبي

يظن الظن تليفه يقينا أما جربت ظن الألمي
هو في الهند كالسيف انتضى من العمدة على أنه يحن الي وطنه حنين
الفنيق الي عطنه . ترمقه الابصار . اينما حل وسار . بالتجلة والاعتبار . ولا
غرو اذا كان كذلك فهو كالغيث اينما وقع . نفع . وبجمل القول أنه طود على .
ونجم هدي . وعلم تقي . وبجر علم زاخر . وبدر فضل زاه زاهر . أو كما
قال الشاعر

كريم متى أمدحه امدحه والوري معي واذا مالته لمتته وحدي

*
*
*

واني مهما بالغت في الشناء والاطراء واستمرت السنة البلغاء فلا أبرح
عن موقف المعجز عن ايفاء هذا الفاضل ما هو خليك به من شكره على حسن
عنايته بي واحتفائه الفائق بصديق لم تتصل بينه وبينه أسباب المودة الامن
طريق المخاطبة بالمكاتبه لا بالاختبار والمعاملة . ولا شية في هذه فان القلوب
جنود مجندة ما تمارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف من قبل أن تخلق
لها الاجسام .

واني وان كنت عاينت مصاعب في رحلتى الي اليابان فلم يكن شيء أشد
صعوبة لدي من عدم مرافقتي هذا الفاضل لانه عقب أن خاطبني في هذا
الامر ألم به مرض عاقه عن السفر كما أخبر بهذا واعتذر .
ولكن الله سبحانه وجل شأنه لا يحرم العبد من الثواب اذا عزم على
فعل الخير ولم تساعده المقادير على الشروع فيه فهو مشكور مأجور .
وهذا هو تاريخ حياته

هو أحمد بن موسى بن مصطفى بن اسماعيل من عائلة النحولة المشهورة بمديرية المنوفية . ولد سنة ١٢٨٠ هـ في بلدة طليا التابعة لمركز اشمون أحد مراكز مديرية المنوفية . ولم يكديخرج من سن المراهقة حتى أخذ والده يعتمى بتربيته فأدخله مكتب أحد فقهاء البلدة لحفظ القرآن الشريف حفظا جيدا وتلقى مبادئ القراءة والكتابة ولما بلغ الخامسة عشر من سنه وهو السن الذي يؤهل الى احتمال الآم الفرقة أرسله الى الأزهر المعمور سنة ١٢٩٥ هـ فانكب على تلقي العلوم بانواعها على أفضل المشايخ وأجل العلماء وأظهر براءة فائقة وذكاء نادرا حتى أعجب به كل من لازمه في حلقات الدروس من الطلبة والمدرسين وبعد زمن فاجأته نواب الدهر وحوادث الايام بموت والده فمكث بعد ذلك زمنا قليلا ثم دعت ظروف الاحوال الى الاشتغال بالتجارة فاشتغل بها نحو سنة وبضعة أشهر . وبما أنه أحرز شهرة في اثناء تلقي العلم بالذكاء وسعة الاطلاع كانت الطلبة تقدر اليه للاستفادة فكان يلقي عدة دروس في علوم المعقول والمنقول . ثم رأى ان التجارة قد شغلته عن العلم فتركها اذ لم يكن اشتغاله بها يضيق أبواب المعاش

*
*
*

ثم بداله ان يتجول في بلاد القطر للوقوف على أحوال المسلمين من جهة أمور الدين وغير ذلك شأن السائحين في كل أمة وزمان خصوصا من حرقهم افادة العلوم من أئمة المسلمين فتوجه الى الصعيد سنة ١٣٠٥ هـ ووجهته مدينة أصوان وعرج في طريقه على مدينة قنا لزيارة ضريح ولي الله سيدى عبد الرحيم القنائى ونزل ضيفا كريما على قاضى مديرية قنا في ذلك الوقت اذ كانت بينهما صداقة وكيدة ورابطة أزهرية متينة . وبينما هو مار مع القاضى

في بعض الشوارع اذا رآه بعض طلبة العلم وكان أوان عطلة الازهر فتعلقوا به ورجوه في اقراء بعض الكتب فابي طلبهم ودرس العقائد الذهبية في علم التوحيد . وقد طلب منه أن يقرأ بعض كتب أخري فاعتذر بالسفر ولما حان وقت رحيله من قنا ودع وداعا شائقا لاثقا بعالم فاضل مثله خصوصا من الطلبة الذين اغترفوا من بحر علمه واستناروا بضوء فهمه . فغادر قنا والقلوب تشيعه وهي آسفة على فراقه داعية له بالسلامة في الحل والترحال . وقد مر في طريقه على بلدان كان فيها موضوع الاجلال والاحتفال ممن عرفوه أيام طلب العلم بالازهر . وقد انتهى به السير الى حلغا وكانت ثورة الدراويش في إبانها . وتوقد نيرانها . وصادف ان أحد كبار الضباط في الجيش المصري الذي كانت بينه وبينه سابقة صحيحة كان في حلغا فاحتفل به وأكرم نزوله وطلب منه ان يلقي بعض الدروس المفيدة على أئمة الجند ففعل ذلك وكان ماألقاه في تفسير الذكر الحكيم . وكان بوده ان يتجول في بلاد السودان فلم يوافق ذلك الضابط لاسباب لا حاجة الى ذكرها هنا فعدل عن عزمه . وبعد قليل توجهت رغبته الى السفر الى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة قبر خير الانام عليه الصلاة والسلام وكاشف صديقه الضابط برغبته فأعدله ذهبية وكل مايلزم من معدات السفر وكان عزم فضيلته ان يسافر من طريق القصير ثم ودع باحتفال من أهل حلغا لايقوم به وصف البليغ خصوصا من صديقه ذلك الضابط الكبير وكل ضباط الجيش لاسيما الأئمة الذين افادهم بعلمه وفهمه . وفيما هو سائر في النيل في الذهبية علم به بعض طلبة العلم في بلدة يقال لها حجازة من أعمال مديرية قنا التي رست عليها الذهبية فطلبوا منه أن يقرأ لهم بعض كتب في

النحو والفقہ فاعتمد بمزومه على الحج فألحوا عليه وتوسلوا ببعض أكابر
البلدة حيث تمهد له أحدهم بالسفر معه الى الحجاز لأدوية القرىضة فأجاب
الطلب وعادت الذهبية الى حلها ودرس بعض كتب في النحو والفقہ على
مذهب الامام مالك رضى الله عنه وزادهم دروسا أخرى في القرآن والحديث
واقام في هذه البلدة محترما مبعجلا من الصغير والكبير . ولما جاء أوان سفر
الحج غادرها قاصدا القصير وذلك سنة ١٣٠٧ هـ .

ولما وصل الى جدة اقام بها اربعة أيام ثم توجه الى البلد الامين وأدى
المناسك وقصد المدينة المنورة وزار قبر المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام
وهناك حصل بينه وبين فضيلة الاستاذ التقي النقي الشيخ سيد محمد على
السنوسي الشهير شيخ الطريقة السنوسية تعارف ومودة فأقام تسعة اشهر وهو
يزاول مطالعة العلوم مع صديقه السيد محمد المذكور ويفيد المسلمين في كل
أمور الدين وقد اجازه الشيخ السنوسي بقراءة كل العلوم في كل فن لما رآه
فيه من الكفاءة والاهلية . ثم بعد ذلك عاد الى مكة لانحراف صحته وكان
قد سبق له بها تعارف مع الاستاذ العلامة الشيخ محمد صالح صهر الشيخ
ابراهيم الرشيد المشهور فنزل عنده ضيفا كريما . وفي اثناء اقامته بمكة
عرف حضرة العلامة الدراكة الشيخ اسماعيل الغراب فلأزمه سنة وهما
يطالمان كتب الحكمة والفلسفة . ثم غادر مكة قاصدا بلدة المروعة ببلاد
اليمن حيث اتصل به أنها بلدة حافلة بالعلماء الاجلاء فوصلها في الحرم من ستة
١٣٠٩ هـ وهناك عرف كثيرا من افاضل العلماء وفي مقدمتهم حضرة العلامة
السيد حسن عبد البارئ شيخ المدرسين وحضرة العلامة السيد محمد الطاهر
مفتي البلدة

ثم اراد الذهاب الى بلاد الهند فرحل مع بعض الاعراب في قافلة
عانى معهم بعض وعشاء السفر . ولكنه بعد ان وصل الى الهند اختار ان
يذهب الى الصين واخذ يجوب في هايتك الاصقاع وكلما سمع بعالم في بلدة
رحل اليه فان وجدته على علم أقام معه ماشاء الله له ان يقيم وقد مر ببلاد
كثيرة من مستعمرات انكاته وهو لانه وعرف كثيرا من العلماء
الفضلاء . وقد لاقى احتفاء زائدا في بلاد الصين حيث درس عدة كتب
في المذهب الحنفي لان اهل الصين كلهم متمذهبون بهذا المذهب وفضيلته
منهجه ماليكي فدرس لهم كتب غير مذهبه فأفاد واجاد . وفي أواخر
سنة ١٣١٨ هـ قفل الى كلكتة عاصمة الهند ولم يكن يستقر بها قدمه حتي
ظهر فضله وشاع ذكره والتف حوله كثير من اهل الفضل واحتفوا به احتفاء
باهرا والحواء عليه بان لا يغادرهم بل يقيم معهم في عاصمة بلادهم وكان أكثر
القوم الخاها عليه هو ذلك العالم الفاضل الحاج محمد نور زكريا وجماعة من العلماء
والاعيان وقد كان الواسطة الكبرى في اجابة ملتسمهم حضرة الوجيه السيد
يوسف بن السيد احمد الزواوي صاحب مستقط التاج العربي المشهور وكان
من اعز اصحابه فلم تسمه المخالفة خصوصا وان حضرات المتقدم ذكروهم من
افضل علماء كلكتة عرضوا عليه إمامة المسجد الكبير . ولما أجاب الطلب
ونالوا منه الارب عين اماما للمسجد الجامع من أول المحرم سنة ١٣١٩ هـ بل
عهد اليه جميع شؤون المسجد فاقام الى الآن اماما محترما مبهجلا يحمله الامراء
ويحترمه العلماء

*
*
*

على أن ذلك لم ينسه وطنه المحبوب فهو يحن اليه كلما لمع بارق

وذو شارق وكأنه يقول

*
*
*

إذا كان أصلي من تراب فكلمها بلادى وكل العالمين أقاربى

﴿ كلمة حق لا بأس بها ﴾

الى سمو الخديوى . الى العلماء . الى الاغنياء . ان الجناب الخديوى
هو اكبر امير بين امراء المسلمين بمد مولانا السلطان . بل هو ساعد الخلافة
الأيمن الذى ينظر اليه العالم الاسلامي المنتشر فى طول البلاد وعرضها انظر
الاجلال والاحترام . وان العلماء فى مصر هم مطمح انظار مسلمي الارض
كافة لان الازهر كما قلنا فى غير موضع من هذه الرحلة هو المعهد الدينى
الوحيد الذى يرسل أشعة العلم الى سائر الجهات التى يقطنها المسلمون . وان
الامة المصرية هي الامة التى حافظت على البقية . الباقية من اخلاق
وعوائد ولغة العرب الذى نشأ الدين فى ربوعهم فكل امرئهم الاسلام
والمسلمين يهتم الجناب الخديوى والعلماء والامة المصرية بنوع خصوصي
لهذا الاعتبار .

ولا شك ان عقد المؤتمر الدينى فى بلاد الشمس المشرقة هو من الامور
ذوات البال التى من شأن المسلمين ان يجهلوا من الاهمية بمكان . والذى
يذهب الى هاتيك البلاد ويشاهد البعثات الدينية الاخرى المسيحية وينظر
الى آثار اعمالها يأسف كل الاسف حيث يرى مبلغ اهتمامها بالدين المسيحى
حتى ان المبشرين يمدون بالتمائم ولا يرى من يبشر بالدين الاسلامي الا نفر
يمدون على الانامل ولا يتجاوزون حركات العوامل . فمن لنا بمن يضمن صوته

الى صوتنا مخاطباً اولاً سمو الامير بقوله . باسمو الامير ان الله سبحانه وتعالى قد وهبك من الغنى والثروة ما لم يهبه لسواك من امراء المسلمين . وهذه الاوقاف ينمو ايرادها كل سنة نحواً محسوساً فهل لك في أن تؤدى الى الدين خدمة ترفع من ذكرك في الملأ الاعلى وتحرك لسان كل مسلم بالثناء عليك وهي ممكنة لديك سهولة عليك الا وهي الجود بجزء يسير من مجموع ما تستغله من كل عام في سبيل نشر لواء الاسلام في بلاد اليابان اذ تساعد به بعثة دينية ترسلها للتبشير به وهداية القوم اليه . يقولون باسمو الامير ان الناس على دين ملوكهم ولا شك انك اذا صنعت هذا اقتدي بك اغنياء الامة التي انت ممثل لها وقائد زمامها فتؤلف بدل البعثة بمئات لاسيما وان اظهر لك الاهتمام بهذا الامر يبعث في النفوس الرغبة في الذهاب الى بلاد اليابان واستسها لها كل صعب يصادفها في هذا السبيل .

يقول الشاعر باسمو الامير

ليس بالمغيوت حظاً من شري عزا بمال
* انما يدخر الما ل لحاجات الرجال *

واي عز واي شرف واي نخر بعد خدمة الدين الذي اولى بان ببذل في سبيله المال الطارف والتالد .

يقول الله تعالى في كتابه العزيز (وأقرضوا الله قرصاً حسناً يضاعفه لكم) فأيقن ولا نخالك الا موقناً انك اذا صرفت درهما واحداً أو ديناراً واحداً تريح في مقابلته عشرة اضعافه بل أزيد من ذلك والله لا يضع اجر من احسن عملاً : ان هذا الصوت الذي يناديك باسمو الامير ليس صادراً من احد الافراد الذين تجتمعهم بك جامعة الدين بل هو صوت كل

مسلم عرف مركزك وأحاط علما بكنه منزلك بين المسلمين : فان أجبت
الداعي وسعيت خير المساعي فقد حققت آمال المسلمين فيك وربحت ثناءهم
عليك ودعائهم لك بالرشد والسداد . هذا فضلا عن الثواب العظيم الذي
تناله من رب هذا الدين القويم .

ان هذا الامر باسم الامير ليس له ادنى تعلق بالسياسة ولا بشؤون
الحكومة حتى يقال ان ظروف الاحوال تحول بين سموكم وبين اكتساب
هذه المكرمة وانما هو امر ديني محض لا يعارضك فيه معارض ولا
ينازعك فيه منازع ، ولو كان الامر كذلك لكان للبعثات الدينية الاخرى
صفة سياسية وهو بخلاف الواقع .

*
* *

الى العلماء

وانتم يا ايها العلماء وياورثة الانبياء ويا من هم بمنزلة النجوم في هداية
الامة بل وياقدها الى سبيل الخيرات كيف تقاعدتم وتكاسلتم واحجمتم
عن اداء هذا الواجب الديني .

الستم كهؤلاء المبشرين الذين خرجوا من ديارهم وفارقوا اهلهم وعشيرتهم
وجابوا القفار وقطعوا عرض البحار . تارة يلفحهم الهجير . واخرى يضرهم
الزمهرير . كل ذلك في سبيل نشر دينهم في تلك البلاد . ولم يكن ذهابهم
اليها بمجرد علمهم بمعقد المؤتمر وانما كان قبل هذا باعوام . اهم خلقوا من
حديد حتى تكون قواهم فوق قوى البشر في احتمال مشاق السفر ام دينهم
اوضح من دينكم حجة واقوى حجة . ام ذهبوا بدعوة خصوصية دون
سائر الناس . ليس هذا ولا ذلك وانما لهم تنفاوت والغازم تبارى

والواجبات صادفت من يؤديها ويقوم بها .
 تمحلنا لكم اسم العذر من سكوتمكم عن محو هذه البدع التي فشت
 وانتشرت في البلاد . وكثر من جرائم الفساد . وحطت من كرامة الدين .
 وقتلنا ان الذنب للحكومة التي اباحت فتح بيوت المومسات العاهرات . وسهت
 للشبان الدخول في الحانات ومغازلة الغانيات الراقصات جهارا بلا خفاء ولا
 استحياء . فقولوا لنا يارعاكم الله ما عذركم في عدم تاليف لجنة منكم تذهب الى
 بلاد اليابان او الصين للدعوة الى الاسلام .

قولوا لنا وقولكم الحق وأصدقونا الحديث وأنتم أهل الصدق . اتولف
 اللجنة من السماسرة والتجار . ام من كل بناء ونجار . أم من الصيدليين
 والميكانيين وانتم بين جدران الازهر تتلون الكتاب كتاب الله . وتفسرون
 معناه . وتدرسون حديث الرسول وعلوم المعقول والمنقول . وتلقبون باللقاب
 الجليلة . ما بين العلامة وصاحب الفضيلة .

ان وظيفتكم ليس في الزي واللباس . وليست قاصرة على حمل الكراس
 بل وظيفتكم تايد الدين . ورعاية شأن المسلمين . فالدعوة الى الاسلام . اولي
 منكم بالاهتمام . الم تفهموننا معنى قول سيد الكائنات (انما الاعمال بالنيات)
 الم تقرؤوا في الكتاب المبين قوله تعالي (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في
 الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
 يدركه الموت فقد وقع اجره على الله)

آري لو عقد هذا المؤتمر الديني في عصر الخلفاء الراشدين او في دولة
 الامويين والعباسيين . أ كان العلماء في تلك العصور يعترهم قصور أو تقصير

عن الذهاب الي بلاد اليابان . أم كانوا يذهبون اليها سعيًا على الاقدام .
 خصوصًا وأن هذا العصر قد سهلت فيه اسباب السفر . فقطار سكة الحديد .
 يقطع عرض البيد . بلا تعب ولا اعياء ولا حثا على السير بالحداء . وهذه
 السفن تجوب البحار بقوة البخار لا يعطلها ركود الرياح . ولا قلة خبرة
 الملاح . تقطعون فوقها من المسافات . في قليل من الساعات . لا يقطعونه
 في عشر أمثالها لو كنتم على ظهر اليعملات . او الجياد الصافنات . لا يمنكم
 الهجير . ولا الزمهرير . عن متابعة المسير . هذا فضلا عن الامان . في
 كل مكان .



الآن لنا العذر ان ملأنا الفضاء . بالبكاء أو مزق الاسف الاحشاء .
 أو وقفنا على جدث الامام . مفتي الانام الشيخ محمد عبده وقلنا . ايها الاستاذ
 الحكيم والفيلسوف العليم . أسامع فننادي . أم عدتك عن السماع الموادي .
 أترى لو كنت في زمرة الاحياء . وسمعت بهذا الخبر . من عقد المؤتمر .
 أكنت تعيره الأذن الصماء . أم كنت تشجذ حد الهمة السماء . والعزيمة
 القعساء . وتدعوا الاغنياء الى بذل المال . لتأليف وفد من خيرة الرجال .
 الذين لهم قدم في فلسفة الدين راسخة . وهمة في خدمته شائخة . تزودهم
 بمالك وارشادك . وحكمتك وسدادك ليذهب الى بلاد اليابان . لنشر
 لواء الاسلام

لا والذي أمره الامر . والذي يعلم السر والجر . وحكم عليك
 بسكني القبر . لو كنت فينا حيا ما كنت تقصر عن هذه الخدمة الدينية .
 واحراز هذه الفضيلة السنية . فرحم الله أياما كنت فيها تسدد من الفعل

والقول . وسقى الغيث زمانا كنت فيه صاحب الحول والطول . وعزانا
عليك بخلف عنك تلقى عهود المعالي . ومنك استقى شآئيب الشرف المعالي .
ليكون منك خير العوض . بل الدواء الشافي مما حل بالامة من المرض .
واسكنك في دار النعيم والملك الكبير . انه السميع المجيب القدير
فاتقوا الله أيها العلماء وراقبوه . وأدوا وظيفتكم في الهيئة الاجتماعية
والا فعلى الاسلام . والدنيا السلام
الى الاغنياء

اما انتم ايها الاغنياء والموسرون فانكم خالقتم سيرة كل ذوى الغنى
واليسار من الامم الاخرى . تلك السيرة التي انتم بها اولي واحرى اذ انتم
تجهدون انفسكم ليل نهار في كسب الدرهم والدينار . وتبذلون ماتجمعونه
في سبيل الملاحى والمعار . ومظاهر الابهة والفخار . أو في لعب القمار .
أو تكتنزونه خوفا من الدهر . ان يوقعكم في شرك الفقر . او تدلون به الى
الحكام . طمعا في رتبة او نيشان . او يساعدوكم على ظلم فلان وفلان .
أما هؤلاء فانهم يبذلون أموالهم في نشر العلوم والصنائع . وغير ذلك
من وجوه المنافع . وبذلك سادت الامم الراقية وارتقت بمقدار انحطاطكم
في المهمل . أليس من الخسران المبين انكم تمنعون زكاة المال ولا تودون
شكر المنعم به عليكم وتذهبون في كل صيف من كل عام الى أوربا وتبذرونه
ذات اليمين وذات الشمال في سبيل شهواتكم النفسية وبعد صرف الدرهم
والدينار تمدون محتقنين الاوزار والذل والعار على حين انكم ترون الاغنياء
من الامم الاخرى تجود بالمال للبعثات العلمية والدينية وترقية العلوم
العصرية . ما ذا عليكم لو فتحتكم اكتبابا لتأليف بعثة دينية تسافر الى بلاد

اليابان وتشر التعاليم الدينية . والعقائد الاسلامية . على ان المال لديكم لا يوزن بالميزان . بل يكال بالقفزان . هلا يوجد منكم الف ولو على وجه التقريب يوجد كل واحد بنصف ما يصرفه في شهواته البهيمة ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه . اما دينه فلانه سعي في الدعوة اليه وأما وطنه فلانه بفعله هذا يجعل الامم الاخرى ترمق المصري بعين الاعتبار . واما نفسه فلانه أ كسبها فضيلة من أعظم الفضائل .

هذه كلمتي قلتها واني على يقين بانها لا تعدم منصفاً كشف الله عن بصيرته حجاب الضلال . ولا تلبس عليه الحق بزور المقال . كما انها لا تعدم من من خلقه المجادلة في الله بغير علم ولا هدي والله يرشدنا الى الطريق المستقيم .

✽ كلمة الى الادباء ✽

قيل في الامثال لكل مقام مقال . ولا يخفي على حضرات أمراء الكلام . ومستخدمي الاقلام . القائدين البلاغة بزمام . أن المواطن التي في زخرفها كناية وتشبيها . وغير ذلك من الانواع البديعية . والعسودول عن ذكر الحقائق الى التراكيب المجازية . انما هي المواطن التي لا تعرض الاعلي أهل الصناعة الادبية . أو المقامات اللوكية . أو الرسائل الغرامية . ولكن في المواطن التي يمرض فيها الكلام . على الخواص والعوام فلا حاجة فيها الى تلخيص المعاني . وزخرفة المباني . وهذه قاعدة سنها القدماء . من الادباء . فيجب على عدم الاتيان . باللفظ الغريب . أو التأنق في التركيب . والافهوا بالعتب أولى . والسلام اه

﴿ بيان الخطأ والصواب . الواقع في هذه الرحلة ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٣	يخالف	يخالف
٧	١٤	جلسان	جلسات
٨	٥	صيحة	صبيحة
٨	١٣	العراثة	الفراثة
٨	١٩	لذاهبة	الذاهبة
١١	٩	والمسيح	والمسيح
١٤	١٠	ياشا	باشا
١٤	١٢	سائز	سائر
١٥	٦	التصقب	التصقت
١٥	٩	حيث	حيث
١٥	١٢	تمثيل	تمثل
١٥	٨	نحت	تحت
١٥	١٩	كئينا	كتبنا
١٧	١	ارى	أر
١٨	١	واحتلت	واحتات
١٩	٦	عاصمة	عاصمة
١٩	١٦	فلائمت	فلائمت
٢٢	٣	ولاقتصادية	والاقتصادية
٢٢	١٣	ذان	ذات
٢٢	١٨	لصياتها	لصياتها
٢٣	٤	بأجل	بأجل
٢٣	٥	المالك	المالك
٢٤	٤	فالفنت	فالفنت

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
التلامذة	التلامذة	١١	٢٥
القتال	العتال	٦	٢٦
كثيرا	كثيرا	٨	٢٦
السفير	السفر	١٨	٢٦
اذا	ذا	١٨	٢٦
الرجل	لرجل	١٨	٢٧
اهما	اهما	١	٢٩
النورمنديين	النورمنديين	٦	٣٠
وجعات	وجمان	١١	٣٠
صبغ	صغ	١٨	٣٢
جمعت	جمعت	١٠	٣٣
الذين	لذين	٧	٣٤
عيسار	عيسار	١٠	٣٥
الوندال	لوندال	٢	٣٨
الرومانيين	لرومانيين	١٣	٣٨
ملكة	ملكة	١٧	٣٨
مستعمرات	مستعمرات	٢٠	٣٨
دخلوا	دخلوا	٢	٣٩
التاريخ	التاريخ	٣	٣٩
اذا	ذا	٨	٣٩
الموافقة	لموافقة	١٢	٤٢
تلقى	تقى	٩	٤٤
اصبح	اصبح	١٥	٤٤
احص	احص	٢	٥٠

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
الرى	لرى	١٣	٥٠
اخطلط	اخطلط	٢	٥١
احتلوها	احتلوها	١٢	٥٥
اتبنا	اتبنا	١١	٥٦
الذى	لذى	١٦	٥٨
يتدكرون	يتدكرون	٣	٦١
التفاني	التفاني	١٤	٦٢
لصادقها	وصداقها	٢١	٦٦
الذكر	الذكر	٣	٦٩
الماذرة	الماذرة	١٦	٦٩
الرئاسة	لرئاسة	١٣	٧٠
ينظر	ينظر	٢	٧١
الراى	لراى	٣	٧١
الناصر	الناصر	١١	٧١
المآثر	لمآثر	٢	٧٦
وظنتم	وظنتم	٣	٧٨
اضحي	اضحي	٣	٧٩
المسلم	لمسلم	١١	٨٢
يعمل	لايعمل	٢	٨٣
مدنيه	مدنية	٥	٨٣
المدنية	المدنية	٦	٨٣
الركاب	لركاب	٣	٨٥
الذى	لذى	١٤	٨٧
يتجاوزا	يتجاوزا	١	٩٥
الرقى	لرقى	٩	١٠٣
تبيين	تبيين	٨	١٠٤

وراء	خطاً	سطر	صحيفة
كنديكانافا	كنديكانافا	١٢	١٠٤
تبين	تبين	١٥	١٠٥
مقابر	مقابر	١٧	١٠٦
المناخ	المناخ	٢٠	١٠٩
الرسول	لرسول	٨	١٢١
الله	لله	٩	١٢١
وجدت	وجدته	٢٠	١٢٢
متغير	متغير	٢	١٢٣
ويعني	ونعني	٩	١٢٣
يمكننا	يمكننا	١٧	١٢٤
اعجز	اعجز	١١	١٣٠
ملك الملوك	الملوك	٨	١٣٤
بينها	بينهما	١٧	١٣٨
يسمح	يسمح	١	١٤٢
اليهم	اليها	٢٠	١٤٣
بتفاني	يتفاني	١٦	١٤٤
افتتاحه	افتتاحه	٣	١٥٨
الخليفة	الخليفة	١٤	١٦٥
ووطنيتهم	وطنيتهم	١٧	١٦٥
بالامار	بالامار	٦	١٦٦
النساء	النساء النساء	١٥	١٧١
اكتب	اكتب	١	١٧٢
القضايا	القضايا	١١	١٨٣
فرشت	شرفت	٦	
الامراض	لامراض	١٩	
الذي	لذي	٣	



